تنزيه القرآن الكريم عن دعاوي المبطلين

د. منفرد بن محمود السقائ
الباحث في رابطة العالم الإسلامي
تنزيه القرآن الكريم
عن دعاوى المبطلين

د. منقذ بن محمود السقاف
الباحث في رابطة العالم الإسلامي
تنزية القرآن الكريم
عن دعاوى البطلين
مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

واتبع هذاء إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله أرسل الرسل لقوم بهم حجته على خلقه، وأنزل عليهم كتابه؛ ملوها الهدى والنور، ليقيموا بشرعة الله، ويهدوا بها إلى منهجه القويم "لقد أرسلناك رسولًا للناس بِالقُسطِ" (الخليد: 5).

ثم ختم الله رسلاته بمحمد ﷺ، وأنزل عليه القرآن مصدقًا ما أنزله - من جملة: على إخوانه الأنباء: "نزل علیك الكتاب بخلق مصدقًا ما بين يديه وآثر القرآن وليقين الناس وليلزون في جهنم إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد وذكر دو انتقام" (آل عمران: 3-4).

فالقرآن كتاب الله الآخر، وهو مصدق ومكمل لما أوحاه الله في كتب الأنباء السبعين، وهو أيضاً مهيمن عليها "وأنزلنا إلى الكتاب بخلق مصدقًا ما بين يديه من الكتاب وفهیمنًا عليه" (المائدة: 48)، لكون هذه الكتب نزلت إلى أقوم مخصصين في أزمة معينة لإصلاح ذنوب وعيوب تلك الأمم، في حين أن القرآن مشتمل على كل ما تحتاجه الإنسانية إلى قيام الساعة، لأنه رسالة الله الخاتمة إلى الناس أجمعين على اختلاف أمورهم وأمكنتهم "قل يا أيها الناس إني رسول الله إني مثلكم جميعًا الذي له ملك السماوات والأرضي لا إله إلا هو، هو الذي تعبد وتبيس فآمنوا بالله ورسوله النبي الأموي الذي يؤمن بالله وكلماته وأتباعه لعلكم تهتدون" (الأعراف: 158).

وحتى تبقى كلمة الله شاهدة على خلقه إلى يوم القيامة، فقد تكفل بحفظ كتابه الأخير "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا هو حافظون" (المحفوظ: 9)، وهكذا أضحى القرآن الكتاب الوحيد المحموظ بحفظ الله له "وله كتب غزير لا يأتيه الباطل من بعْن"
القرآن الكريم

يذنيه ولا من خُلقه تنزيل من حكيم خميت (فصلت: 42-44). في حين أن الله وكل
حفظ الكتب السابقة إلى أصحابها بإيطالاً يُعطيكُمْ من كتاب الله وَكَانُوا عَلَى شَهداء
(المائدة: 44)، فحرمواها وأضاعوا منها ما أضاعوا تُعْرَفُون الكِلمَ عن مَواضيعه.
وَإِنْ شَاءَ مَا ذَكَرْوُا يَا (المائدة: 13)، بل وزادوا عليها ما لم يوح به الله قُوْلٌ
لِلذين يَكْتُوبوْن الكِتَابَ بأَيْدِيهم وَمَا يَتُؤْلُون هَذَا مِنْ عَنْدِ اللَّهِ لَيْتَشْرُوا بِهِ نَمَائًا قَليلاً قُوْلُ
هُمُّ مَا كَتَبَ أَيْدِيهم وَوَقْيُلُ هُمُّ مَا يُكْسِبُونَ (البقرة: 9).

لقد أقبل المسلمون في كل عصر وحين على مائدة القرآن يهلون منها بحفظه
وتذبره وتعلمه، فخصوصه بنعمة ومبادئ لا تكن لكتاب قبله، حفظه الملائين من
أطفالهم في كل عصر؛ على اختلاف أساليبهم وشهاتهم، يتلونه آنا الليل وأطراف
النهار، يبتغون فيه موعدود الله ورسوله ﷺ لاهل القرآن: يقال لصاحب القرآن:
اقرأ، وارتقى، ورتفع كا كنت تنزل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها". 
وعمد علماء الإسلام إلى ترسيخ علومه وفهمنه وتفسيره وبيان أحكامه ولهده,
تألفت في خدمة القرآن آلاف الكتب التي تزخر بها المكتبة الإسلامية.
وأدرك أعداء الإسلام أهمية القرآن في نفس المسلمين، ومدى تعلهم به، وأنه
مستمسك عقيدتهم، ومصدر شريعتهم، وأنه باعث نهضتهم، وضمان مستقبلهم، وأن
تمسكهم به يجعلهم أمة عصبة على الهوان والذل والاستعباد، فأضموا له العداء,
ونصروا بينه وبين المسلمين السدود، وقال الكُفَّار لذين كفروا لا تأملوا هؤلاء القَرْآنِ والغَنْوُا
في لَعْلَكِمْ نَغْلِيْونَ (فصلت: 26).

وما أدرك أعداء القرآن في القديم أدركه الأعداء الجديد، يقول حاخام إسرائيل
الأكبر مردخاي اليهود: "هذا الكتاب الذي يسمونه القرآن هو عدونا الأكبر
والأوحد، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكرية مواجهته، كيف يمكن تحقيق
(1) آخرجه الترمذي ج (1914)، وأحمد ح (767).
السلام في وقت يقدس العرب والمسلمون فيه كتابًا يتحدث عن بكل هذه السلبية؟

ويقول الحاكم الفرنسي للجزائر إبان الاستعمار الفرنسي: "إنا لن نتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية".

ويقول وليم جيفور بالكراف: "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يترجل في طريق الحضارة الغربية بعدًا عن محمد وكتابه". ومقصود بالكراف بالحضارة الغربية ما شاهده في الغرب اليوم من تحال أخلاقي وتفكك اجتماعي ومظاهر سلبية است.fin على الإحصاء والإحاطة، ألا تباً لها من حضارة ؛ إن صبح تسميتها (حضارة)، وما أعظمها من كتاب ذاك الذي يتصدى لهكذا حضارة!

ويقول اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر: "جنت لأربع ثلاثاً: القرآن والكبعة والأزهر".

وأما المشير جون تاكرلي فيقول: "يجب أن نستخدم القرآن - وهو أمضى سلاح ضد الإسلام نفسه، بأن نعلم هؤلاء الناس [يعني المسلمين] أن الصحيح في القرآن ليس جديدًا، وأن الجديد ليس صحيحا".

وهكذا توجه هؤلاء القوم الشريرة إلى إبعاد الأمة المسلمة عن القرآن عبر صنوف من الافتراءات والأكاذيب التي بلغت من كثرتها الألف من الكتب كما

(1) انظر: مجلة البيان، العدد (159).
(2) قادة الغرب يقولون: دموا الإسلام أبدوا أهله، جلال العلم، ص (31).
(3) رد افتراوات المشيرين على آيات القرآن الكريم، محمد جمعة عبد الله، ص (278).
(4) الخنجير المسموم الذي طعن به المسلمون، أنور الجندل، ص (249).
(5) رد افتراوات المشيرين على آيات القرآن الكريم، محمد جمعة، ص (263).
تنزيه القرآن الكريم

نقل إدوارد سعيد في مقال له في مجلة "التايم" في إبريل 1979 م بقوله: "إن أكثر من ستمائة ألف من الكتب ألفت ضد الإسلام بواسطة المسيحيين الغربيين"(1)، فكم تراه ألف بواسطة الشرقين!

إذا ما خلا الجبان بآرض طلب الطعن وحده والالتزام

هذه الكثرة الكاترة من كتب الباطل لم تقلح - بفضل الله - في إبعاد المسلمين عن القرآن، ولم تشغله عن حفظه ومدارسته، فظلت جهود أهل الباطل أدراج الريح، بل كشفت أباطلهم - لمتأملها والناظر في ضحائتها - المزيد من صور عظمة القرآن وعوار الباطل وأهله الذين لا يبكيون أن يطقووا نور الله بآفواههم ويبالي الله إلا أن يعبدوهم وله كرمة الكائرون" (النبوة 2:32).

وبالرغم من ذلك، تكراها تكراراً مموجاً - في الغالب - لأباطل قديمة أجاب عن معظمهم الإمام الباقلاني (ت 940 هـ)، بل أجاب عن بعضهم الذين بنفسه قبل أن تلوكها الألسنة بأزيد من ألف سنة، وأنا الجدير في هذه الشبهات فإنها أورده الفقري وقد استجذبهم من جهل سبقوا في ظلاتها أسلافهم "قل كنتما بالحق لما جاءكم نهتم في أمر مريح" (ق: 5).

وقد أعرضت عن التصريح بأداء أصوات هذه الأباطل لتعدد جهاته، فلم تعد هذه الأباطيل حبيبة كتب المستشرقين وأزالاهم، بل أضحت بضاعة تلوكها الألسنة في القنوات الفضائية وتناسلها رواد مواقع الإنترنت، وكثيراً ما استقبلت بعضها على وسيلة الفيديو الرقمي، فلشيوعها وتعدد مصادرها أجملت نسبتها إلى قاتلتها، بقولي: (قالوا).

وأما كان هذه الأباطيل أن تؤثر في المسلمين أو ته ثقتهم بقرآنهم إبان خضوعهم الحضارية وتلائم معرفتهم بدينهما وإسلامهم بلغة العرب وضروب البيان فيها، لكن

(1) خسون ألف خطا في الكتاب المقدس، أحمد ديدات، ص 209.
الشكوك في القرآن تقف - اليوم - في أقدم خواقة من أبناء المسلمين; تغلغل جهلاً مطبقاً عنهم بلغة العرب؛ جهل انضاف إليه سوء فهم لموارد الكلام وقولة علم ودراية بفنون التفسير والبيان.

وقد أثير علنا الإسلام قديماً في التصدي لهذه الأباطيل، وبرعوا في تفنيدها في كتبهم التي خصوها ليبان غريب القرآن وكشف مشكلته، كـ تعارض المسروق لكثر من موارد سوء الفهم لأيات القرآن الكريم.

وأجاد طلاب العلم من بعدهم تبسيط علوم السابقين وتقريرها لعوام المسلمين اليوم، لتكتمل الجهود بها لم يبق مطمّئاً لصاحب دلو راغب في إضافة جديد إلى بحر علومهم الرقاق.

وقد أقبلت على كتبهم وبحوثهم ومقاتلتهم ومواقعهم الإلكترونية متعلقة، ثم رأيت أن أبداً من حيث انتهاو، فأكمل جهودهم بمزيد عناية واستدلال هذه الأطباق الفواحة، لتكون قريبة إلى عوام المسلمين اليوم؛ مجردة عن الأقوال المطولة والوجوه الكثيرة المشعبة في الأجوبي، فتشعبها قد يطرد له الالقاء، لكن ينتبه في غوره ونجمه المبدئون، وما أكثرهم في هذا الزمان.

ولست أعز أني قد تبعت كل الشهادات والأباطيل المتعلقة بالقرآن، كني جهدت في استقصاء أهمها بما قدّرت عليه، وقد أعرضت عن شبهات وأباطيل يطرحها بعض المستكبقين لضعفها وتهافتها، ومن ذلك استنكار البعض مسألة نجاة فروعون بذلته التي ذكرها القرآن (انظر يونس: 92)، بينما هو يذكر في موضع آخر غرقة، فإنها البدن - كـ لا يخفى – إنها كانت بعد مثوبه وغرقه.

وإثارة - كذلك - استنكار البعض ذكر القرآن صوم مريم، مع قوله:

وهُزِّي إِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّعْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَبَّيْاً جَيِّبًا١٠٥٣٣٨٤٥٦٥٧٠٥٦" (مريم: ٢٥-٣٦)، إذ صيامها مختص بالكلام، ولا بالطعام والشراب إن تُذْرَت للرَّحمِنِ
صُمُوْمًا فَلَنْ أَكْلُمُ الْيَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ (مَرِيَمٌ ٢٦).

ويسر رابطة العالم الإسلامي أن تتقدم بهذا الجهد ذبابةً على القرآن الكريم وقياماً ببعض الواجبات تجاه كتاب ربه العزيز، ونسأله أن يبارك في هذا الجهد، وأن يثبتنا عليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

***
منهج المبطلين في إثارة الأباطيل عن القرآن

لعل من المناسب قبل الشروع بذكر تفاصيل الأباطيل المثارة عن القرآن أن نتوقف مع بعض معالم النهج الذي درج عليه مثروح، حين افتقدوا كل صور الموضوعية العلمية، ولم يتركوا التبغ منصفًا بابًا للاعتذار لهم بعدم الجهل أو سوء الفهم، كيف يعذرهم وهو يلمح في هذه الشبهات والأباطيل معالم رئيسة مخزية لا تطغى على متأمل حصف:

أ. الكذب على اختراق الأبطول:

الاذب حيلة من لا حيلة عنه ولا دليل، وهو مسلك درج في ظلاته مثير للشبهات والأباطيل حول القرآن الكريم حين أعيته الخيل أن يجدوا في القرآن مطعومًا ومملأًا، فلما علموا أن الكذب بضاعة ينطلي باطلها على الكثيرين من الدهماء والعامة الذين لن يتسير لهم اكتشاف هذه الأكاذيب؛ أفرعوا فيه سفنهم، فما زالوا يكذبون، حتى إنهاش كثرتهم صدقوا أنفسهم فيما يدعون.

وصور كذبهم كثيرة، أكتشفت بالتمثيل لما مبتدأً به قاله وهيب خليل في سياق حديثه عن معجزات المسيح المذكورة في القرآن: "إن كان بعض المنصورين يحاولون أن يقللو من شأن السيد المسيح في المقدمة قائلين: إنهصنع هذا بأمر الله، فنجد أن الإسلام يشهد أن هذه المقدمة هي الله فحسب".

ومن المعلوم عند كل مسلم أو غيره مطلع على القرآن الكريم أن الذي أحال معجزات المسيح إلى قدرة الله وإذنه هو القرآن الكريم، وليس مفسروه ويدل على أن الفقه من الطلي كهيئة الطير بإذن الله فتتلقف فيها فتكون طيراً بإذني الله" (المائدة: 110).

ومن الكذب زعيم مؤلف كتاب شهير: اختصر باثارة الأكاذيب على القرآن "التتميزات على القرآن" أن حفاظ القرآن الأربعة ماتوا قبل جمع القرآن في عهد

(1) استحالة تحقيق الكتاب المقدس، وهيب خليل، ص (136).
تنزيه القرآن الكريم

أبو بكر الصديق: "أبو الدارداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد...
فإن هؤلاء الأربعة ماتوا قبل جمع القرآن.. وما رأي أبو بكر هذا الحال جزء من ضياع القرآن".

وقولهم هذا كذب صراح ولا ريب، لأن هؤلاء الأربعة أدركوا جميعاً عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، أي أدركوا جمع أبي بكر، فأبو الدارداء ولي قضاء دمشق في عهد عمر، ومات قبل موت عثمان بستين.
ومعاذ بن جبل مات في خلافة عمر في طاعون عماس سنة 17 هـ، وأما ثالثهم زيد بن ثابت فهو من جمع القرآن في عهد الصديق ثم عثمان.
ومات سنة 45 هـ أي في زمن معاوية رضي الله عن الجميع.
ورابعهم أبو زيد سعد بن عبيد الأنصاري، وقد قتل يوم القادسية في زمن الخليفة عمر بن الخطاب.

ومن صور الكذب أيضاً طعن القس العربي الفلسطيني أنيس شروش في عربية القرآن أمام جهور من الأعيام الذين لا يعرفون العربية، بقوله: "لكن محمدًا استعمل كثيراً من الكلمات والجمل الأجنبية في القرآن... في كتاب ادعى أن الله أوحاه بالعربية":، ومن المؤكد أن القارئ العربي يعرف أنه لا يوجد في القرآن جملة واحدة غير عربية، فقد نزل بلسان عربي مبين، لكن الدكتور شروش يهدي بهذا أمام أعيام، ولا يستحي من الكذب عليهم.
ولما أراد القبطي الأرثودكسي ثروت سعيد تركيبة المسيحيين واعتبارهم مؤمنين بشهادة القرآن الكريم قال في كتابه "حقيقة التجسد"، الذي قدمه

(1) تعليقات على القرآن، ص (29).
(2) انظر تراجع الأربعة في الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر (4/747، 6/126، 136/2، 203، 592/2، 3/8، 128).
(3) مناظرة: القرآن الكريم والكتاب المقدس. أيها كلام الله؟ أحمد ديدات وأنيس شروش، ص (111).
عن دعاوى المبطلين

وراجعه له كل من الأنبا الكاثوليكي يوأنس زكريا والقس البرتستنطي الدكتور ميحي عبد النور: "إذا كان اعتقاد القرآن بشرك النصارى؛ فلماذا يصرح في آياته بحلل الزواج من أهل الكتاب.. كما أن النبي الإسلام تزوج من اليهوديات والمسيحيات، وهن: مرمم القبطية، وأنجب منها إبراهيم (المسيحية)، وربانان بنت شمعون النضيرية (اليهودية)، وصفية بنت حيي بن أنطوب القيروانية (اليهودية)، وجوهرة بن الحارث المصطفية (اليهودية)".

وقوله بزواج النبي ﷺ من اليهوديات ومسيحية كذب صراح، فإنها تزوجه رسول الله ﷺ بعد دخوله في الإسلام.

ويكفي في بيانه أن نقل بعضًا من الحوار الذي جرى بين النبي ﷺ وصفية حين أراد الزواج بها، فقد قال لها: "اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكت على نفسك، وإن اخترت اليهودية فعسّي أن أعنيك فتلهقي بقومك". فقامت صفيّة: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، وما لي في اليهودية أربعمائة دينار، وخيرني الكفر والإسلام، فهنا ورسوله أحبل إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي". فتزوجها رسول الله ﷺ وهي مسلمة،

وأما ريحانة فتكتذب دعوى المبطلين، وذكر أن رسول الله ﷺ تزوجه بعد أن أسلمت، وتقول: "إني اختارت الله ورسوله، فلما أسلمت أعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني، وأصدقني نتني عشرة أوقية".

ويواصل شرّث سعيد الكذب فيزعم أن قوله تعالى: "وإن صمتِ إلا وارديما" (مرمم: 71) ينفي بدخول النار والإحرام فيها لكل بني آدم، وينقل عن

(1) حقيئة التجسد، ثروت سعيد رزق الله، ص (192-193).
(2) أخرجه ابن سعد في الطباقات (8/123).
(3) أخرجه ابن سعد في الطباقات (8/130).
"جلال الدين يفسر كلمة "وابعدها` بالدخل والاحتجاط"، وقد كتب في
نسبة الإحرار إلى السيوطي، فهو غير موجود في شيء من كتبه.
ثم يمضي المبطل فيشهده لكذبه وباطله بقول النبي ﷺ: "الورود الدخول،
ولا يبقى بـك ولا فاجر إلا دخلها"، والحديث الذي يشهد به ضعيف لا يصح
نسبته إلى النبي ﷺ، وهو أمر قد جهله فيففي عنه في ذلك، لكن شيئاً لن يبرر ناقله
من الحديث ما يروقه له، وإعراضه عن تمامه، لنافضته قوله ودحضه كذبه،
فالحديث بتهامة: "الورود الدخول، ولا يبقى بـك ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على
المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار - أو قال: جهنم -
ضميجة من بردهم "فَمَّا يَجِيِّعُ اللَّهُ الْذَّينَ أَفْصَلُوا وَيَبْذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جَيْبًا" (مريم: ٢٢)"، فخالقة الحديث تثبت نجاة المؤمنين من الإحرار، لكن الكذب
والتدليس حيلة من لا حيلة عنده.

أ. تحرير معاني النصوص وتفسيرها بمعان مشكلة:
يلجأ الطاعون في القرآن إلى تحرف ألفاظ النصوص الإسلامية وتفسيرها
بمعان مشكلة لا يوافق عليها عالم من علماء المسلمين، ومن ذلك قول الابا
شنودة: "وم يقتصر القرآن على الأمر بحسن مجاولة أهل الكتاب، بل أكثر من
هذا، وضع القرآن التصاري في مركز الإفتاء في الدين، فقال: "إِن كُنْتُمْ فِي شَكّ
مَا أَنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ فَاسَأَلُوا الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ" (سُورَةُ النُّحل: ٩٤)، وقال
أيضاً: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِيَاذًا تُوْجِي إِلَيْهِمْ فَاسَأَلُوا أَهْلَ الْذَّكْرِ إِن كُنْتُمْ
لا تَعْلَمُونَ" (النحل: ٤٣)".

(1) حقيقة التجسد، ثروت سعيد رفيق الله (35).
(2) أخرجه أحمد في المسند (١٤٥٦٠)، والحاكم في المستدرك (٤/٦٣٠)، وضعه الآلباني في
السلسلة الصغرى (٢٧٤).
(3) بين القرآن والمسيحية، الابا شنودة، ص (٤)، وسيأتي ذكر هذه الأبطال.
ومثله في تخريج معاني النص القرآني قول مؤلفي كتاب "تعليقات على القرآن" في تعليله على قوله تعالى: (ما فرّطنا في الكتاب من شيء) (الأنعام: 38): "لا شك أن القرآن لا يشتمل على أكثر العلوم من المسائل الأصولية والطبيعية والرياضية والطبية، ولا على الحوادث اليومية، بل ولا على ذات قصص الأنباء؛ فإذن لا يكون كلامه هذا مطابقاً للواقع"، فقد جهلو أو تجاهلوا أن آية سورة الأنعام لا تتعلق بالقرآن، بل بالروح المحتفظ الذي كتب الله فيه مقدمات كل شيء، قال الطبري: "فالرب الذي لم يضع حفظ أعيال البشر والدواب في الأرض والطير في الهواء، حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب، وحشرها ثم جازها على ما سلف منها في دار البلاء؛ أحرى أن لا يضع أعيالكم، ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجتازونها".

والآية بنمطوقها واضحة في الدلالة على هذا المعنى الذي ذكره الطبري: "وما من دانية في الأرض ولا طائر يُطبث بجناحيه إلا أقسم أمتلكم ما قُرْنًا في الكتاب من شيء ثم إلى رحمٍ يُشترعون" (الأنعام: 38)، ومثلها قول الله: "وما من دانية في الأرض إلا على الله رزقها ويلهم مُستقرها ومُستودعها كُل في كتاب مبين" (هود: 6)، فالكتاب الذي حوى مقدمات الخلاص وأركانها هو اللوح المحتفظ؛ لا القرآن الكريم.

ثم لو فرضنا أن القرآن هو مقصود قوله تعالى: (ما فرّطنا في الكتاب من شيء) فإن هذا العموم يفهم منه العقلاء عنيى مخصوصاً يفهم من السياق، إذ من السخيف بل والخيل أن يظن ظان أن النبي ﷺ حين قرأ هذه الآية قصد أن القرآن يجوز أعيال رجال قريش أو أطعمة فارس أو أعيال البهائم التي خلقها الله، فهذا

(1) تعليقات على القرآن، ص (20).
(2) جامع البيان (111/45).
لا يخطر بالقل بوال كفر بالقرآن وجدت، لأنه سيحمل العموم في قوله "مَنْ شَعِيَّةٍ"، على المعنى المخصص للأثاث به ككتاب ديني، أي ما فرطنا في الكتاب من شيء ينصح بحياة الإنسان في ديناه وأخراه، فالقرآن سوى كل ما تحتاج البشرية مما يختص بذكره النبوات.

ومن صور التحريف للمعاني ما صنع القس أنيس شروش مع مستمعيه الإنجليز بقوله: "أنتو معشر المسلمين تعتقدون أن المسيح ما زال على قيد الحياة.. لكننا إذا قارنا هذا بما جاء في القرآن فإنا سنجد تناقضًا، فإن القرآن يقول: "وَالسَّلَّامُ عَلَيْ يَوْمٍ وَلَدَتْ وَيَوْمٍ أُمُوتْ وَيَوْمٍ أُبْعَثُ حَيًا" (مريم: 33)" فأها بالعربية صحيحة، ثم ترجحه لمستمعيه: "وسلام على يوم ولدت، ويوم مت، ويوم أبعث حيا"، فحوَّل الأفعال المضارعة - التي يراد منها المستقبل - إلى أفعال ماضية ؛ مستغلًا جهل مستمعه بلغة العرب.

ومن تحريف المعاني زعم القمص زكريا بترس في برنامجه في قناة الحياة أن في القرآن كلمة يستحي القمص من قوله أمام المشاهدين، وهي كلمة (النكاح) التي يفهمها - عقله الكليل - بمعنى الجائع.

(1) وأمثال هذا العموم - الذي يراد به خصوص يفهمه العقلاء - كثير في القرآن وفي كلام العرب، وحديث العقلاء، كقوله تعالى عن ملكة سبأ: "وَأُوْيِتْ مِنْ قُلُوبِ شَيْعٍ (النمل: 23)، فلم يفهم منه سباحة على السلام - ولا العقلاء من بعده - أن ملكة سبأ أُوْيِتِ الطائرات والصواريخ والأقمار الصناعية، بل معتاه عند جميع العقلاء أنها أُوْيِتِ من كل شيء يؤهلاً الملك عادة، ومهله أيضاً في كلام الناس - اليوم - كثير، كقول الأساتذة: لم يجعل أحد من الطلاب، ومقصوده - ولا ريب - الحديث عن طلاب مادته أو فصلهم أو مدرسته فحسب، فهو عموم يراد به معنى خصوص.

(2) القرآن والكريم والكتاب المقدس. أين حال كلام الله؟ أحمد ديدات، ص (45).

(3) انظر الحلقة الثامنة والثلاثون من برنامجه "آسية عن الإبان"، ويأتي جواب هذه الأبطولة.
ج. بتر النصوص و‧أخراجها عن مساقها:

ويعتمد مثير الأباطرة - وهم يستشهدون بالمصادر الإسلامية - إلى بتر النصوص و‧اختراقها، فيختارون من النص ما يعجبهم، ويبدعون ما لا يوافق هواهم و‧باطلهم، ومن ذلك ما صنع القُمس زكريا بطرس وهو يستدبر لمساقه التثليث بقوله تعالى: \"إنَّا المَسِيحُ عِيسَى بنَ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ أَلْقَاها إِلَى مَرْيَمَ وَزُوَّحَ مَنْهُ \" (النساء: 171)، فقد تعاملا عن أول الآية و‧تمامها، لما فيها من تنديد بالتثليث و‧وعد لآلهة \"إنَّا أَهْلُ الْكِتَابِ لَا نَتَّخِذُوا فِي دِينِنَا وَلَا نَتَّقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ \" إنَّا المَسِيحُ عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ أَلْقَاها إِلَى مَرْيَمَ وَزُوَّحَ مَنْهُ قَأَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلُهُ وَلَا نَتَّقُولُوا ثَلَاثَاءَ أَنْ تَمَّ أَحْيَاءُ مِنْ أَخْرَى لِكُمْ إِنَّا إِلَى اللَّهِ وَاحِدٌ سَبِيْحَانَهُ،

أن يكون الله وَلَدَّ نَمَا في السَّابِعَاتِ وَمَا قَطَّعَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكَفِيلًاثلَاثَاءَ أَنْ تَمَّ أَحْيَاءُ مِنْ أَخْرَى لِكُمْ إِنَّا إِلَى اللَّهِ وَاحِدٌ سَبِيْحَانَهُ،

وَيَسْتَكِبِرُونَ بِخَشْرِهِمْ إِلَى جَيْعَانٍ (النساء: 171-172).

وهو البتر للنصوص عادة للقمص زكريا بطرس لا يمل من معاردتها في برامج الفضائية، ف حين أراد الاستدلال على صحة كتابه المقدس زعم أن القرآن لا يقول بالتحويل النظي لـالتوراة والإنجيل، بل يقول بوقوع التحريف المنعوي فقط، واستدل لذلك بإجابة في تفسير البيضاوي بعد اجتذاب كلام البيضاوي،

ويقول القمص: \"يقول البيضاوي: "أَنْتُمْ مُنْتَظِمُونَ أَنَّهُمْ لَكُمْ يعني اليهود، \"وَقَدْ كَانَ فِرْقَةً مِنْهُمْ طَائِفَةً مِنْ أَسَالِفِهِ طَائِفَةً مِنْ أَسَالِفِهِ كَلَّامَ اللَّهِ يعني النَّورَةِ،\" ثُمَّ عَقِبَ عَلَى كَلَامِ البَيْضَاءِيِّ بِالْقُولِ (مَشَّ [مِن] يَغْيَروهُ الأَلْفَاظَ وَالكَّلَامِ).

وقد تعمد القمص بتر كلام البيضاوي الذي تحدث عن نوعين من التحريف: أولها تحريف الألفاظ، والآخر تحريف المعاني الذي ذكره القُمس.
وعبارة البيضاوي بتهمها: "لا ينبغي "كنعت محمد ، وآية الرجم . أو تأويله فيفسرون بها يشتهون"(1) ، فحادف من عبارة البيضاوي قوله: "كنعت محمد
وآية الرجم" لما فيها من إشارة إلى تحريف الألفاظ.
وداع القمص هذا الصبيع ثانئ، وهو ينقل قول البيضاوي في تفسير قول الله تعالى: "من الذين هادوا قرُونَ الكلمة على موضعهم"، فنقول عن البيضاوي أنه قال بالتحريف العلوي دون اللفظي ، فقال: (قال البيضاوي: "قرُونَ الكلمة أي يميلون عن مواضعه التي وضعه الله فيها; أي يؤلونه على ما يشتهون، فيميلونه عا أنزل الله فيه")
وقد بتر منه ما يخالف مقصده ويفتند استدلاله، فعبارة البيضاوي بتهمها:
"قرُونَ الكلمة أي يميلون عن مواضعه التي وضعه الله فيها; بإزالتها عنها وإثبات غيرها فيها. أو يؤلونه على ما يشتهون فيميلونه عا أنزل الله فيه"(2).
ومن صور الطر والتحريف ما رأيت عند عدد من كتاب النصارى وقمسهم(3)، فقد زعموا أن الرازي كان يستشكل القول بنجاة المسيح من الصلب ووقوع الشبه على غيره، ونقلوا عنه قوله: "باجملة فكيف كان، ففي إلقاء شبهه على الغير إشكالات: الإشكال الأول: إنه لو جوزنا إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر لزم السفسطة .."، ثم يسوقون كلامًا طويلًا للرازي ملخصه أن القول بصلب غير المسيح بدلاً عنه في ست إشكالات، نقل هذه الإشكالات عنه ثروت سعيد، وعقب عليها بالقول: "انتهى للإمام فخر الدين الرازي، ولا تعليق".

(1) أنوار التنزيل، البيضاوي (170).
(2) المصدر السابق (171/1).
(3) أنظر: حقيقة التجديف، ثروت سعيد، ص (325)، وقد صنعه القس أسعد وجهة في مناظره لي حول مسألة "صلب المسيح في العهد الجديد"، وهي مشورة على الشبكة العنكبوتية.
هو يوهم قراءه أن هذه الإشكالات يستشكلها الرأزي، فيقول: "وهذا لم يكن بُد لعالم نزهك كالإمام العلامة فخر الدين الرأزي أن يفند قصة الشبه تفيداً محكياً".

والحق أن الرأزي رحمه الله ذكر الإشكالات الستة التي يستشكلها النصارى وغيرهم على قول القرآن بنجاة المسيح، ثم لما انتهى من سردها شرع في الرد عليها جميعاً، فقال: "فهذا جملة ما في الموضوع من السؤالات: والجواب عن الأول ... والجواب عن الثاني ...

وبعد أن رد عليها واحدةً واحدةً؛ ختم بنتيجة شافية كافية فقال: "وبالجملة فالأسئلة التي ذكروها أمور تتطرق الاحتمالات إليها من بعض الوجه، ولما ثبت بالمعجز القاطع صدق محمد ﷺ في كل ما أخبر عنه؛ امتنع صيانة هذه الأسئلة المحتملة معارضة للنص القاطع "، فتعامى ثورت سعيد وغيره من المبطلين عن إقامة قول الرأزي، ووقعوا في التدليس المشين حين نسبوا إليه قول النصارى الذي كان يرد عليه.

د. محاكمة القرآن إلى مصادر ومعلومات غير موثقة:

ويلجأ الطعونون في القرآن من النصارى في إلقاء شبهاتهم إلى محاكمة القرآن إلى مصادر مرفوضة ومطعون في موثوقيتها كالكتاب المقدس الذي يرى المسلمون والمحققون من أهل الكتاب أنه أسفار تاريخية كتبها مجهولون، ونسبت إلى الأئمة بلا سند يوثقه، وعلى فهده الكتب مزْروع في شهادتها، ولا اعتقاد ولا موثوقيته في أخبارها، التي يحاكم الطعونون القرآن بموجها، فيعرضونها وكأنها مستندات ووثائق تاريخية متفق على صحتها، ثم يتمتعون القرآن حين يجادلوها ويناقضها، أما إذا رأوه موافقاً لها فإنهم لا يخجلون من الزعم بأنه نقل منها، فلا يسلم منهم

(1) انظر: حقيقة التجسد، ثروت سعيد، ص (226-227).
(2) التفسير الكبير، الرأزي (8/225).
القرآن حال الموافقة ولا المخالفة.

ومن ذلك تكذيبهم القرآن حين خالفهم في تسمية والد إبراهيم عليه السلام ب "آز" (انظر الأعام: 46)، وحجتهم أن التوراة سمته "نارح" (انظر التكوين 11/27).

وكذلك كذبا القرآن الكريم حين تحدث عن كفالة زوجة فرعون لوسي (انظر الفصل: 9)، لأن التوراة تقول: إن الذي كفله ابنة فرعون (انظر الخروج 2/5-7).

وكذلك كذبا أن يكون لون بقرة بنى إسرائيل الصفار الفلاقي (انظر البقرة: 99)، لأن التوراة تقول تجعلها حمراء اللون (انظر العدد 19/1-4)، وكل هذه الأخبار التوراتية خاطئة، لا اعتقاد بها، وهي أضعف من أن تكون حجة على إخباري أو مؤرخ؛ فضلاً عن القرآن العظيم.

كما يروع الطاعون في القرآن بالغرائب الموجودة في كتب بعض المفسرين، وهي في جملة متناولة من مرويات وأخبار أهل الكتاب: فخلقون بينها وبين القرآن، ويروون معاني المتنكرة حجة عليه، وفي هذا مفاجاة للموضوعية؛ فإن كتب الرجال يتحل لها بالقرآن، ولا يتحل بها عليه.

ولعل من أهم صور ذلك قصة الغرابين التي أطلق على ذكرها الطاعون في القرآن، وقد بين عليه الإسلام بطلانها؛ وإن أوردها مفسرون ومؤرخون وصفهم القاضي عباس بأنهم "المولعون بكل غريب، المتلقون من الصحف كل صحيح وسقيم"، فلمولوه بذكر الغرابين أُثقلت مؤلفاتهم العظيمة بالإسرائيليات وسخيف مقولات الأمم التي تروي ما ترويه بلا زمام ولا قيد؛ فنقل الطاعون هذه المرويات، ولبسو على عوام المسلمين حين أوهوهم بصحة

(1) الشفا (125/2)، وسُبِّيَ بِهِ هَذِهِ الأُبْطُلَةُ.
عن دعاوى المبطلين

هذه الأقوال المنقولة في بعض كتب التفسير، ولا ينسى الخباء – في مثل هذه الحال – ذكر أرقام الصفحات التي نقلوا عنها؛ يرومون بذكر هذه التفاصيل مزيداً من الخداع لعوام المسلمين لإيهامهم بصحة ووثاقته المعاني المستفادة الموجودة في تلك الروايات التي نقلها المسلمون الأقدمون في كتبهم عملاً.

بالقاعدة المشهورة عنهم "مَن أَسْتَنَدْ لَكُ فَ قَدْ أَحَالَكَ".

ومن ذلك ما نقله الطايعون عن بعض كتب التفسير لقوله تعالى: "وَهَلْ آتَالَ نَبِيٌّ الْخَيْصُمْ إِذْ تَسُوَّرُوا الْمُحْرَابٍ" (ص: 21)، فقد أوردوا قصة مزعومة باطلة، وملخصها أن داود عليه السلام رأى امرأة جارية تستحم، فأولع بها، فأرسل زوجها للقتل في الحرب، ثم تزوجها، وأن الله عانبه على فعله، فبكي أربعين يوماً حتى نبت العشب من دموع عينيه"، فهذه القصة الخرافية المستنكرة في معانيها منحولة في أصلها من أسفار التشوفة (انظر: صموئيل 11/1-27)، ولم ترد في كتب المسلمين مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح أو ضعيف.

ومثله استشهاد الطايعون في القرآن بها زوج عن بعض السلف أنهم قالوا في تفسير قوله تعالى: "قُ قُلِّ الْقُرَآنُ الْمُحْيِيدُ" (ق: 1-2): "ق، جبل مهبط بجميع الأرض، يقول له جبل قاف"، وعقب ابن كثير على هذا القول الغريب: "وكان هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، ليا رأى من جزاء الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندى أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاقي بعض زنادقههم، يُبِسُّون به على الناس أمر دينهم".

ومثل الاستشهاد بها ذكره المفسرون في تفسير قول الله: "وَلَقَدْ قَُتِّيْنَا سُلْطَانًا وَأَلَفْتَنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَّادًا ثُمَّ أَتَابَ" (ص: 34)، فذكرنا قصة عجيبة، ملخصها

(1) انظر: جامع البيان، الطبري (21/3). (184).
(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (4/2). (282).
أن شيطناً ألقى عليه شبه سليهان، فكان يأتي نساءه".

قال أبو حيان الأندلسي: "نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالاً يجب براءة الأنباء منها، يوقف عليها في كتبهم، وهي ما لا يجل نقلها، وإنها هي من أوضاع اليهود والزناة، ولم يبين الله الفتنة ما هي، ولا الجسد الذي ألقاه على كرسي سليهان، وأقرب ما قيل فيه: إن المراد بالفتنة كونه لم يستن في الحديث الذي قال: "الأطرف الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة نأتي بفارس يجادل في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليها، فلم تعمل إلا امرأة واحدة، وجاءته بشق رجل".

فهذه المنقولات وأمثالها في كتاب التفسير، والكثير منها لا ينسب إلى النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف، ولا يدل أن تعتبر تفسيراً لآيات القرآن، فإن فيها ما يصد عن القرآن، ومفسح المجال لأصحاب الأباطيل للطعن في القرآن الكريم والتليلس على الناس بهذه المرويات الفاسدة.

***

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القروي (١٥٠٠ / ٢٠٠).
(2) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٧/ ٢٨١)، والحديث مروي في الصحيحين، أخرجه البخاري ح (٤٢٤)، ومسلم ح (١٦٥٤).
القرآن كتاب الله المحفوظ

"إِنَّا نَحْنُ ۛ مَلَكُونَ الْأَرْضِ وَمَلَكُونَ السَّمَاوَاتِ وَكَانَ اللَّهُ خَلاَفَٰنَا (الحجر: 9).

عهد الله بالكتب السابقة إلى أصحابها فأضاعوها وبدلها، فصان الله كتابه الأخير عن عبث البشر وتخريبهم، وتعهد بحفظه، فإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم جهيد (فصلت: 41-42).

وإنذاراً لرود الله بحفظ كتابه الأخير قيض عز وجل أسباباً كثيرة; حفظه من خلالها، وجعلته مخصوصاً بين سائر الكتب الدينية والدنوية بحفظ ملايين المسلمين.

عبر القرون.

نزل القرآن الكريم في أمة أمية تعتمد الحفظ القلبي طريقاً لحفظ تراثها وأشعارها وأناسها، لا تجد عنه بديلاً، فراعى الله حاليهم وأنزل عليهم منجباً مرفقاً في ثلاث وعشرين سنة، فسهل عليهم حفظه: "وَقَالَ الْمُلُوكُ ۛ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَّلْ عَلَيْهِمْ الْقُرآنُ جَمِيعَهُ وَأُحِجَّةٌ كَذٰلِكَ لَيُبِّئُ بِهِ فَوَازِدَكُمْ وَرُزِّيْنَا تَزِيْنَاهُ (القرآن: 23)." وقريناً قريناً لتقرآً على الناس على منكث وترنيم تنبيل (الإسراء: 101).

وكان أول حفظ الله للقرآن أن مكنه في قلب النبي الذي حرص على تلقي القرآن بعناية وحفظ، وكان يردده حال سباحته له من جبريل عليه السلام، خشية أن يفوته منه شيء، فطمأن الله قلبه وهذا روعه، وأعلمه أن القرآن محفوظ في قلبه بحفظ الله: "وَلَا تَعْجُلَ بِالْقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أَن يُنْصَبَ إِلَيْكَ وَحِينَ وَقُلْ رَبِّ زَدْنِي عِلْيَةً (طه: 41)

وهو محفوظ من بعد ذلك: "لَا تَجَزَّكَ بِلِسَاتِكَ لِتَعْجِلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَعْلَةً وَقُرَآتَهُ (القيامة: 16-17).

قال ابن كثير: "هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله في كيفية تلقية الوحي من الملك، فإنه كان يخير إلى أخذه، ويساق الملك في قراءته، فأمره الله - عز وجل -
إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكف الله له أن يجمعه في صدره، وأن يسره لادائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبدي له ويفسره ويوضحه، فحاله
الأولى: جمعه في صدره، والثانية: تلاوته، والثالثة: تفسيره وإيضاح معناه'.'
ولزيد من الحفظ للقرآن وتثقيف حفظ النبي ﷺ كان جبريل عليه السلام ينزل
عليه كل عام في شهر رمضان يدارسه القرآن، فلا تفلت منه شيء، يقول ابن عباس
رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان؛
حين بلقاء جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، يدأرسه القرآن، فرسول الله
أجود بالذكر من الريح المرسلة)."
وخلال ثلاث وعشرين سنة بقي القرآن الكريم موضع اهتمام النبي ﷺ، يتولى
نفسه إقراة أصحابه وتعليمهم القرآن؛ بل وتحفظهم سوره، يقول ابن مسعود:
(أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة).
وكان هذا ديدته حتى مع المسلمين الجدد، فكان يتعاهدهم بها قد فاتهم من
القرآن، فإذا ما شغله أمر أصحابه بتعليمهم بدلاً عنه، يقول عبادة بن الصامت: (كان
رسول الله ﷺ يشغله، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا بعلمه
القرآن، فدفع رسول الله ﷺ إلى رجل، فكان معي أعمي عشاء أهل البيت، وأُقرره
القرآن)."
ويمثل هذا الخير البالغ من النبي ﷺ كان الصحابة رضوان الله عليهم,
فقد كانوا يتبعون ما ينزل من القرآن في كل يوم، ولا يشغلهم عنه شيء من أمور

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (4/577).
(2) أخرجه البخاري ح (66)، ومسلم ح (2308).
(3) أخرجه البخاري ح (5000)، ومسلم ح (2462).
(4) أخرجه أحمد ح (2266).
الدنيا، يقول عمر بن الخطاب ﷺ: (كنت أنا وجار لي من الأنصار من عوالي المدينة وكننا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جثته يختر ذلك اليوم من الوفي وغيره، وإذا نزل فعل ما ذكر (1).

وأما عبد الله بن عمرو بن العاص فقد شكته زوجته إلى رسول الله ﷺ لاستغراقه في العبادة وفي قراءة القرآن عن واجبات الزوجية، فسأله النبي ﷺ: «وكيف تgems؟» فقال: كل ليلة. فقال ﷺ: «صم في كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر».

لكن عبد الله كان ذا همة عالية، فقال: أطيق أكثر من ذلك. فقال ﷺ: «صم أفضل الصوم صوم داو، صيام يوم وإنكار يوم، واقرأ [أي القرآن] في كل سبع ليال مره، فأقام دهراً يقرأ القرآن كل سبع ليال حتى كبرت سنه، وشق عليه ذلك، فكان يقول: لينتي قبلت رخصة رسول الله ﷺ، وذلك أن كبرت وضعتها. فكان يقرأ على بعض أهل السفاح من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل... كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي ﷺ عليه (2).»

وأما ذو النورين عثمان بن عفان صهار النبى ﷺ وجامع القرآن، فتذكر زوجته نائلة بنت الفرافضة الكلبية أنه "كان يحيي الليل كله في ركعة يسمع فيها القرآن" (3).

وأما أبي بن كعبة فتنقل أبو المهلهب أنه كان يختم القرآن في شهان ليال، بينها

(1) أخرجه البخاري ح (89)، ومسلم ح (141).
(2) أخرجه البخاري ح (52).
(3) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ح (120)، وابن أبي شيبه في مصنفه ح (371).
كان تيم الداري يختتمه في كل سبعٍ، وأحياناً كل ليلة (1).

وحدثنا النبي ﷺ عن ظاهرة عرفها تاريخ الإسلام منذ عهد الصحابة الكرام، وهي قيام الليل بآيات وسور القرآن الكريم، فيقول: "إني لأعرف أصوات رفتحة الأشعياء بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أزر منازهم حين نزلوا بالنهار" (2).

وحتى ثبت القرآن في صدور الصحابة ﷺ نهج النبي ﷺ نهجاً قوياً رسول خلفهم ووجد تعلمهم للقرآن، يقول التابعي أبو عبد الرحمن السلمي (3، حدثني الذين كانوا يقرؤونوا: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب - رضي الله عنهم - أن رسول الله ﷺ كان يقرؤهم عشر آيات، فلا يتجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلمو ما فيها من العمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعمل معاً) (4).

وتعاهد النبي ﷺ أصحابه، فكان يقرؤهم، ويسمعهم، فهذا أبي بن كعب يأتيه رسول الله ﷺ، ويقول له: "إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا«، وفي لفظ: "إني أقرئت القرآن، قال: الله سماح لك؟ قال: "نعم"، فبكى أبي» (5).

ووهذا أبو موسى الأشجعي كان من نجباء الصحابة، وكان من أحسن الناس صوتاً، سمع النبي ﷺ قراءته، فقال مشجعاً له: "لقد أظنت مزماراً من مزمار آل داود" (6).

وأما عبد الله بن مسعود فجلس إلى النبي ﷺ، فقال له: "إقرأ علي". فقال: يا

(1) انظر: فضائل القرآن، ابن كثير (1/165).
(2) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (371).
(3) أخرجه البخاري (432)، ومسلم (2499).
(4) أخرجه ابن مجاهد في كتابه "السجدة في القراءات"، ص (26).
(5) أخرجه البخاري (4961)، ومسلم (799).
(6) أخرجه البخاري (4968)، ومسلم (793).
رسول الله، أقرأ علىك، وعليك أنزل? قال: "نعم، أحب أن أسمع من غيري".

يقول ابن مسعود: فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: فكَيْفَ إِذَا جَتَتَا مِنْ كُلِّ أَمِّيّة يَسْهِيْد وَجَتَتَا بَيْكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيْدًا (النساء: 4)، فقال:

"حسبك"، فإذا عيناه تذرفان(1).

و حين ولي أبو الدرداء قضاة دمشق، كان يجمع الناس على مائدة القرآن، يقول سويد بن عبد العزيز: (كان أبو الدرداء إذا صلى الغدًا في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريفًا، ويقف هو في المحراب يرمضهم بصره، فإذا غط أحدهم يرجع إلى عريفه، وإذا غط عريفهم يرجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك، وكان ابن عامر عريفًا على عشرة، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامار(2).

و عن مسلم بن مشكم أن أبا الدرداء قال له: اعدد من يقرأ عندك القرآن؟ فعددتهم ألفًا وست مائة ونففًا، وكان لكل عشرة منهم مقرئًا، وكان أبو الدرداء يكون عليهم قائًا، وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء(3).

إن هذا الاهتمام من أصحاب النبي ﷺ أثر أكيد لما رأوا من حث النبي ﷺ لهم على تعلم القرآن، فقد استحثهم بقوله: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"(4)، وأخبرهم أنه "يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ وأصعد، فيقرأ، ويسعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه"(5)، فقراءة القرآن من

(1) أخرجه البخاري ح (4582)، ومسلم ح (800).
(2) معرفة القراء الكبار، الذهبي (1/141).
(3) معرفة القراء الكبار، الذهبي (1/142).
(4) أخرجه البخاري ح (270).
(5) أخرجه ابن ماجه ح (3780)، وأحمد ح (7167).
أفضل العبادات، و«الماهر بالقرآن مع السفرة الكريم»، والذي يقرأ القرآن، ويتتبع فيه وهو عليه شاق؛ له أجران».

وقد سارع الصحابة إلى حفظ سور القرآن ومدارستها، فكان من هم المئات من القراء، وقد أتم بعضهم حفظ كامل القرآن في عهد النبي ﷺ، فقد سأل قادة خادم النبي ﷺ أنفسهم: (أين، أليس بن مالك، فمن جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟ فقال أنس: (أريبة، كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد). ولم يقتصر حفظه على الرجال، بل حفظه المؤمنات في خدورهن، ومن حفظه أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاري، فأمرها النبي ﷺ أن تؤم أهل دارها، وكان لها مؤذنة، فكانت تؤم أهل دارها.

وحتى نقف على كثرة هؤلاء القراء في أول عصور الإسلام وقبل انتشار في الدنيا؛ يكفي أن نذكر بأنه قد قتل منهم في يوم بمر موعون سبعون.

وبعد وفاة النبي ﷺ قتل في وقعة البهجة الكثير من القراء أيضاً، مما استدعى الجمع الكثيبي، فقد قال عمر بن الخطاب خليفة المسلمين أبي بكر: (إن القتل قد استحر يوم البهجة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن)، فكان هذا سبباً في مبادرة الصحابة إلى جمع القرآن في مصحف واحد مكتوب في عهد الصديق.

إن الاهتمام البالغ في حفظ القرآن وتعلمه ليس خاصاً بالصحابة رضوان الله عليهم، بل هو دأب توارثه الأمة جيلاً بعد جيل، ويكفي في هذا الصدد أن ننقل بعض الأحاديث التالية:

(1) أخرجه البخاري ح (4931)، ومسلم ح (798)، واللفظ له.

(2) أخرجه البخاري ح (1465), ومسلم ح (1591).

(3) أخرجه أبو داود ح (2679) وأحمد ح (26).

(4) أخرجه البخاري ح (4986).
ونبدأ بخبر التابعي أبي عبد الرحمن السلمي، فقد تعلم القرآن من عثمان وعلي رضي الله عنهم، ثم كان يُقرأ الناس في المسجد أربعين سنة، وكان يعلمه القرآن خمس آيات خمس آيات.

وأما جاهد المكي فيقول: "ختمت القرآن على ابن عباس تسعًا وعشرين مرة". ولما حضرت الوفاة أبا بكر بن عباس بكث أخته، فقال لها: "ما يكيك، انظري إلى تلك الزاوية، قد ختمت فيها ثمانية عشرة ألف ختمة".

ولقد ورد عن عدد من التابعين أنهم كانوا يختمون القرآن خلال أيام معدودات لا تكاد تتجاوز أصبع اليدين الواحدة، أي كان القرآن نمتهم في النهار وأيسيهم في الليل، ومنهم مهدي بن المسبب وعشقمة والأسود النخعيين، فقد روى البيهقي عن إبراهيم النخعي أنه قال: "كان الأسود يقوم القرآن كل ست ليال، وكان عنقمة يقرؤه في كل خمس ليال".

وقال المروذي: "كان مهدي بن المسبب يختم القرآن في ليلتين، وكان ثابت البناني يقرأ القرآن في يوم وليلة... وكان أبو حرة يختم القرآن كل يوم وليلة، وكان عطاء بن السائب يختم القرآن في كل ليلتين...".

وقد نقل القرآن الكريم إلينا بحفظ الجموع عن الجمع في كل عصر، ويفضه اليوم الملايين من المسلمين في أصقاع الأرض، ليحقق القرآن وصف الله له بقوله في الحديث القدسي: "ومنزل عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان".(1)

(1) انظر هذه النافذ من العناية بالقرآن وغيرها في كتاب معرفة القراء الكبار، النذوري (11/197، 138، 53).
(2) أخرجه البيهقي في شهاب الإيام (396/2).
(3) نسخة الأحوذي، المباركفي (219/8).
(4) أخرجه مسلم ح (2865).
يقول ابن الجزيري: "الاعتداء في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا
على حفظ الصحاب والكتاب، وهذه أشرف خصيقة من الله تعالى لهذه الأمة ..
فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحفة تغسل بالماء، بل يقرأه في كل
حال، كما جاء في صفة أمه: «أناجيلهم في صورهم»

وهكذا كان الإقبال على القرآن داب الأمة المسلمة منذ الرزيل الأول وإلى يومنا
هذا؛ حيث نشهد ملايين الحفاظ في أقطار الدنيا، يقرؤونه غضاً كما أنزل على محمد
علي اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأجناسهم؛ ليحققوا موعود الله عز وجل بحفظ
كتابه في نآة تزنون الذكر، فإن لله حافظون» (الحجر: 9).

لقد حفظ القرآن كما نزل بلسان العرب، ولم يكن ذلك الحفظ خصوصاً بالعرب
 دون غيرهم من المسلمين، فمنات الألفور من يحفظون اليوم ليسوا من أهل العربية,
بل لربا حفظه من لا يكاد يعرف شيئاً عن لغة العرب ومعاني ألفاظها، فيقرأو بلسان
عربي مبين، كما يقرأه العربي سواء بسواء.

إن هذه الأعجوبة القرآنية لا مثيل لها عند أمة من الأمم، ومن أراد أن يقف على
عظمتها فليجرح حفظ قصيدة كتب بلغة يجهلها، ولسوف يشهد معنا أن حفظ
الجموع الكثيرة من الأعاجم للقرآن يوجه ساطع على أنه من عند الله، فقد يسر الله
تلاوة كتابه على الناس، بحيث يقرأه الصغير والكبير، والعالم والجاهل، ولقد يُسرَّنَّا
القرآن للذِّكَرِ فَهَّلٌ مِن مُذَكَّرٍ (القمر: 17)، فهذا التيسير لا يكون إلا لعظمة تعجز
عن بلوغها قوى البشر، وتلك دونها قدرتهم.

***

(1) النشر في القراءات العشر، ابن الجزيري (1/6)، والحديث أخرجه الطبري في معجمه الكبير ح
(2) 9903، والبيهقي في دلائل البناء ح (342).

(1) النشر في القراءات العشر، ابن الجزيري (1/6)، والحديث أخرجه الطبري في معجمه الكبير ح
(2) 9903، والبيهقي في دلائل البناء ح (342).
الجمع الكتابي للقرآن الكريم

إن تعاهد النبي ﷺ أصحابه في حفظ القرآن لا يوازي شيء إلا عنايتهم بالتوثيق الكتابي للنص القرآني، فقد كان النبي ﷺ يتعاهد ذلك بنفسه، والصحابية يكتبون بين يديهم ما ينزل من الوحي، يقول عثمان ﭘ: كان إذا نزلت عليه الآيات يدعو بعض من كان يكتب له، وقول له: "ضع هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا".

ولا يبطلهم عن ذلك ولا يقللهم كثرة آيات المقدر المنزل، فقد سارعوا إلى كتابة سورة الأنعام حين نزولها، مع أنها من أطول سور القرآن، وأنا مكية نزلت زمن الاضطهاد، يقول ابن عباس: (نزلت جملة واحدة، نزلت ليلة، كتبوها من ليلتهم).

وفي قصة إسلام عمر بن الخطاب ﭼ وهو من السابقين إلى الإسلام ما يشير إلى وجود كتابة للمصحف بين يدي الصحابة الذين كانوا يقرأون في بيت فاطمة بنت الخطاب، وكان خباب بن الأرت يقرؤهم القرآن في صحيفة.

وقد أولى النبي ﷺ المكتب بين يديه اهتماماً بالغاً، إذ كان يستنكر من دقة المكتوب بين يديه، يقول زيد بن ثابت: كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يملي علي، فإذا فرغت، قال: "اقرأه"، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه.

وخوفاً من تداخل المكتوب من القرآن مع غيره من كلام النبي ﷺ أمر ﷺ أن: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحته".

---
(1) أخرجه أبو داود (482)، والترمذي ح (3026)، واللفظ لأبي داود.
(2) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (3/1)، والقاسمي في مهاسن التأويل (2/647).
(3) أخرجه البزار (2769).
(4) أخرجه الطبراني في الأوسط ح (1885)، قال الهيثمي: "أخرجه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات". مجموع الزوائد (8/257).
(5) أخرجه مسلم ح (3004).
تنزية القرآن الكريم

جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر:
ولحق النبي ﷺ بالرفق الأعلى قبل أن يجمع هذا المكتوب بين يديه في مصحف واحد، كما نقل إلينا كاتب الوحي زيد بن ثابت بقوله: (قبض النبي ﷺ، ولم يكن القرآن جمع في شيء).

وبعد وفاة النبي ﷺ بدأ حروب المرتدين، وكان آشدها معركة الهزيمة التي قتل فيها قرابة الألف من أصحاب النبي ﷺ، وكثير منهم من القراء وحفظة القرآن، فاقترح عمر بن الخطاب على الخليفة أبي بكر الصديق جمع القرآن في مصحف واحد، خشية ضياعه بوافته المزيد من القراء، ووافق الخليفة على المقترح بعد طول تردد، وانتدب لجنة للقيام بذلك العمل العظيم برئاسة كاتب الوحي وحافظه الشاب زيد بن ثابت ﷺ، وإشراف عمر بن الخطاب ﷺ.

يقول زيد: قمت فتجبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكثاف والعصب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة النبوة آيتين مع خزيمة الأنصارى لم أجدهما مع أحد غيره: «لقد جاؤكم رسلُ من أنفسكم عزيرٌ عليكُم عليمٌ خيرٌ علىكم» (النبوة: 128) إلى آخرهما.

وكانت الصفح التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند خديجة بنت عمر ﷺ.

وتبين لنا رواية ابن أبي داود المهنج الذي اتبعه زيد في الجمع، إذ لم يعتمد محفوظات ومحفوظات الصحابة، بل بحث عن المكتوب بين يدي النبي ﷺ، واشترط لقبول أن يوثق بشهادة شاهدين يشهدان بكتابته من إملاء النبي ﷺ، يقول يحيى بن...

(1) أخرجه الدور عاقولي بإسناده إلى زيد بن حارثة في فوائده، كما نقل السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (16/1)، 1479.
(2) أخرجه البخاري ح (4).
عبد الرحمن بن حاطب: قام عمر بن الخطاب في الناس فقال: (من كان تلقى من رسول الله شيخًا من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيخًا حتى يشهد شهدان).

قال أبو شامة القدسي: (وكان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي، لا من مجرد الحفظ).

وهكذا أكملت اللجنة عملها بجمع ما كتب بين يدي النبي موثقاً بشهادة شاهدين على الأقل، يشهدان أنه كتب بين يدي النبي.

هل نقل شيء من القرآن بطرق الآحاد؟

ويعد على هذا الجمع شهبة، وهي قول بعضهم: القرآن لم ينقل كله بالنتوارة، بدلاً من زيد بن ثابت لم يجد خاتمة سورة براءة إلا مع خزيمة الأنصاري، وهو صحابي واحد، إذ يقول زيد: (فتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدر الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره (لاقد جاءكم رسول من أنفسكم غريب عليه ما عينتم خريص عليكم (إلى آخرها)).

والجواب: سبق الحديث عن حفظ الصحابة على عهد رسول الله لسورة القرآن كلهما، ومنها آيات سورة براءة، التي سأل زيد الصحابة عنها، فلم يعرفها أحد من سألهم إلا خزيمة الأنصاري، أي لم يجدها مكتوبة إلا عنده، فأثبتها في مصحف أبي بكر، وبدله عليه قول زيد: (نسخت الصحيفة في المصاحف ففقدت.

(1) أخرج أبى داود في كتابه المصاحف ح (32). (2) انظر الإتفاق في علوم القرآن، السيوطي (1/167)، وفتح الباري، ابن حجر (9/65). (3) أخرج البخاري ح (2479). (4) وسمت بعض الروايات (أبو خزيمة).
آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فلم أجدها إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري.\(^1\)

قال الزرقاني في بيان معنى قول زيد: "لم يجاد الآتيين اللتين هما ختام سورة التوبة مكتوبتين عند أحد إلا عند أبي خزيمة، فالذي انفرد به أبو خزيمة [أو خزيمة] هو كتابتهما، لا حفظهما، وليس الكتابة شرطاً في المتوارث، بل المشروط فيه أن يرويه جميع يؤمن تواطؤهم على الكذب ولو لم يكتبه واحد منهم، فكتابته أبي خزيمة الأنصاري كانت توتفقا واحتياطاً فوق ما يطلبه التواتر.\(^2\)

واستدلال ذلك لا يروي عن الصحابة من حفظهم لآيات الآتيين، أوهم زيد نفسه، فهو يعرف الآية، لكنه يبحث عنم يعرفها من أصحاب النبي ﷺ، كما فعل في سائر آيات القرآن، لذلك يقول زيد - كا في رواية البخاري -: (فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها، فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري)، فزيد يعرف الآية ويبحث عنم يعرفها من الصحابة.\(^3\)

وذلك فإن أبي بن كعب يحفظ آيات الآتيين، ففي تفسير ابن أبي حاتم أن أياً قال للصحابية لما ظنوا أن آخر ما نزل قوله: \(\text{"نمّ أنسى فروّاّ صَرِفَ اللهُ فُلْوَيْهاً"}\)، فقال: (إن النبي ﷺ أرأني بعد هذا آتيين: \(\text{"لَقَدْ جَاеِرُ كُمُ رَسُولُ مَنْ أَنْفِسُكُمْ إِلَى}\
\(\text{"لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"}\)).\(^4\)

---

\(^1\) أخرجه البخاري (2807).
\(^2\) مناهج العرفان، الزرقاني (98/1).
\(^3\) أخرجه البخاري (4049).
\(^4\) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (1919)، وأبي داود في المصاحف (97)، وأيبن ضريع في فضائل القرآن (216).
وفذالك يحفظها عمر، ففي مسند أحمد أنه قال: (وأما أشهد لسمعتها من رسول الله)﴾.

وفذالك يحفظها عثمان، ففي كتاب المصاحف أن عثمان قال: (وأما أشهد أنها من عند الله)﴾.

وفذالك سمع ابن عباس رضي الله عنها هذه الآية وتفسيرها من رسول الله ﷺ، يقول: سمعت النبي ﷺ قرأ: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} يعني من أعظمكم قدرأً﴾.

وقد جاء في روايات لا تخلو من ضعف عن أبي بن كعب أن قلعة من شهد هاتين الآيتين سببه أنها آخرى رأى من القرآن﴾.

وهكذا فهاتان الآيتين محفوظتان بحفظ الصحابة لها، وإن لم توجد مكتوبة إلا عند خزيمة، لكن يحفظها الصحابة حفظة القرآن، كي يحفظها زيد وعمرو وعثمان وأبي، وغيرهم من لا يعرف عددهم إلا الله تعالى.

(1) آخرجه أحمد (1717)، وفي إسناده محمد بن إسحاق، وهو مدلس.
(2) آخرجه ابن أبي داود في كتابه المصاحف ح (33).
(3) آخرجه الحاكم في مسندره (262).
(4) آخرجه الحاكم في مسندره (368).
الجمع العثماني:
وفي عهد عثمان الخليفة الثالث للنبي ﷺ قدم حذيفة بن الیاس إلى الخليفة يشكو اختلاف المسلمين في القراءة بسبب جهل الكثيرين بالحكمة من الأحرف السبع وألذى القراءة بها، لأن الله نزل القرآن بها جمعاً، فجعل بعضهم يقول: إن حرفه أصح من حرف غيره، وحصل بينهم مراه في الأحرف، وهي كلها قرآن منزل من الله، سهَّل الله بها القراءة على الناس الذين لم يعتدوا على لغة قريش، يقول حذيفة: (يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى).
فاستناد عثمان أصحاب النبي ﷺ في إعادة نسخ القرآن وفق لغة قريش التي نزل بها القرآن أول مرة، فوافقهم في ذلك، يقول علي بن أبي طالب: إن عثمان قال: (فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً. قلنا: فإذا ترى؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلاف. فلنا: فمنع ما رأيت؟).
وكَوْن عثمان بن علامة عفادها أربعة من حفاظ القرآن، ثم أضاف إليها ما جعل أعضائها أثني عشر من أصحاب النبي ﷺ، يقول كثير بن أفلاح: ( لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له أثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت).
وبدأت اللجنة بنسخ مصحف أبي بكر وكتابته وفق لسان قريش، يقول حذيفة: (فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسل إلينا بالصحف؛ ننسخها في...

(1) أخرجه البخاري ح (898) وهارم.
(2) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ح (77) وصحح إسناده ابن حجر في الفتح (18/9).
(3) أخرجه أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف ح (88).
المصحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت
وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام،
فنسخوها في المصحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم
وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنها نزل بلسانهم.)
وفي رواية الترمذي أن الكتبة اختلفوا في كيفية كتابة كلمة واحدة فقط،
يقول حذيفة: (فافضلوا في "التابوت" و"التابوه"), فقال القرشيون بالأول,
وقال زيد بالثاني، فرفضوا اختلافهم إلى عثمان، فقال: أكتبوه بالتابوت، فإنه نزل
بِلِسَان قَرِيْش).
وتكامل الجمع العثاني بإجماع من أصحاب النبي ﷺ، وأمر عثمان بإرسال نسخ
من المصحف المجمع إلى الأمصان، كما أمر من كان عنده شيء من صحف القرآن أن
يحروقه، يقول حذيفة: (حتى إذا نسخوا الصحف في المصحف؛ رد عثمان الصحف إلى
حفظة، وأرسل إلى كل أفقي بمصحف ما نسخوا، وأمر بها سواء من القرآن في كل
صحيفة أو مصحف أن يحرق).
ففعل الصحابة وامتنعوا ذلك، واتفقوا على صحة صنيع عثمان، يقول
الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ: (يا أهلي الناس، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا
خيراً في المصحف وإحراق المصاحف، فواللهم ما فعل الذي فعل في المصحف إلا
عن مالاً منا جميعاً، والله لو لبيت لفعلت مثل الذي فعل).

(1) أخرج البخاري ح (3506).
(2) أخرج الترمذي ح (3104).
(3) أخرج البخاري ح (4988).
(4) أخرج ابن أبي داود في كتابه المصاحف ح (77)، وابن شبة في تاريخ المدينة المنورة
(3/996).
وامتثال الصحابة وفعلهم إقرار لعثمان على صحة جمعه وإعادته نسخ مصحف أبي بكر، ولو كان في فعله شائبة لثاروا عليه، ومن المعلوم أن عثمان لم يأمر عاهه بمتابعة الناس في بيوتهم ومعرفة من أحرق ومن لم يحرق، فقد فعل المسلمون ذلك بمحض إرادتهم واختيارهم.

وهكذا وثق النص القرآني كتابة، فاجتمع ذلك إلى توثيقه بحفظ الحفاظ من أصحاب النبي ﷺ، وتناقلت الأمة في أجيالها نص القرآن الكريم، يحفظه الألف منهم في كل عصر، ويولوه من العناية ما لا مثيل له في أمة من الأمم.

***
هل القرآن الكريم من إنشاء محمد؟

قالوا: القرآن ليس وحى الله، بل هو من إنشاء محمد وإبداعه!
والجواب: أن هذه دعوى تحتاج إلى دليل، كما أن القول بنزول القرآن من
الله على النبي دعوى تحتاج أيضاً إلى دليل، فنحن أمام خيارين: أولهما أن
القرآن من كلام الله. والآخر أنه من إنشاء النبي.
ولو فرضنا جداً صحة الخيار الثاني، فإننا نتساءل: لماذا يكلف مدعى
الخليفة هذا السفر العظيم ولذلك اللوحة البيانية المذهلة ثم ينسبه إلى غيره.
وماذا يتحدى العالمين أن يأتوا بمثله؟ كيف له أن يحيث بأخبار الأولين وأن
يتوصل إلى علوم الآخرين؟ كيف تبدأ بالغيوب الكثيرة التي سلأت صفحات
كتابه، ومنها ما تحقق في حياته، ومنها ما يشهد وقوعه بصدقة إلى قيام الساعة.
ثم لو كتب مدع ما كتاباً، فإذا ترانا نتوقع أن نجد فيه؟
لو أطلق الواحد منا خياله محاولاً تصوير كتاب يكتب مدع كاذب؛ فإنه
سيجد الكثير ما يشبه العقلاء - ولو بعد حين - إلى بشريته، وأنه من صناعة
إنسان، وهذا ليس بالعسير، فالبشر يكتبون بمعايير البشر وقراراتهم، ووفق
أهدافهم ورغباتهم وعلومهم وموضوعاتهم.
إن نظرة فاحصة لآي القرآن سنتبئ عن إلهية منزل القرآن؛ إذ هو في
موضوعاته يسامى بعيداً عن اهتمامات البشر وما يجول في أذهانهم، فحديثه يدور
حوال موضوعات لا يطرقها البشر عادة ولا يقدرهم على الإنشاء فيها، كالحديث
عن صفات الله وأسسه وأفعاله، وعن اليوم الآخر وأهوائه ونجته وناره،
والحديث عن التاريخ القديم والمستقبل البعيد.
وفي مقابل ذلك لا نجد أي مشاعر إنسانية يحملها القرآن في صفحاته، فلا
تنزه القرآن الكريم

يظهر فيه حزن الاستضعاف المكسي، ولا نشوة النصر المدني، لا تجد فيه أي حديث يتعلق بآلام النبي ﷺ وأفرائه وآماله وتطلعاته، فكما لا يتحدث القرآن عن موت زوجة خديجة وهم أبو طالب في عام الحزن، فإنه لا يذكر شيئاً عن زواجه أو ميلاد أولاده أو وفاته أو غير ذلك من الأمور الشخصية المتعلقة بزوجاته أو أصحابه، فالقرآن غير معني بتسجيل السير والحكايات، لذلك لم يرد فيه ذكر اسم زوجة من زوجاته أو ابن من أبنائه وبناته، بل ولا اسم عدو من أعدائه، ولا صاحب من أصحابه، خلا أبا لهب وزيداً.

بل إن القرآن لم يذكر اسم النبي ﷺ في صفحاته إلا خمس مرات، بينما ذكر عيسى عليه السلام باسمه خمساً وعشرين مرة، وذكر موسى بما يربو على المائة مرة؛ ليبرهن لكل قارئ أنه كتاب الله، وليس كتاب محمد ﷺ.

وإذا شئت مزيداً من البيان فلنظر إلى الكتب التي يؤمن بها اليهود والنصارى اليوم، فإننا نجدها مليئة بما يدل على بشيرتها، بما تحكيه من هوموم البشر وآلامهم وآمالهم ورغباتهم، وذلك باب يطول تبعه، وحسبك من القلادة ما أحاط العنق.

أرسل يوحنا في رسالته المقدسة عند النصارى كليات تبين عواطفه ومشاعر الإنسانية، فيقول: "غاي الحبيب الذي أحبه بالحق، أيها الحبيب في كل شيء أروم أن تكون ناجحاً وصحياً... سلام لك، يسلم عليك الأحباء، سلم على الأحباء بأشياءهم" (يوحنا (3) 1-14).

وأما بولس فكتب إلى صديقه تيموثاوس رسالته التي أضحكت عند النصارى جزءاً من كتابهم المقدس، يقول فيها: "الرداء الذي تركته في تراوس الإسلام في عام 1977م.

(1) هذه الملاحظة دعت أستاذ الرياضيات في جامعة الظهران إلى الصور الكندي غاري ميلر لاعتناق
عن دعاوى المبطلين

عند كابر سأخبره متي جئت، والكتاب أيضاً لاسيما الرقوق ... سلم على ريسكا وأكيلا وبيت أنيسي فورس، ارستس بقي في كورنثوس، وأما تروفيمس فتركته في ميليسا مريضاً، بادر أن تجيء قبلي الشتاء..." (تيموثاوس (2) 13/4) 21

- فمثل هذا الإنشاء والمعنى الإنسانية لا تجده في القرآن العظيم.
- وفي مقابله يمكننا من خلال تفحص النص القرآني الوقوف على عشرات الشواهد التي تثبت أن هذا القرآن ليس من إنشاء محمد ولا تأليفه، بل هو كلام الله تبارك وتعال المنزل عليه.

وفي هذا الصدد تنقف مع أربعة أنواع من الآيات الدالة على ذلك، وهي:
- آيات عتاب النبي ﷺ.
- آيات تتعلق بأحدثات تشهد بوحي القرآن عليه.
- إعجاز القرآن الكريم.
- إخبار القرآن بالغيوب.

ومنها يلي تفصيل ذلك.
أولاً: دلالات آيات العتاب:

البشر حين يكتبون فإنهم يمجدون أنفسهم ويعظمون عند الناس ذواتهم، فالبشر يكتبون ليخلدون ذكرهم ومفاخرهم، وهم بالطبع يتعامون عن ذكر معايبهم وأخطائهم، فما لتخليد هذا يكتبون.

ولم يسجل التاريخ البشري عن كتاب ما سجله القرآن من عتائب الله نبيه عليه السلام على بعض ما فعله، ولو كان القرآن من إنشائه لبرر له فعاله، وصوب خطاهم.

فأي القرآن على خلفان ما نعتاده من البشر ونسقهم وطرائقهم في التأليف، والموافقة التي عاتب الله فيها نبيه عليه صدقا وتعليم الكاذبين (النبوة: 34).

وبنها أنه لما جاء إليه زيد بن حارثة يستشيره في طلاق امرأته زينب؛ أمره النبي صلى الله عليه وسلم بإماسكها، مع أن الله أعلم أن زيدا سيطلبهما، وأنها ستكون زوجة له زوجته، وأما للمؤمنين، فكشف القرآن سر نفسه: "وإذ تقول لِلذِّي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى (وَأَنْعَمَ عَلَى) أَمِينَكَ وَأَنْعَمَ عَلَى (وَأَنْعَمَ عَلَى) رَوَّجَكَ وَأَنْعَمَ مَعَنِيَّ وَأَنْعَمَ عَلَى (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) وَأَنْعَمَ عَلَى (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ وَأَنْعَمَ عَلَى (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَى) النَّاسَ (وَأَنْعَمَ عَلَي
عن دعاوى المبطنين

فَعَلَهُ رَبُّهُ: "عِبَّسَ وَنَوَّلَ كَأَنَّ يَأْتِيهِ الْأَعْمَىَ وَمَا يُذْرِيكُ لَعَلَّهُ يَزْرَّكَ أو يَذْرُّكَ فَتَنَفَّعُ الْذُّكَرُ أَمَا مَنْ أَسْتَغْفِرَ فَأَفْتَنَّهُ لَتَصُدَّ فَوَأَذَّى عَلَيْكَ أَلَا يَزْرَّكَ أَوْ أَمَّا مِنْ جَاءَكَ يَسْعِىَ وَهُوَ يَجْنَبُ فَأَفْتَنَّهُ عَنْهُ تَلَهَّى" (عَبْسٌ: 1-10).

ولو كان القرآن من كلام محمد، لما سطر فيه مثل هذا، بل كتبه.

وقد لفت هذا الموقف نظر المستشرق الإنجليزي الدكتور (لاينتر)، فقال في كتابه "دين الإسلام": "مرة أوحى الله إلى النبي وحياً شديد المؤاخذة؛ لأنه أدار وجهه عن رجل فقر أعمى، ليخاطبه رجلًا غنيًا من ذوي النفوذ، وقد نشر ذلك الوحي، فلو كان محمد كاذباً لما كان لذلك الوحي من وجود".

وذلك عاتب الله نبيه ﷺ لما حرم على نفسه العسل، حين أكله عند إحدى أزواجه، فأخبرته زوجتان أخريان أنها تجدان منه ريح المعافي، وهو طعام حلو الطعم، مخيلة الرائحة، فحرم عليه ﷺ، فقال له الله: "يَا عَبْدَيْنِ النَّبِيِّ إِبْتَرَكْنَا مَا أَهْلَكَ اللَّهُ لَكَ بَنَاتِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ" (التحرير: 1).

ولو كان محمد ﷺ مؤلف القرآن لما قال فيها هو في ظاهره خطاب له ﷺ: "وَلَوْلا أَنْ تَبَتَّكَ لَقَدْ كَذَّبْتَ لِأَذَّتْكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَأْتَ يَ ثُمَّ لَا يُعْدِدُ لَكَ غَلَبَتَا نَصَبَرًا" (الإسراء: 4-7).

ولو كان من تأليفه لما قال عن نفسه: "وَلَوْ تَفْوَلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الأَقاوِيْلَ لَا يَخْذُلُنَا مَيْتَيْنِ، لَمْ نَلْقَعَنَا مَيْتَيْنِ، فَمَا يَمْكُنُ مِنْ أُحْدَى عَنْهُ حَاجَزٍ، حَاجَزٍ" (الحاقة: 44-74)، فإن هكذا يكتب البشر عن أنفسهم.

(1) أخرجه الترمذي ح (3321).
(2) قالوا عن الإسلام، عهد الدين خليل، ص (134).
ثانياً: أحداث تشهد بوحي القرآن:

إن آيات القرآن لم تعاتب النبي ﷺ حسب، بل جاءت أحياناً على خلاف ما يحبه ﷺ ويهاجمه، ومن ذلك أنه لما توفي عبد الله بن أبي كبير المنافقين، كفنه النبي ﷺ في وثوبه، وأراد أن يستغفر له ويصلي عليه، فقال له عمر: أتصلي عليه وقد نهاك ربك؟ فقال ﷺ: "إذا خرني ربي فقال: 'لا تستغفره أحد أو لا تستغفره sommes إن تستغفرهم سبعين مرّة فإن تغفر الله لهم' (النبوة: 80)، وسأزيده على السبعين.

لقد كان ﷺ حريصاً على أن تدرك رحمة كل أحد، فأنزل الله تعالى عليه: "لا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم عليه شيء" (النبوة: 84)، فترك الصلاة عليهم.

وأما حضرت الوفاة عمه أبا طالب؛ دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: "أي عم، قل: لا إله إلا الله؛ كلمة أحاج لك بها عند الله" فقال أبو جهل:

وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب.

فقال: النبي ﷺ متحسرًا على وفاة عمه على غير الإسلام: "لا تستغفرن للك;

ما لم أنظر عنه" قال ذلك وفاء منه لعمه الذي كثيراً ما دافع عنه وأظهر، فنزل قول الله عن غير مراده: "ما كان لِلنبيِّ وَالذين آمنوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانوا أولئك فزّوا من بعيد ما تبّنّا هُمُ أَنهم أَصْحَابُ الجَحِيمِ" (النبوة: 113)،

ونزل: "إنك لا تهدي من أحببتك" (القصص: 56).

وصل ﷺ الفجر يوماً، فرفع رأسه من الركوع، وقال، والأسي يعتصر قلبه.

(1) أخرجه البخاري ح (427)، ومسلم ح (400).
(2) أخرجه البخاري ح (1360)، ومسلم ح (24).
عن دعاوى المبطلين

ما يصنعه كفار قريش بأصحابه: {اللهم ربي ولي الحمد، اللهم عن فلانا وفلانا وفلانا،} فإنزل الله عز وجل: {ليس آلك من الأشر فيهم أو ينوب عليهم أو يعذبهم فإنهم طالون} (آل عمران: 128).

كيف يصح فرض أن القرآن من إنشاء النبي صلى الله عليه وسلم، فيه قوله تعالى: {وَلَئِن شَنَّكْ لَنَذْهَب بِالَّذِي أَوْحَيْتُ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجَزَّكُ لَكَ بِيَدٍ عَلَى نَفْسِكَ وَكَيْلا} إلا رحمة من ربك {إِنَّ فَضْلَكَ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا} (الإسراء: 86-87).

وإنما يدفع هذا الفرض ويدحضه تأخره على الصلاة والسلام في جواب أسئلة ملحة استلبت الروحي في جوابها، مع مسبب حاجته إلى هذا الجواب. ومن ذلك أن قريشا بعثت النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي مصعب إلى أبصار اليهود بالمدينة، وطلبوا منهم العون في اختبار النبي صلى الله عليه وسلم. فأرسلهم الله إلى سؤاله عن أمور ثلاثة: عن فتية كانوا في الدهر الأول، وعن رجل طوف بلغ مشارق الأرض ومغارها، وعن الروح ما هو؟ وقالوا: فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقلب فاصتعوا في أمره ما بدأ لكم. فأتل قريش النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: {أخبركم غدا عما سألتم عنه}، ولم يستثن [أي لم يقل: إن شاء الله]. فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة، لا يُنفَذ الله له في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة ليلة لا يخبرنا بشيء عنا سألائنا عنه.

وأحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكى الوحي عنه، وشق عليه ما تكلم به أهل مكة. ثم جاء جبريل عليه السلام - من عند الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، وفيها ماعاته إياه على حزنه عليهم، وفيها أيضاً خبر ما سألوه عنه من

(1) أخرجه البخاري ح (700).
أمر الفتية، والرجل الطوايف، وفيها قول الله عز وجل: ﴿وَسَأَلْوَنَّكَ عَنَّ الرُّوحِ قُلْ الْرُّوحُ مِنْ أُمَّرِي وَمَا أُوْقِتُمِّمُ الْعُلْمَ إِلَّاُ قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 85). فلما كان القرآن من عند نفسه لأجابهم من حفظه أو بعد ساعة، ولم أرهق نفسه خمس عشرة ليلة في انتظار جواب هو سبئوله وينشأه من عند نفسه.

ومن أرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجه - عائشة رضي الله عنها أبطأ الوحي في بيان براءتها، وطال الأمر عليه وعلى المسلمين، والناس يحضورون في الإفك، حتى بلغت القلوب الحناجر، وهو لا يملك إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس: «إني لا أعلم عنها إلا خيراً».

وبقي شهرًا في غم واستشارة للأصحاب، والكل يقولون: ما علمنا عليها من سوء، لم يرد على أن قال لها آخر الأمر: «يا عائشة، أما إنه بلغني كذا».

وكلما فإن كنت بريئة فسبرن الله، فإن كنت ألمت بذنب فاستغفره الله).

ثم نزل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْذِّينَ جَآءُوا بِالإِفْكِ عَضْيَةً مَّسْنُومًا﴾ إلى قوله: ﴿لَهُمْ مَّعْفَرَةً وَرِزْقُ كَرِيمٍ﴾ (النور: 26)، فأعلم الناس ببراءتها.

فإذا كان يمنعه - لو أن أمر القرآن إلى أن يسارع إلى تقول هذه الكلمات الحاسمة؛ ليحمي بها عرضه، ويذيب بها عن عرينه، ويحسنها إلى السوحي السماوي، لتتنقطع ألسنة المتضرعين؟ ولكن، الصادق الأمين الذي ما كان ليذر الكذب على الناس ويكتب على الله ﴿وَلَوْ نَطََّوْنَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ الْأَقْوَالِ لَأُحْكِمِنَّهُمْ مَنْ أَحْدَى عَنْهُ حَاجِزٌ﴾ (الحاقة: 44 - 47).

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (17/593).
(2) أخرجه البخاري ح (2661)، ومسلم ح (277).
(3) انظر: الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين، عبد المحسن زين المطيري، ص (311).
عن دعاوي المبطلين

ثالثاً: الكتاب المعجز:
ولو عدنا ثانياً إلى الفرض بأن القرآن من تأليف النبي ﷺ وإنشائه، لتبين لنا استحالة هذا الفرض بمجرد النظر في نظم القرآن وأسلوبه ومقارنته مع أسلوب النبي ﷺ في حديثه المدون في كتب السنة والحديث، ليقيننا أنه لا يمكن لأديب أن يغير أسلوبه أو طريقة في الكتابة مثل تلك المغايرات التي نجدها بين القرآن والسنة.
ولو شئنا أن نضرب لذلك مثالاً، فنقارن بين بيان القرآن وأسلوبه وبين كلام النبي ﷺ، فكلاهما كلام بلغ، ولكن شأن بين كلام البارية وكلام عبده.
فقوله: "إنها الأفعال بالنوايا، وإنها لكل أمر ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله..." كلام عربي فصيح، لكن شئان بينه وبين قول الله عز وجل: "أقرأَتُ الَّذِي كَفَّرْ بِآبائِنا وَقَالَ لأُوَّئِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ عَهْدًا..." أطلع العنب أم اتخذه عهدًا، كلاً سكنتم ما يقولون ونمدُّ الله من العذاب مداً، وترنيه ما يقولون وأبايتنا قدماً، وأعطوا من دون الله أثنا ليكونوا لهم غزراً كلاً سكنفرون بعساه دينهم ويكونون عليهم ضداً، إن أ Петр أن أرسلنا النسيئين على الكفارين نؤرهم أراً، فلا تتعلق عليهم إنها تعد لهم عداً" (مرمٍ: 77-84)، فيبين القولين من تباين الأسلوب وجزائل ما لا يخفى على العوام، ففضلًا عن أرباب الفصاحة والبيان.
وإذا كان القرآن من تأليف النبي ﷺ، فكيف نجح في تأليف هذا الذي ذهيل لبلاغته أرباب اللغة ورواد الأدب والبيان؟ كيف جرأ على تحديهم بالأتيان بملته؟ ولماذا لم يشبه إلى نفسه فيحوز شرف تأليفه وإبداعه؟ أما كان من الأوفق له أن يشبه لنفسه ويتحدث به الآخرين، ولن يعارضه أحد في أنه صاحبه!

(1) أخرجه البخاري ح (1)، ومسلم ح (197).
لقد جعل الله القرآن الكريم أعظم وأدوم معجزات النبي ﷺ، فهو معجزته في كل عصر وحين، وقد تحدى من قال بأنه من تأليف محمد ﷺ، فدعاهم إلى الإثبات بملته، فكلام البشر يقاطع ويضارع، وأما كلام الحرب فلا يأتئ ولا يكافأً.

لكن العرب على فصاحتهم وبيانهم عجزوا عن الإثبات بسورة من مثله رغم التحدي القرآني المستفزهم، والتي توزع شدة الكرامة والعداوة له والحرص على الطعن فيه والتناسى أي زلزل فيه أو خطأ، وأعينهم الحيل في ذلك، وهم يسمعونه يصدع بين ظهرانيهم: "أَمْ يَقُولُونَ تَقُوَّلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ قَلَّاتُبَانَا بِحَدِيثِ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور: 33-34).

فلا أجز المشركين أن يأتوا بمثل جمعه، تحداه القرآن بأقل منه، أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات من عندهم تضارع القرآن وتمثل بانيه "أَمْ يَقُولُونَ افْتِرَأَهُ قَلَّاتُبَانَا بِعِفْرٍ سُوَّرًا مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَذْعَاهُما مِّنْ اسْتَطَعُّهُمْ مِنْ ذُوٍّ اللهِ إِنْ كُتُبَ الصَّادِقِينَ" (هود: 13).

فلا عجزوا عن الإثبات بعشر سور من مثله تحداه القرآن أن يأتوا بسورة واحدة تضارعه في بانيه وإحكامه: "وَإِن كُتُبَ فِي رِبْبٍ مَّا زَرَّالَا عَلَى عَدِيدٍ قَلْتُوا بِسُوَّرَةَ مِّثْلِهِ وَأَذْعَاهُمْ مِّنْ ذُوٍّ اللهِ إِنْ كُتُبَ الصَّادِقِينَ" (البقرة: 23).

وبلغ التحدي القرآني غايته حين يخبر القرآن أن عجز المشركين عن محاكاته والإثبات بملته عجز دائم لا انقطاع له، يقول: "فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا" (البقرة: 24)، وأن نتيجة التحدي النهائية هي خسارة أعداء القرآن والزاعمين بشريته "قَلْ لَيْنَ اجْتَمَعَتْ الْإِنسَانَ وَالجََّالِسُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرآنِ لَا يُؤْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَا كَانَ بِغَضَبِهِمْ لِبَعِضِهِمْ تَهْيَأٍ" (الإسراء: 88).

كما قرر القرآن التحدي في صورة أخرى كان يذكرهم بها كررة بعد كررة، وهي الحروف المقطعة التي تبدأ فيها تسع وعشرون سورة من سور القرآن "ذِلِّكَ". 
لا ريب فيه هدى للمتتبعين (البقرة: 1)، فص والقرآن ذي الذكر (صف: 1)، حم تزيل الكتاب من الله العزيز العلّيم (غافر: 1-2)، فهذه الآيات وأمثالها تقول للعرب: القرآن مكون من هذه الحروف، وهي حروف شعركم ونشركم، فهناك مثله يآمن تدعون أنه من كلام محمد 

قال ابن كثير: "إذا ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانًا لإنجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضة مشهوره، هذا مع أنه من هذه الحروف المقطعة التي يختلطون بها، وهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إنجازه وعظمته".

ووهذا التحدي الإلهي قائم ما دام الله والنهر، ولن يعجز عنه أرباب اللغة زمن جزالتها، فإنه لن يقدر عليه أولئك المتطلعون اليوم على موانع العلم والأدب، والذين يحاولون محاكاة القرآن بالم تشكيك من القول والفسحيف من المعاني، وسفاسف المعارف.

فحين أراد مسيلمة معارضا للقرآن فضحت الله وأخزاه، فكان قوله مخلًا لسخرية العقلاء وإعراض البلاغاء، فقد قال: "يا ضفدع، نقي كي تتقين، لا الماء تدركين، ولا الشراب تمنعين، لنا نصف الأرض، ولقيق نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون".

وقال أيضاً معارضا للقرآن: "ألم ترى كيف فعل ربك بالخيل، أخرج من بطنه نبمة تسعى، من بين صفاقو وحشي، أوحى إلي أن الله خلق النساء وأفراءها، وجعل الرجال من أزواجا، فنولج فيهن قيساً إيلاجاً، ثم نخرجها إذا.

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1/ 60).
(2) ذكره الطبري في تأريخه (2056)، وابن بطة في الإباني الكبير ح (2473)، وابن حبان في الثقات (2/ 176).
تنزие القرآن الكريم

نشاء إخراجاً، فيتجن لنا سخالاً إنتاجاً".  
وشرع الأديب ابن المفعّل في معارضة القرآن، وكان من أفسح أهل زمانه، ثم عُرّ بِصبي يقرأ: "وَقَلَّ يَا أَرْضُ أَبْلَعُي مَاهِكِ" (هود: 44) فرجع فمحمى سا عمل، وقال: أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر".  
ومثله صنّع يحيى بن حكم الغزال بلغ الأندلس في زمانه، فحكي أنه رام معارضة القرآن، فنظر في سورة الإخلاص ليجدو على مثالة وينسج على منها، فعجز وقال: "فاعترتي منه خشية ورفعة حمتي على التوبة والإنابة".

وظهرت في العصر الحديث محاولات سخيفة لتقليل القرآن ومحاكمته، لم يدفاع صانعوها على محاكاة أسلوب القرآن وطريقة في البيان مع تغيير بعض الألفاظ بطريقة تدعو للضحك، وتسدعي الشفقة، ومن ذلك أن القسيس أنيس شروش يحكي عن جهد قامت به مجموعة من المفكرين في أورشليم المقدس، وقد عملا خلال ست عشرة سنة على إعادة صياغة الإنجيل على نحو أسلوب القرآن، فكان كما تحدثوا فيه بعد هذه السنين: "بسم الله الرحمن الرحيم. قد يا أيها الذين آمنوا إن كنتم تؤمنون بالله حقاً فآمنوا بي ولا تخفوا. إن لكم عنده جنات نزلاً فلاسبقكم إلى الله لأعدها لكم، ثم لأنتينكم نزلة أخرى، و إنكم لتعرفون السبيل إلى قبّة العليا.

فقال له توما الحواري: مولانا إذا نلمك من ذلك علمًا. فقال له عيسى: أنا هو الصراف إلى الله حقًا، ومن دوني لا تستطيعون إليه سبيلًا، ومن عرفني فكأنها عرف الله، ولأنكم منذ الآن تعرفونه وتبصرون بهيًا، فقال له فيليب

(1) ذكره الطبري في تاريخه (499/2).
(2) انظر: الشفا بتعرف حقوق المصطفى، القاضي عياض (1/275).
(3) انظر المصدر السابق (1/275).
الحواري: مولانا أرنا الله جهزة تكفينا، فقال عيسى: أو لم تؤمنوا بعد، وقد أقسمت معكم دهراً؟ فمن رأيني فكأنما رأى الله جهراً.

وقد عقب القس على هذا الكلام الريك الذي استمروا في إعادة صياغته خمس عشرة سنة بقوله: "إنه نص جميل بلغه عربية جليلة".

وقد تكامل هذا الجهد السخيف، حين أصدروا ما سمى بـ "القرآن الحق"، وأقبل منه بعض الفقرات لأؤسس بها القارئ الكريم: "باسم الآب الكلمة الروح الإله الواحد الأحد* يا أبا الذين كفروا من عبادنا الضالين إنكم لتقولون قولاً لغوياً ما كان شرعاً ولا نصراً ولا قولاً سديداً* إن هو إلا لغو مرِّدَّت ترديداً* يزغَّ التابعين ترغيباً ويهدد المعرضين تهديداً* حَسنَ وفَعَّاً في نفوس عبادنا الضالين واستمرأه الجاهلون* سَمُّ في دُسِّم ولا أُكَّرَحُوهم لا يشعرون فلا يبُغْون عنه مجدداً".

ويحكي الدكتور إبراهيم خليل قصة طبيب مصري مسيحي استفزه تحدي القرآن، فعزم على إنشاء كتاب يجيب فيه التحدي، وسمى: "واتهته تهديدات القرآن".

وسعياً لتحقيق ذلك كتب الطبيب المصري رسالة أرسل صورة منها إلى ألفي علم أو معهد أو جامعة من مختلف أنحاء العالم يدعوهم لمساعدته في إنجاز هذا الكتاب المهم، وكان مما سطره في خطابه قوله: "القرآن يتحدث البشرة في جميع أنحاء العالم في الماضي والحاضر والمستقبل بشيء غريب جداً، وهو أنها لا تستطيع تكوين ما يسمى بالسورة.

(1) القرآن والقرآن، والكتاب المقدس، أيها كلام الله؟ أحمد ديدات وأنيس شروش، ص 101.
(2) (القرآن الحق)، منشور على شبكة الإنترنت.
تنزيه القرآن الكريم

باللغة العربية... السورة رقم 112، وهي من أصغر سور القرآن، ولا يزيد عدد كلماتها عن 15 كلمة، وبتع ذلك أن القرآن يحتوي البشريّة بالإثيان بـ (15) كلمة لتكون سورة واحدة كالتي توجد بالقرآن...

سيدي: أعتقد أن مهاجة هذه النقطة الهامة والخطيرة، وذلك بالإثيان بأكبر عدد ممكن من السور كالتي توجد، أو - أمَّا أن تكون - أفضل من تلك الموجودة بالقرآن سبب لنا نجاحاً عظيماً لإنقاذ المسلمين بأننا قبلنا هذه التحديات، بل وانتصرنا عليهم... فهل تتكرم يا سيدي مشكوراً بإرسال 15 كلمة باللغة العربية أو أكثر من المستوى الياباني الرفيع مكوناً جملة كالتي توجد في القرآن...".

والتوثيق أورد الدكتور إبراهيم خليل صورة الخطاب وعنوان الجهات (2000 عنوان) التي أرسل إليها، وتكررت محاولة الطبيب المسيحي أربع مرات طوال سنة 1990 م، فكانت محصلة ثانية آلاف رسالة أرسلها إلى 2000 جهة أو شخصية علمية؛ أن وصلت إليه ردود اعتذار باهتة عرض الدكتور إبراهيم خليل صورها في كتابه، منها اعتذار كلية الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن، فقد كان ردهم: "أعمل أن نتفهم أن كليتنا وأعضاءها يرفضون الخوض في المنازعات الدينية، وبالتالي فإننا لا يمكننا إجابة طلبك."

وأما رد إذاعة حول العالم النصرية (مونت كارلو) فكان: "الموضوع الذي طرحته موضوع هام، لكننا ك إذاعة لا نحب أن ندخل في حي وطيس هذه المعركة، إذ لست أن نقدم رسالة الإنجيل، فرسالتنا هي رسالة محبة، ولا يسترسالة تعدي...".

وأما رد الأب ليو منالفاتيكان فكان مشيراً للشفقة: "بوصفنا مسيحيين فنحن لا نقبل بالطبع أن يكون القرآن هو كلام الله على الرغم من إبعادنا به؛ حيث يعتبر القمة في الأدب العربي... هناك نقطة عملية تعوق مسألة الإثيان
عن دعاوى المبطلين

بسورة من مثل القرآن، وهي: من ذا الذي سيحكم على هذه المحاولة إن تمت بالفعل..."، ولذلك اعتذر عن إجابة طلبه.

وأعاد الطيب القبطي مراسلة جميع معاهد ومؤسسات الفاتيكان طلباً إجابة التحدي، وعرض أن يكون هو شخصياً الحكم بين القرآن والفاتيكان، وطلب من الأب "ليو" في الفاتيكان أن ينقل أي جزء مكون من 15 كلمة من الكتاب المقدس ليعارض بها القرآن، فكانت الإجابة صممت مطبقاً لا يشبهه إلا صممت أصحاب القبور(1)، ليصدق فيهم جميعاً قول الله تعالى: "قل أئن أَجِمَعَت اللّهُ الأٰلِسُ والجَِينُ على أن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانُ بَعْضُهُم لِيَغْضِبُواْ ظُهْرِهِ" (الإسراء: 88).

لقد اعترف أعداء القرآن – قديماً - بعظمة القرآن رغم عدائاتهم له، وذُلّت رماعهم لما سمعوه من محكم آياته، فها هو الواليد بن المغيرة سيد قريش وسابقه إلى حاربة النبي ﷺ، يسمعه وهو يقرأ قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَبَيْنُ الْعَذَابِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيَّاَكُمْ ذِي الْقُرُبِ وَيَنْبِئُ عَنِ الْفَتْحَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَيْنِ بِمَعْلُوْكَمْ لَمَّا كَرَّوْنَ" (النحل: 90)، فيقول قوله المشهورة: "وَللهٌ أَن لَّقِيلَ الَّذِي يَقُولُ لِحَلَاوَةٍ، وإنَّ عِلْيَهُ لَطَلاوَةٌ، وإِنَّمَا يُلْعِبُ ما يُفْتَخِرُ بهُ، وَأَنَا لِلَّهِ وَمَا يُفْتَخِرُ بهُ وَمَا يُلْعِبُ".

وأما جاء عتبة بن ربيعة إلى النبي ﷺ، سمعه يقرأ أوائل سورة فصلت، فرجع إلى قريش قائلاً: "إِنَّ اللّهُ قد سمعت قولًا ما سمعته بمثله قط، والله ما هو

(1) انظر: لماذا أسلم صديقي؟ إبراهيم خليل، ص (77-111).
(2) السيرة النبوية، ابن كثير (1499/1).
بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش: أطيعوني واجعلوها بي، خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكون لقوله الذي سمعتهُ نبأ".

وأما عمر بن الخطاب فقصة إسلامه مشهورة حين دخل على أخته فوجدها تقرأ في سورة طه، فقرأها فواتح السورة; رقّ قلبه ودخل في الإسلام، وأصبح عمر الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل.

وأما جبر بن مطعم فسمع النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: "أم خلقوا من غبر شيء أم هم الخلقون؟ أم خلقوا السماء أوابك؟ و الأرض بل لأ يوقنون؟ أم عذبهم حراً ربك أم هم المسيطرون" قال: (كاد قلبي أن يطير)، وفي رواية: (وذلك أول ما وقر الإيان في قلبي).

وأما الطفل الدوسي فقدمت مكة، فحذرته قريش من سياح القرآن، وقالوا:

وإيام رحيله كالسحر، يفرق بين الرجل وبين أمه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإن نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمع منه شيئاً.

يقول الطفل: فوالله ما زالوا بي حتى أجعمت أن لا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه حتى حشوت في أخرى كرسفاً (قطناً) فكروا [حوفاً] من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه.

لكن الله أبا إلا أن يسمعه وهو في الطواف بعض القرآن فقال لنفسه:

"والكل أمي، والله إن لرجل ليب شاعر، ما يخفى علي الحسن من القبح، فما يمنعني أن أسمع منه هذا الرجل ما يقول? فإن كان الذي يأتي به حسنةً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته".

(1) أخرجه البهقي في الدلائل (202/1)، وابن إسحاق في السيرة (11/187).
(2) أخرجه البخاري (4854) و(223/4).
عن دعاوى المبطلين

فجلس إلى النبي ﷺ يستمع القرآن، ثم ما لبث أن أسلم.
ومثله خبر الشاعر لبيد بن ربيعة العامري، وهو من فحول شعراء الجاهلية،
وصاحب إحدى المعلقات السبعة، سأله عمر بن الخطاب يومًا: أنشدني من شعرك، فقرأ له سورة البقرة، فقال: إنما سألتك عن شعرك، فقال: ما كنت لأقول بيتًا من الشعر بعد إذ علمني الله البقرة وإلهاً عماران.
ووفي العصر الحديث أيضاً شهد المنصفون من المستشرقين باعتذار القرآن،
وسجلت كلاً منهم بحقه المزيد من الإعجاب والدهش من نظمه وبيانه ومضمونه,
ومنه قول المستشرق فون هامر في مقدمة ترجمته للقرآن: "القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربي، وأسلوب القرآن المدهش يستشهد
على أن القرآن هو وحُيٌّ من الله، وأن محمد قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب,
فالكلمة [أي القرآن] لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية.

وأما فيليب حتّى فيقول في كتابه "الإسلام منهج حياة": "إن الأسلوب
القرآني مختلف عن غيره، إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر، ولا يمكن أن يقلد،
وهذا في أساسه هو إعجاز القرآن.. فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة
الكبرى.

وأما جورج حننا فيقول في كتابه "قصة الإنسان": "إذا كان المسلمون
يعتبرون أن صوائب لغة القرآن هي نتيجة محتومة لكون القرآن منزلاً ولا يتحمل
التخطئة، فالمسيحيون يعتبرون أيضاً بهذه الصوائب، بقطع النظر عن كونه منزلاً أو
موضوعاً، ويرجعون إليه للاستشهاد بلغته الصحيحة كلياً استعسائي عليهم أمر
من أمور اللغة".

(1) انظر: سيرة ابن هشام، ص (382).
(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (1365/3).
ويقول الفيلسوف الفرنسي هنري سيرويا في كتابه "فلسفة الفكر الإسلامي": "القرآن من الله بأسلوب سام ورفيع لا يدانيه أسلوب البشر".

وأما المستشرق بласير فلمل يzelf جهداً في الطعن في القرآن ومعاداته في كتابه "القرآن"، لكن الحقيقة غلبته، فقال: "إن القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعليمه فقط، إنه أيضاً يمكنه أن يكون قبل أي شيء آخر نحابة أدبية رائعة؛ تسهو على جميع ما أقرته الإنسانية ويجلته من التحف".

وبهت جزالة القرآن وروعة أساليبه المستشرق الشهير، الأديب غوته، فسجل في ديوانه "الديوان الشرقي للشاعر الغربي" هذه الشهادة للقرآن: "القرآن ليس كلام البشر، فإذا أنكرنا كونه من الله، فمعناه أننا اعتبرنا محمدًا هو الإله".

وقال: "إن أسلوب القرآن محكم سام مشير للدهشة... فالقرآن كتاب الكتب... وأنا كثر من قرأت القرآن شعرت أن روحه تهتز داخل جسمي".

(1) انظر هذه الشهادات وغيرها: قالوا عن الإسلام، عهد الدين خليل (1405، 58-60، 59-75).
رابعاً: الإخبار بالغيوب

وأما يمنع نسبة القرآن إلى النبي ﷺ ما أخبر عنه من الغيوب التي لا تكشف إلا بوحي من الله علائم الغيوب، فالغيب سر الله لا يعرفه إلا هو (ع)، فإن الغيب فلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مِنْ ارْتِضَى مِنْ رَسُولِهِ فَإِنَّهُ يِسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلِيفِهِ رَضِيًا، لِيَعْلَمَ أَنَّهُ أَبْلَغَهُ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِهَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كَلُّ شَيْءٍ إِلَى عَدَدٍ (الجن: 27-28).

والنبي ﷺ كسائر البشر لا علم الغيب المطلق، فَلَ لأَقُولُ كَلُّ غُنِيَّي حِزْرَاتِ اللَّهِ وَلَا أَغْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ كَلُّ غُنِيَّي كَلُّ مَلْكُ (الأعماش: 50)، فَلَ لأَقُولُ لَكُمْ عَيْنِي الْعِلْمُ شَامِعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كَتَبَ أَغْلَمَ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرَتْ مِنْ الخَيْرِ وَمَا مُتَسَيَّلِي السَّوَءِ إِنَّ آنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَيَشِيرُ أَقْوَمُ يُؤُمِّنُونَ (الأعراف: 188)، فإذا ما أخبر بشيء من الغيب؛ فإنها يخبر بغيب لا يعرفه إلا الله، وتحقق هذه الأخبار شهادة صادقة على نيوفته، رأيتها بارهة على أن ما يقوله إنما يقوله بوحي من الله.

ومن الغيوب الدالة على رباية القرآن ما أخبر عنه من انتشار الإسلام وظهور أمره على الأديان، وبلغنه إلى الأفوق: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولًا بِهِدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَلِئَا وَلَوْ كَرَهَهُ الْمُشْرِكُونَ) (الصف: 9)، فهذه الآية نزلت بعد هزيمة المسلمين في غزوة أحد، والنبي ﷺ يقرؤها في زمن الاستضفايف، وهي إخبار بأمر غيب لا مدخل فيه للتخمين ورجوم الظنون، فإما أنه خبر كاذب صادر من مدع لغير ما يستحقه، أو هو خبر صادق أو حجة للله الذي يعلم ما يجعل منها من الأحداث والأخبار.

وحين ألقى الخوف بظل الله علَى المسلمين، حين رمته العرب عن قوس واحدة، وطمغ فيهم الأعراب، كانوا لا يبتعدون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا فيه.
قالوا: ترون أنتم نعيش حتى نبشت مطمئنين لا نخف إلا الله عز وجل؟ فنزل قوله تعالى: «وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا يُنْكِمُونَ وَعَمَّلُوا الصَّلَايَاتِ لِيُسَلَّخُوا فِي الأُرْضِ كَمَا سَلَخَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَا يَكُونُنَّ هُمْ دِينَهُمْ الَّذِي آمَنُوا فَلَن يُسَلَّخُوا فِي النَّارِ» (النور: 55) وكان كذلك، فقد آمن الله من بعد خوفهم، وسوّدهم الأرض، واستخلفهم فيها من بعد ذلتهم، ومكنهم دينهم في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن غيوب القرآن، تبؤه بنصر بدر العظيم، وذلك في وقت كان المسلمون يعانون في مكة صنوف الاضطهاد ويسامون سوء النكال؛ وفي وسط هذا البلاء نزل على النبي ﷺ قوله تعالى: "أَكَفَّارُكُمْ حُبُّ مِن أَوَّلِكَ أَمْ لَكُمْ بِرَاءَةً فِي الْزُّمَرِ ۖ يَوْلُونَ الْجَمْعَ وَيَوْلُونَ الْعِدَّةَ بِالسَّاعَةِ ۖ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةِ أَذَىٰ وَأَمْرٌ" (القدر: 42-46).

قال عمر بن الخطاب [أي في نفسه]: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ فلما كان يوم بدأ رأيت رسول الله ﷺ يبث في الدرب، وهو يقول: "سَيْهَرُّمُ الجَمْعَ وَيَوْلُونَ الْدُّلْبُرَّ" فعرفت تأويلها يومئذ، فبالآية نزلت قبل الهجرة بسنوات;

تتحدث عن غزوة بدر واندحار المشركين فيها، وتتبناها بضمانهم وفلوت جميعهم.

وقبل معركة بدر أدرك النبي ﷺ اقتراب تحقيق الوعد القديم الذي وعده الله بمكة، فقام إلى العريش يدعو ربه ويتناجي: "اللهم إن أنشدك عهدك ووعدك" ثم خرج رسول الله ﷺ من عريشه، وهو يقول: "سَيْهَرُّمُ الجَمْعَ وَيَوْلُونَ".

(1) أخرجه البهقي في الدلائل (3/6-7)، والحاكم في المستدرك (2/244).

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/276)، وابن جرير ترميز أبى حامد في تفسيره (3281/10).
الدُّبْرَةُ بِلِي السَّاعَةِ مَوعِدُهُمُ والسَّاعَةُ أَذْهَبَى وَأُمَرَ (القُمَرَ: 45-46ل). وهكذا كان، فقد هزمت جموعهم، وولوا على أدبارهم، وصدق الله نبى الوعد، وفي تحقيقه آية بيئة على أن هذا القرآن من وحي الله علامة الخيوب.

***

(1) أخرجه البخاري ح (2915).
المصادر المزعومة للقرآن الكريم
قالوا: القرآن ليس كلاماً إلهياً بل هو من تأليف محمد ﷺ، وقد نقله عن مصادر مختلفة: (الكتاب المقدس - الراهب بحيرة - ورقة بن نوفل - شعر أمية بن أبي الصلت - شعر امرئ القيس)، وهذا يدل على أنه لم يوح إليه، لأن النبي الموحي إليه لا ينقل عن المصادر البشرية أو المصادر القديمة (أي الكتاب المقدس).
والجواب: أن دعوى اقتباس القرآن عن السابقين دعوى قديمة جدداً قديمة، في مضمونها، في مديتها، فلم تكون أعيادهم زمن النبي ﷺ، أن أوا بعمل القرآن وأذاع له، فاتهموا النبي ﷺ باعتسابها من أساطير الأولين (وأياً قيلهم مادآ أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) (النحل: 40)، وقالوا أساطير الأولين اكتسبها فهي تأتي عليه بكره وأصيبها (القرآن: 5)، وقالوا: تعلم القرآن من غلام نصري رومي اسمه جبراء، وكان غلاماً لعامر بن الحضرمي، وكان يعمل حداماً بمقا: (إن هذا إلا إفك افرات وأعائنة عليه قوم أخرون فقد جاؤوا أطبلوا ورواء) (القرآن: 4)، ورد علىهم القرآن ففيتهما بها أسكتهم ودحض باطلهم: (ولقد تعلمتم أنتم بعقولون إنما يعلمة بشر ليأتون إلي به يعجلون) (النحل: 103).

وهذه الدعوة القديمة جديدة في تحديد أساس المصادر المزعومة للنبي ﷺ، فقبره اتهمته بالتعلم من حدود رومي، بينما الطاعون اليوم زعموا أن النبي ﷺ تعلم القرآن من الراهب السطوري النصراني بحيرًا حين لقبه في بصرى الشام عندما زارها غلاماً مع عم أبي طالب، كما زعموا تعلمه من ورقة بن نوفل الأسدي القرشي، ابن عم أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وهو راهب متنصر، وهذا (بحري وورقة) لم يخطر في بال قريش ولا يهود المدينة اسم واحد منهم في طعنهم في نبوة النبي ﷺ وإلهية كتابه.
تنزيه القرآن الكريم

22

أمّيّة النبي ﷺ

وقبل أن نشرع في بيان الحق في هذه المسألة نود أن نقرر أن النبي ﷺ أمّي لا يعرف القراءة والكتابة ﷺ الذين يعُون الرسول النبي ﷺ الأمي الذي تُدْوَنة مكتوبةً عندهم في التّوراة والإنجليز (الأعراف: 157) ونشأ في أمّيّة أمّي، ندر أن تجد فيها من يقرأ ويكتب ﷺ هو الذي بُعث في الأميّين رسلًا منهم يتعلو عليهم آياته (الجمعة: 2).

لقد كانت أمّيّة النبي ﷺ حجر العثر الذي أعثر أصحاب الأباطيل الزاعمين أن النبي ﷺ نقل من كتاب السابقين وعلومهم، وقد رأى عليهم القرآن يقول الله: ﴿وَمَا كَتَبْتُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا خَطَّتْ لَهُ مَيْمَاَٰرَةً إِذَا لاَّ أَرْتَابُ الْمُبْطُونُ﴾ (العنكبوت: 48)، قال هذا النبي ﷺ في ظهري قريش، فلم يستنكره أحد من المشركين، لياقته بأميّته ﷺ، كيف يحملون ذلك وقد مكث بينهم قبل عشرة أربعين سنة ﴿فَقُدْ لَبَثْتُ فِي كُنْمٍ عُمْرًا مَّنْ قَبْلِهِ آنَّا مُعِيَّنُون﴾ (يونس: 16).

وشعّب أصحاب الأباطيل على أميّة الرسول ﷺ بذكر نصين من كلام النبي ﷺ: زعموا أن فيها شهادة على معرفة النبي ﷺ بالقراءة والكتابة، أوهما: حين شارك في كتابة صلح الحديبية، فكتب فيه ما يقارب السطر، والآخر حين قال للصحابة قبل وفاته: ﴿أتونى بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تخلو بهان﴾، فرأوا في هذين النصين الصحيحين ما يدل على معرفته بالقراءة والكتابة.

فأما كتابة النبي ﷺ يوم الحديبية فكان معجزة له ﷺ، إذ كتب ما كتب، ولم يكن كاتباً من قبل، بلدليل رواية البخاري التي أخبرت أنه ﷺ كتب وهو لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ففيها أن قريشاً أعترض على الكتاب الذي يكتب عليه ﷺ.

(1) أخرجه البخاري ح (1384)، ويأتي نصه.
(2) أخرجه البخاري ح (114) ومسلم ح (137).
قالت: اكتب هذا ما قاضي عليه محمد بن عبد الله. فقال: "أنا والله محمد بن عبد الله، وأننا والله رسول الله".
وفي رواية مسلم أنه قال: "أَرْضِيكَ"، فأرَاهُ مِكَانَهَا، فمحَاءها.
رسول الله لم يعرف قراءة المكتوب، ولم يستدل على مكانه في الصحيفة إلا حين دُلَّهُ عليه.
ثم تمضي الروايات الصحيحة فتبين أن النبي كتب بدل ما مُعَمِّي، مع تأكيدها على أنه لم يكن قبلها كتاباً، فكانت كتابتاه أَعْجوبة من رأهما، ففي رواية البخاري أن رسول الله (أُخذ الكتاب، وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضي عليه محمد بن عبد الله لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القربان...)،
فقصة كتابته كانت على غير المعهود منه.
وأما قوله النبي في آخر حياته: "أثنئي بِكتَاب أَتكَب لِكُم كتاباً لا تُضِلوا بعدها، فلا يقيد معرفته بالقراءة والكتابة، وأنه سيكتب بنفسه هذا الكتاب، فإن الناس لم تزل تقول: قَنِّل الأمير، وكتب الأمير وجلد وضرب، وإنها تقصد أنه وجه بذلك وأمر به، من غير أن يفهم السامع أنه فعله نفسه.
وعللتأكيد صحة هذا الفهم نذكر روايتين يرويه الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب يتحدثان عن نزول قوله تعالى: "لا يَشْتَوِي القُاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أَوْلِي الْجَلَّالِ" (النساء: 95).

(1) أخرج البخاري ح 184 (32).
(2) أخرجه مسلم ح 1783.
(3) أخرج البخاري ح 420. (43).
تنزيه القرآن الكريم

ففي الأول يقول البراء بن عازب: لما نزلت هذه الآية أتاه ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله، ما تأمرني؟ إن ضرب بنظر النصر، فنزل قوله: "غَيْرَ أَوْلِي الْقُرْآنِ". فقال النبي: "أئتيوني بالكافف والدعاو، أو اللوح والدعاو". فهذه الرواية تفيد أن النبي طلب أدوات الكتابة، ولما أُفيد منها أنه يريد كتابة الآيات بنفسه، كأ فهم من قصة الكتاب الذي أراد كتابته في آخر حياته.

لكن ذلك غير مقصود، إذ تفسره الرواية الأخرى للحديث، حيث يقول فيها البراء: كنت عند رسول الله فقلت: "ادعوا لي زيداً بجيء أو يأتي بالكافف والدعاو، أو اللوح والدعاو، كتب: "لا تسَّوْيَ القَاعِدَونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ". فالمقصود من قوله: "أئتيوني بكتاب أكتب لكم كتاباً" طلب أدوات الكتابة مع من يكتب بها، لا أنه سيكتب بها بنفسه.

وهكذا يتبين أنه كان أميّاً، وأن النصين يكملان ما جاء في القرآن الكريم من التصريح بأميته. "فأَيْمَنَّا يَلِدُونَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُ الْحَقِّ النَّبِيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكِيلَاهُ وَأَيْتَمَّهُ لَمْ يَبْنُوا إِلَّا بِهِ" (الأعراف: 108).

ولعل من المفيد التنبيه إلى أن أول ترجمة عربية للكتاب المقدس ظهرت بعد وفاة النبي بقرن من الزمان، وهي ترجمة أسقف أشليدياً بوحنا عام 72 م، فالكتاب لم يكن متداولاً بين الناس زمن النبي، فقد كان حكراً على بعض القسوس، ولم يطلع عليه عوام المسيحيين إلا في عصر الطباعة في القرن السادس عشر رغم محاولات الكنيسة منع انتشاره بقرارات الحرمان التي أصدرها تجميع ترجمات نوادر ترميم في 1042 - 1063 م.

(1) أخباره أحمد ح (1874).
(2) أخباره أحمد ح (1874).
(3) أنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص (771).
(4) أنظر: مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو مول، ص (108).
أولاً: هل القرآن منقول من الكتاب المقدس؟

قالوا: القرآن منقول عن الكتاب المقدس في كثير من معارفه ونصوصه التي شاهيت ما في الكتاب المقدس من أخبار السابقين.

والجواب: إن القرآن يصبر وجود التشابه بين ما أنزله الله على الأنبياء وبين ما أنزله على خاتمهم ولقد كتبنا في الزبور من بعيد الذكر أن الأرض وبرتيا عبادي الصالحين (الأنبياء: 5)، وملأه في قوله: بل تؤذرون الحيأة الذيليا والأجرة خير وأبقى إن هذا أفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى (الأعلى: 16-19)، فوحدة المصدر تستلزم وجود التشابه، والتتشابه بينهما يكون بقدر ما يشتمل عليه الكتاب المقدس من حق وما بقي فيه من هدي الأنبياء إن أوحيناك إلَّي أن أوحيناك إلى نوح، والنبيين من بعده وأوحيناك إلى إبراهيم وإسحاق وإسحاق ويعقوب، وابن واستنس ودان وقرون وصلطان وآنيك داؤود زبورا (النساء: 123).

لكن التشابه بين الكتب ليس مطراً، فشنة فروع كبيرة بينهما سنعرض لبعضها بعد أن نبين أن الكثير مما يظهر البعض تشبيها هو في حقيته مشتمل على مفارقة كبرى تبطل زعم الزاعمين بالتشابه بين الكتابين.

فمن ثم لا تشوب ولا توافق بين ما جاء في الإنجيل وما جاء في القرآن عن المحرومين من دخول الجنة رغم ما قد يظن من تشابه السياقات، ففي الإنجيل أن المسيح قال لتلاميذه: "الحق أقول لكم: إن مرور جل من ثقب إبرة أيسر من دخول غني إلى ملكوت الله" (متى 19: 23 - 26)، فهذا النص في تجريم الأغنياء وحرمانهم من الجنة، بينما القرآن ضرب هذا الملزل في حديثه عن الكفار

(1) للاسف هذه الإحالة القرآنية إلى أسفار موسى نتفقدها في الأسفار المنشورة إلى موسى في الكتاب المقدس بسبب ما تعرضت له الكتب السابقة من التحرير والتبديل والزيادة والنقصان.
المكذبين المجرمين، لا الأغنياء ﷺ إن الذين كذبوا بآياتنا واسكتوا عنها لا يفتيح لهم أبواب السماوات ولا يدخلون الجنة حتّى يليل العامل في سلم الحياة وكنذيل نجى المجرمين ﷺ (الأعراف: 40)، فالتشابه بين النصين ينطبق عليه تشبه العلامات ديدات بالشبه بين الفين والطباشير، وإن كنت لا أشك بتشابه القرآن مع ما أنزله الله على المسيح عليه الصلاة والسلام، فإذ أدعوه وحروفه.

ونود أن نبه هنا إلى أن آيات القرآن بلغت ۶۳۶ آية، وإن التشابه بينها وبين النصوص الكتابية لا يزيد بحال من الأحوال - عن مائة آية، ونعتقد جازمين أن هذه الكتب قبل تحريفها كان فيها من صور التشابه مع القرآن ما هو أكثر من ذلك بكثير.

كما يلزم العلم بالاختلاف والبون الكبير بين موضوعات القرآن وموضوعات الكتاب المقدس، فالعهد القديم (التوراة) في حقيقته هو تاريخ بني إسرائيل وأبناؤهم وأعدادهم وسير ملوكهم وأنبيائهم وقصص حروبهم، فوه في الجملة كسائر كتب التاريخ المعروفة، كالبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الأمم والمملوك للطبري، ولا يستثنى من ذلك إلا سفران فقط (اللاويون والثنية)، فهما معتمان بالأحكام التشريعية.

وأما العهد الجديد (الإنجيل) فتكون من أتاجيل أربعة، تضمنت سيرة المسيح من الولادة إلى الصلب المزعوم، فهي أشبه ما تكون بسيرة النبي ﷺ التي يرويها ابن إسحاق أو تهذيبها لابن هشام، كا يتضمن العهد الجديد أيضاً رسائل التلاميذ، وهي تحكي عن قصصهم ورحلاتهم وأعجوبتهم ووصاياههم الموجهة إلى أصدقائهم ومعارفهم لتوضيح بعض المفاهيم اللاهوتية أو لطلب بعض القضايا الشخصية.

أما القرآن الكريم فهو مختلف في تكوينه وموضوعاته، فهو يجري (شرح
حقائق الإيمان - قصص السابقين - أحكام تشريعيّة - توجيهات للمجتمع المسلم - معالجة قضايا في العصر النبوي - وصف اليوم الآخر وما يتعلق به. وينحصر المشترك بين موضوعات القرآن وموضوعات الكتاب المقدس في ثلاثة محاور (حقائق الإيمان - قصص السابقين - الأحكام التشريعيّة).
لكن نظرة فاحصة ستكشف التباين الكبير بين حديث القرآن وحديث الكتاب المقدس في هذه الموضوعات الثلاثة، وهو ما نفصله إذن الله.

أ. حقائق الإيمان بين القرآن والكتاب المقدس

الكتاب الذي ينزها الله يتوقع قارئها جميعًا أن تركز على حقائق الإيمان الرئيسية كالتعريف بالله ونبيه وإملائته وكيفية عبادته، ومن البدائي أن تتباقى هذه الكتب، لوحدة مصدرها، فالمجبي لم يكن بدعًا عن إخواني الأنبياء، بل جاء لبيان المعاني ذاتها التي بعثهم الله للدعوة إليها، وفي مقدمة ذلك توحيد الله والتعريف به وبصفاته وعالمهم من رسله، إذ لا يوجد إلا إلهًا لا إله إلا هو، وأنه قُدّي، وأُرسل من قُدّي، وله آياته، والتحذير من الشرك، ولى الشرك، لِيَحْبَتْ عِمَّالكَ، ولِتَكُونُنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ بِاللهِ قَبْدُ وَكُنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. (الزمزم: 65-76)، فهذه الحقائق أطبق الأنبياء على ذكرها، ولا يتصرخ خلو دعوة نبي منها، فالتشابه بينها لا زم لها، وهو دليل وحدة أصلها، وأما الاختلاف بينها في التعريف بهذه الحقائق فذاك دليل تحريف بعضها، وأنه ليس من عند الله تعالى.

والسؤال: هل يتشابه القرآن مع الكتاب المقدس فيما يتعلق بحقائق الإيمان؟

للإجابة عن هذا السؤل نكتفي بعرض مسألة واحدة من مسائل الإيمان وهي أهمها، مسألة التعريف بالله وصفاته، ليقيس القارئ الشاهد على الغائب.
وفي التعريف بالله وصفاته يتشابه الكتابان (القرآن والكتاب المقدس) بقدر
ما يحويه الكتاب المقدس من الحق، ويفترقان بقدر ما تحويه هذه الكتب من
الشواطىء والتحريف بسبب التدخل البشري فيها.
ولا ريب أن في الكتاب المقدس اليوم مجموعة من النصوص التي تعظم الله
وتتحدث عن وحدانيته، فأصول هذه الكتب من عند الله، وهذه الحقائق الإبدائية
الصحيحة بقايا آثار الأنباء في هذا الكتاب، فتطابق القرآن معها دليل على وحدة
المصدر، وهو الله عز وجل، ولا يعني بالضرورة أن القرآن نقل منها؛ إذ التشابه لا
يدل بالضرورة على النقل، فقد تطابق الإنجيليون الأربعة (متى ومرقس ولونقا
ويوحننا) في الكثير من نصوصهم مع أسفار العهد القديم، ولم يزعم أحد من
مثيري الأباطئ عن القرآن أنهم كانوا يتلون من العهد القديم أو من بعضهم
البعض.
وإزاى التطابق بين القرآن والكتاب المقدس في بعض المعاني فإنه يمكن
للمناظر رصد الكثير من التفاصيل المختلفة بين الكتبين، وهو ما يُميل أن يكون
أحدٌ مما مصدرًا للآخر، فالله - بحسب القرآن الكريم - إله عظيم بائت من خلقه،
مستو على عرشه استواء يليق بجلاله، لا ندريك ْنَحْ اهِدَّاءه ولا كيفية صفاته ْلَا
كَيْفَٰهُ ْمِثْلُهُ شَيْءٌ وَهُوَ الْغَيْبُ الْبَيِّنُ ْ(الشوري: 11)، بينما هو بحسب الكتاب
المقدس إله يخالط مخلوقاته، فيجسد في صور بشرية، وينزل إلى الأرض، ويمشي
فيها "هَذَا الْرَّجُلُ يَخْرُجُ مِن مَكَانِهِ وَيَنْزِلُ وَيَمْشِي عَلَى شَوَايِخِ الْأَرْضِ "(ميخا
1/3)، ويركب على الملائكة الكروي وينزل، ويركب على جنوده، وينزل، ويركب على أجنحة الريح...
(صموئيل 2/26 - 10/11)، وقد نزل مرة إلى باب خيمة الاجتياع، فكلم
موسى ووجها لوجه "ويكلم الرب موسى وجها لوجه، كما يكلم الرجل صاحبه
(الخروج 33/11).
وعلى النقيض فإن الكتاب المقدس يزعم أن الرعب زار إبراهيم وأكمل عنده بعض اللحم مع اللبن (انظر التكوين 18/8).

وعلى النقيض من القرآن ينجز الله سبحانه وتعالى على النبي موسى عليه السلام (ليست كشيئيه شيء وَهُوَ السَّمِيعُ البصیرُ (الشورى: 11)، وَمَا يَكُن لَهُ مَثَلُ أُحَدُ (الإخلاص: 3)، فإنه في الكتاب المقدس أشبه ما يكون بالإنسان الذي خلقه مشابها له "وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (التكوين 1/26).

ووصفهسفر دانيال بصفات الإنسان الجسدية، فشعر رأسه أبيض ولملاسه كذلك بJason"وجلس القديم الأيام، لباس أبيض كالثلج، شعر رأسه كالصور النقي، وعرشه ليب نار" (دانيال 7/9، ولله عيَّان وأجنان (انظر المزمر 11/4)، وله شفتان وгласان (انظر إشعياء 35/27-28، وله رجلان رأهما بنو إسرائيل (انظر الخروج 24/9)، وأيضاً له فم وأनف يخرج منها دخان ونار "صعد دخان من أنفه، ونار من فمه" (المزمر 18/9).

وقد مشى في الجنة، حتى سمع آدم وحواره وقع خطواته: "وسمع صوت الرعب المهمة في الجنة عند هبوط ريح النهار" (التكوين 3/8).

وانتقلت النجاة، بحسب القرآن - لا يرى في الدنيا لأَذَّنَكَ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَنْدِرُكَ الأَبْصَارُ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الحَيْبُ (الأعمال: 103)، وهذا خلاف المفهوم التوراتي الذي يزعم أن موسى رآه ووجها لوجه (انظر الخروج 33/11)، كما رآه يعقوب حين صارعه بعد أن عبر وادي يبوق، فسمى المكان "فينيل"، وهي كلمة عبرانية معناها رؤية الله "قائلاً: أين نظرت الله ووجها لوجه، ونجيت نفسي" (التكوين 32/27).

وعلى النقيض من القرآن ينجز الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، فإن سفر
التكوين وهو أحد أسفار الكتاب المقدس الذي زعموا أن القرآن منحوت منه يزعم في قصة عقوق السابقة أن الله هرع في مصارعته ليعقوب، وكذلك فإن سفر القضاة يذكر أن الرب عجز عن نصر بنى إسرائيل على بعض أعدائهم، لأن لهم مركبات من حديد (انظر القضاة 7 / 19).

وهكذا فإن هذا وغيره يثبت التباين الكبير في أهم مسألة كان يفترض أن ينقلها النبي من الكتاب المقدس لن كان هو مصدره في التعرف على الله تبارك وتعالى، لكن القرآن المبهر به إلى النبي خالف الكتاب في هذه المسائل وغيرها، لأنه وحى الله تبارك وتعالي.

ب. قصص الأنباء والأمم السابقة، بين القرآن والكتاب المقدس

الموضوع الثاني الذي شكره القرآن والكتاب المقدس في الحديث عنه، هو قصص الأنباء والسابقين، والمفروض أننا نتحدث عن حقائق تاريخية لم تختلف بين القرآن والكتاب المقدس بل والمؤرخين.

لكن قراءة سريعة في هذا الموضوع في الكتابين تثبت فروقاً هائلة بين معطيات الأحداث التاريخية هنا وهناك، علامة على كيفية العرض وغايته، فقصص الكتاب المقدس وردت في سياق تاريخي بحت، بينما وردت قصص القرآن في سياق الاعتبار والتدبر، مع الإعراب عن كافة التفاصيل التاريخية التي لم يجلف بها القرآن الكريم لعدم فائدتها، فالكتب الإلهية ينزلها الله للعظة، وليس للتاريخ للأمم والأشخاص.

ونتخب في هذا السياق إلى أن في القرآن قصصاً عن أنباء وأمم لا وجود لذكرهم في كتب اليهود والنصارى، مثل: قصص هود وصالح وشعبة وذي القرنين وأصحاب الكهف وقصة موسى مع الخضر، وغيرها كثير.

وأما القدر الذي اشتركا فيه، فبينها من التخلاف فيه ما لا يحصيه إلا الله،
ففي حين يعظم القرآن الأنبياء ويعتبرهم أعظم البشر وأفضلهم "وَوَهَبَنَا لِهِ "
إِسْحَاقَ وَيُعْقُوبَ كَلّا مَلِيْكًا وَبُنَاهَا مَلِيْكًا يِنْتِقَلُ بَيْنَ دُرُّهُ دَأَوْدُ وَسَلِيْمَانَ
وَأَبُو بَسْطَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَّلِكَ نُزُلُّ النَّبِيِّينَ وَرَكِيًا وَبَيْنَيْ
عِيسَى وَإِلِيَاهُ كَلِّي مَلِيْكِ الصَّالِحِينَ وَإِسْحَايْلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكَلَا
فَضَّلَنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ أَبَائِهِمْ وَذُرُّيَّهُمْ وَرِجَالِهِمْ وَخُوَّاهُمْ وَخَزَمَهُمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُّسْقِيمٍ (الأنعام: 84-87)، نجد في مقابلة في الكتاب المقدس حديثًا عن النبياء على خلاف ذلك، فإنا من رذيلة ولا بليه إلا ونسوا الكتاب إلى أنيباء
الله بارك وتعال.
فهيون عليه السلام النبي العظيم منزه عن الشرك وعن بناء العجل الذي
بناه السامري وعبده بنو إسرائيل من دون الله (انظر طه: 86-87)، لكن النوراة
تجلبه بانياً للعجل الذهبي العبود من دون الله (انظر الخروج 32/2-4).
وإذا كان داود في القرآن نبيًا عظيماً "اصْبِرْ عَلَى مَا يَقْتُلُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا
دَأْوُدْ ذَا الْأَيَاذِ إِنْ هُوَ أَوَّابٌ " (ص: 17)، فإنه في الكتاب المقدس كان زانياً (انظر
صموئيل 2/11-12 وقاتلاً، فقد قتل مائتين من الفلسطينيين، وقطع
غلفهم، ليقدمها مهراً لزوجته ميكل (صموئيل 18/27).
وأما سليمان فيصفه القرآن بالنبي الأواب: "وَوَهَبَنَا لِهِ أَوَّابٌ " (ص: 30)، في حين تزع النوراة بأنه ترك وصايا الله، وبنى
معابده للأصنام إرضاء لزوجاته الوثنائيات (الملك 11/13-11)، فهذه
المفارقات العظيمة في الصورة الإخلاقية، وأكثر منها في تفاصيل الأخبار، وهي
جميعًا تثبت التبشير بين الكتابين بما يُبيل أن يكون القرآن منحولًا من الكتاب
المقدس.
تنزيه القرآن الكريم

الأحكام التشريعية بين القرآن والكتاب المقدس

يشتركون أيضا القرآن بكتاب المقدس من حيث موضوع الأحكام التشريعية التي يشرع بها الله لعباده، والمسلمون يؤمنون بوحدة أصول الشريعة الإسلامية التي أنزلها الله على نبيه محمد وأخوته الأنبياء شرع لهم من الذين ما وصى به نوح ولكن أبيهم إبراهيم وموسى وعيسى أن أقسموا الذين وليت أبناه إلا الله، والقرآن نزل مصدقًا مما جاء به الأنبياء وهم كان هذا القرآن أن يشرع من دون الله ولكن تصديق النبي بين يديه وتفصيل الكتاب لا زائج فيه من رب العالمين (يونس: 32).

لقد كان من البدهي أن تشابه الشرائع المنزلة على الأنبياء لو حدة المشريع جل وعلا، ومرة أخرى نذكر أن بين الكتابين من التشابه على قدر ما في كتب القوم من الحق، فقد ذكر القرآن شريعة القصاص، وأنها شريعة شرعها الله لليهود من قبل وكتابًا عليه فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأدنى بالأنف والأدنى بالأنف والجروح في الناس بالنس والنس بالنس بالنس، وشفاء الهموم (المائدة: 45)، فهذه الشريعة عدل من الله، ولذا قررها على أبنائه وفي شرايعهم، ومنها شريعة محمد صلى الله عليه وسلم التي قررها القرآن: ولكل في القياس حياة يا أولى الألباب (البقرة: 179)، ولا يعني هذا التشابه - الذي يناسب عدد الله - أن النبي كان ينقلها من كتبهم.

لكن التطابق متنع بين الشرائع القرآنية والكتابية في كثير من الصور، ففي هذه الكتب الكثير من الشرائع التي لم يذكرها القرآن، لا بل تعارض مع قواعد التشريع القرآني الذي يرى فيها ظليلاً محراً، كشريعة كسر عنق الحمار وأما بكر الحيا، فتوفاه بشاة، وإن لم تكن تكسر عنه، كل بكر من بنيك تفديه (الخروج 4:30-19).

وأيضاً قتل صاحب الثور قصاصاً من الثور الذي نطف رجلاً فقتله (انظر
عن دعاوى المبطلين

الخروج (18-32)، وشريعة الإكراه على الزواج بزوجة الأخ المتوفر من غير
أن يكون له ولد (انظر التثليث 25/5-6) وأيضاً شرائع الكهنوت وإنطالة إقامة
العبادات والشعائر بهم (انظر سفر اللاويين في مواضع كثيرة منه) والتي لا نجد
هنا لأثراً في القرآن الذي لا يوجد فيه أي مسألة أو حكم يخرّ النظام الكهنوتي فضلاً
عن الدخول في تفاصيله.

ومن أمثلة التبانيين بين الكتابين أن القرآن يحرم الكثير والقليل من الخمر
(إنما الخمر والبلسم والأنصاب والأولام رجس من عمل الشيطان فاجتيبها)
(المائدة: 90) فإن الكتاب المقدس يرى شربها وسيلة لعلاج مشكلات الفقراء،
بسبب أن اتبعهم وآلامهم: "أعطوا مسكراً هلالك، وحراً لمري النفس، يشرب
وينسي فقره، ولا يذكر تعبه بعد" (الأمثال 31/7).

وفي العهد الجديد دعا بولس لشرب الخمر من غير إسراف في تعاطيه: "لا
تcken فيها بعد شرب ماء، بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك
الكثيرة" (تيموثاوس (13:23/5)، والفروق كثيرة يطول المقام بتبنيها.
ونحنم، بذكر شهادات مستشرقين منصفين، أوما المستشرق الإنجليزي
لاينتر الذي يقول في كتابه "دين الإسلام": "بقدر ما أعرف من ديني اليهود
والتوصيات وأقول بأن ما علمه محمد ليس اقتباساً بل قد أوهى إليه ربه، ولا ريب
في ذلك.

وأما الشهادة الثانية فهي مليون دي كاستري، وفيها يقول: "ثبت أن محمدًا
لم يقرأ كتاباً مقدساً، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه".

(1) قالوا عن الإسلام، عياذ الدين خليل، ص (108،133).
ثانياً: هل تعلم النبي ﷺ القرآن من بحيرة وورقة بن نوفل؟

قالوا: تعلم محمد ﷺ من راهم نسطوري كان يقيم في مدينة مصرى في الشام، كما تعلم من ورقة بن نوفل وهو من علامة أهل الكتب في مكة، وترتبط صلة قراءة بخدجية زوج النبي ﷺ.

والجواب: تتورث في وجه هذه الفرقة وأمثالها أسلتبة منطقية كثيرة: إذا كان القرآن متقولاً عن ورقة وبحيرة فلم ينسبه إلى أنفسهم ولم أمكنا محمدًا ﷺ من ذلك؟ وكيف أطلع هؤلاء على علوم القرآن التي سجلت قصص الأولين والآخرين وحوت المهر من أخبار الغيوب التي كشف عنها العلم الحدث اليوم؟

لم فرضنا أنه ﷺ تعلم من بحيرة وورقة أخبار السابقين، فهذا عن مشات الآيات التي نزلت بخصوص أحداث حصلت بعد وفاة بحيرة وورقة بزمن طويل، فعملها القرآن في حينها، كسورة آل عمران التي تتعلق ثمانية أيها منها بقصد نصارى نجران، وستون أيها أخرى بأحداث غزوة أحد، وسورة النوبة التي تحدثت عن أحداث تتعلق بغزوة تبوك، وسورة الأحزاب التي تناولت أيضاً أحداث تلك الغزوة، ومثل هذا كثير لا يذكر.

ويلزم هذا التنبية إلى أن لقيا النبي ﷺ الراهب بحيرة إيان شبيهته ليس محل اتفاق المسلمين، فقد حسن رواية هذا الخبر بعض أهل العلم، وضعفها آخرون منهم.

(1) قصة لقيا النبي ﷺ بحيرة أخرجها الحاكم في مستندره (١٦٢)، قال: صحيح على شرط الشيخين، فتعقب الذى في التلخيص بقوله: "أظهأ موضوعاً، فبعضه باطل"، وأخرجته الترمذي (٣٦٢)، وقال: "حسن غريب"، وأبو نعيم الأصفهاني في معرفة الصحابة (١٨٠).

(١١٢١)، والطبري في تاريخه (٢٧٧)، ونقلها ابن هشام في تذبيه للسيرة (١/١٨٠).
وعلى فرض صحة الرواية فإنها عساها يتعلم غلام يبلغ من العمر التاسعة أو الثانية عشرة (3) في لقاء واحد من هذا الراهب النسطوري! لقد صدق توماس كارلايل: "لا أعرف ماذا أقول بشأن الراهب النسطوري (سريجاس) الذي قيل إنه تحدث مع أبي طالب، كم من الممكن أن يكون أي راهب قد علم صبياً في مثل تلك السن، لكنني أعرف أن حديث الراهب النسطوري مبالغ فيه بشكل كبير.
فِّ قَ دَ كَانَ عَمَراً مُهْدٌ أَرِبَّى عَشْرَ عَامَّاً، وَلَمْ يُعْرِفْ لَغَةً غَيْرَ لَغَتِهِ شبَكَةً (1).
وفرض صحة رواية لقيا الراهب للنبي صلى الله عليه وسلمنا إلى نتيجة أعرض عنها الطاَّعْن عِ نَا في القرآن، فقد قال الراهب الذي زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم منه: (هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من فريق: ما علمك؟ فقال: إنك حين أشرفت م من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً، ولا يسجدان إلا النبي، وإن أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل النفاح) (2).
هذا ولم تنقل الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم جَ لَ س إِ ل بَ حِ يِرَا يُ تِلْعِ م مُنِهُ أَخْبَار السَّابِقِينَ أو غيرهم، بل ذكرت أن بحيرا كان يسأل النبي عن أشياء من حاله ونوره وحيته وأموره (3)، يستثت فيها من كونه نبي آخر الزمان بما يعرفه من بشارات أهل الكتاب عنه، وقد قال أبو طالب:
ما رجعوا حتى رأوا من محمد أحاديث تجلو غم كل فؤاد
وحتى رأوا أجاز كل مدينة سجودًا له من عصبة وفراد

(1) فقد اختلت ال روأيا في ذلك على الرأين.
(2) أصبح، توماس كارلايل، ص (28).
(3) أخرجه الترمذي ح (320)، وقال: "حسن غريب".
(4) انظر: تهذيب سيرة ابن هشام (1/180).
قال له بعد تكذيب وطول بعده:

"فإنى أخفى الحاسدين وإنى لفي الكتب مكتوب بكل مداد (1) وأما ورقة بن نوفل الأسدي فلما ذكر كتاب السيرة والسنة أن النبي صلى الله عليه وسلم:

لقيه إلا يوم نزل عليه الوحي في غار حراء، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، وتوفي بعدها، أي لم يدرك من القرآن إلا نزل خمس آيات فقط، وقد قالت عائشة رضي الله عنها وهي تحكي قصة لقيا النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزوله من غار حراء: (ثم لم ينشب

[يلبث] ورقة أن توفي (2)).

ولو تأمل المنصف بقية القصة لرأى فيها دلالات نبوته صلى الله عليه وسلم، فقد شهد له بالنبوة هذا العالم من علماء أهل الكتاب، فقال: (هذا الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك.. لم يأت رجل قط ب مثل ما جئت به إلا عودي، وإن بدر كني يوبيكُ أن ترك أنصره نصراً مؤزراً).

لقد عرف ورقة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم من سمعه منه عن ظهور جبريل له في غار حراء، حين قال له: أقرأ. فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أنا بقارئ؟»، فهو مصدق مما يجده في صحف أهل الكتاب في سفر النبي صلى الله عليه وسلم. "أو يدفع الكتاب لن يعرف الكتابة، ويقال له: أقرأ هذا، فقول: لا أعرف القراءة" (إشعياء 29/12).

فورقة العالم بالكتب السابقة يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة، ويتعرض على أيام فتوته، ويبدو لو قدر على نصرة هذا الحق القرآني، ولو كان هذا القرآن من تعليمه لكان له موقف آخر، وصدق الله: «وَيَقُولُ الْذِينَ كَفَرُواْ نَسْتَ مُسْرِسَلاً فَلِكُلِّ فَتَى بَيْتِ يُشْهِدُونَ وَيَتَبَكَّمُونَ وَمَنْ عَنَّدَهُ عَلَمَ الْكِتَابِ» (الرعد: 43).

(1) انظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر (616/111).
(2) آخرجه البخاري (416)، ومسلم ح (160).
(3) انظر الحديث السابق.
ثالثاً: هل القرآن منحول من شعر امرئ القيس؟

قالوا: القرآن من تأليف محمد [النبي)، وقد نقل في سورة الفصل في أربعة أبيات من شعر الشاعر الجاهلي امرئ القيس الذي يقول:

دَنِّبَ السَّاعَةَ وَانْسَقَ القَُمِّرْ
عَنْ غَرَالٍ صَادِقٍ قُلِّيٍّ وَقُرْ
أَحُورُ قَدْ جَرَتْ فِي أَوْصَاِهِ
تَأَصَّرَ العُرْفِ بَعْيَنِيَّةَ حَوْرُ
بِسَهَامِ مَنْ خَاطَرَ تَأْكِيٍّ
تَرَكَتْنِي كَهَيْسِيَّةَ المُحْتَكَرِ
وإِذَا ما غَابَ عَنِي سَاعَةٌ
كَانَتِ السَّاعَةُ أَدْهَى وأُمَّرْ

الجواب: لو فرضنا أن القرآن وافق في أربع أبيات معاني مذكورة في شعر امرئ القيس، فإذا عن بقية أبيات القرآن التي جازت السنتة آلاف، هل يعجز من ألف هذه الآلاف - من غير أن يكون لها مثيل في شعر العرب - عن مثل هذه الفقرات الأربعة؟

إن التنازل في بعض الألفاظ أو الأساليب التعبيرية لا يعني النقل على كل حال، بل نقول: إن وقوع التنازل في أساليب البيان أمر بدهي، إذ جاء القرآن على نسق تعهده العرب، فلن يكون مستغرباً أن يشبه ما عدهوه من أمثلة واستعارات وسواء ذلك من ضروب البلاغة، لأنه نزل "لِبِلَّسَانِ عَرَبِيٍّ مَّيْسِيٍّ" (الشعراء: 195).

 ولو كان النبي ﷺ يقتبس من أشعار امرئ القيس فلماذا سكت عنه قريب، وهو الذي يتحداها أن تأتي بمثل القرآن أو بعضه، إنهم لم يحتجوا من القول وقَالُوا أَسْلَأَطُّ أَوْلَاهُ أَكْتَبَهَا (الفرقان: 5)، لكنهم لم يتهموه أبداً بالنقل عن شعرائهم وأدبائهم.

على أي حال، فلم يجعلون يقولون: إن هذه الأبيات مقتبسة من القرآن، وليس العكس، فقد كتب زمن العباسيين، ونسبت إلى امرئ القيس ضمن ما
ينسيب بظاهرة النحل في الشعر العربي، حيث عبد بعض الرواة ك(حماد بن هرمز الراوية 155 هـ، وتلميذه خلف الآخر 180 هـ) زمن العباسيين إلى وضع أشعار من إنشائهم ونسبوها إلى الجاهلين.

ولإلقاء نظرة على طريقة وصول شعر امرئ القيس إلينا نقل قول الأصمعي: "كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس، فهو عن حماد الراوية إلا شيئًا سمعناه من أبي عمرو بن العلاء"(1)، فمن هو حماد هذا وما موثوقيته؟ يقول محمد بن سلام الجمعي: "أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية، وكان غير موثوق به، وكان ينحل شعر الرجل غيره، وينحله غير شعره، ويزيد في الأشعار"(2).

ويقول أبو حاتم: "كان بالكوفة جماعة من رواة الشعر مثل حماد الراوية وغيره، وكانوا يصنعون الشعر، ويفتنون المصنوع منه، ويسبونه إلى غير أهله. وقد حديثي سهيل بن هريم البرجيجي قال: حدثني من أتى به أنه كان عند حماد حتى جاء أعراي، فأتشوه قصيدة لم تعرف، ولم يجب لم نشهد، فقال حماد: اكتبها، فلها كتبوها وقام الأعرابي، قال حماد: لم ترون أن نجعلها؟ فقالوا أقولاً، فقال حماد: اجعلوها لطرقة.

وقال الجاحظ: ذكر الأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد عن يونس أنه قال: إن لأعجب كيف أخذ الناس عن حماد وهو يلحن ويكسر الشعر ويصحب ويكذب، وهو حماد بن هرمز الديلمي.

قال أبو حاتم: قال الأصمعي: جالست حماداً فلم أجد عنده ثلاث مائة

(1) المزهر في علوم اللغة، السيوطي (348/2)، وانظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواب علي (14/12).
(2) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام (48/1).
حرف، ولم أرض روايته"(1).
وزاد الطين بلة تلميذه خلف، حيث يقول: كنت أخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب، وأعطيه المتحول، فقبل ذلك مني، ويدخله في أشعارها، وكان فيه حق"(2).
ولو تأمل الأرب في معلقة أمير القيس وجزالة ألفاظها وغريب سبكها لأيقن كذب نسبة تلك الأبيات الممتلئة رقة وعدوابة إليه، بينها من التباني في الأسلوب والألفاظ ما لا يخفى على أديب ناقد، أو عارف بطبقات شعراء العرب واساليهم، ولذلك لم يوردها مصطفى عبد الشافي في ديوان أمير القيس الذي جمعه وحققه(3).

(1) الأرغامي، أبو الفرج الأصفهاني (6/ 102).
(2) المصدر السابق (6/ 101).
(3) انظر: ديوان أمير القيس، ضبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1403 هـ.
 whence 

فهماهم - على أن القرآن منحول من شعر هذا الشاعر العربي. 

والجواب: أن أمية بن أبي الصلات شاعر عربي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان من الحنفية الراضين لعبادة الأصنام والأوثان، ورأى الرسول محمد ﷺ لمعته سورة (يس) في مكة، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال: 

أشهد أنه حق، قالوا: هل تتبعه؟ قال: حتى أنت في أمره. وخرج إلى الشام. 


فأمية معاصر للنبي ﷺ، سمع منه القرآن فتأثر به، وكاد أن يسلم لولا 

(1) البداية والمنهاية، ابن كثير (2/285)
عِصِبَتِه لأُبِّناء خَالِه، فَهُوَ الَّذِي تَأَثِّر بِالقُرَآن، وَلَمْ يَتَأَثِّرِ الْقُرَآنُ بِهِ، وَقَدْ سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ شَعِيرَةً أَمْيَةً مِنْ السُّرِيدِ بْنِ سُوْيَدِ فَأَعْجَبَهُ، وَقَالَ: "فَلَكَدْ كَادْ يُسْلَمُ فِي شَعِيرَتِهِ". لِكَنَّ العَجِبَ مِنْ زَوْمِ المُبْطِلِينَ أَنَّ الْقُرَآنَ نَقَلَ عَنْ أَمْيَةٍ، بِيْنَا يَشْهَدُ أَمْيَة عَلِى صَحِبَةِ الْقُرَآنِ فَيَقُولُ لِكَفَارِ قُرَشٍ: "أَشْهَدُ أَنْهُ حَقٌّ"، فَلَمْ لا يِقْبَلَ الْقُوَمُ شَهَادَتِهِ الَّتِي تَكَذَّبُ وَتَنِفَضُ دُعَا وَهُمْ بِنِلَّ الْقُرَآنَ مِنْ شُعْرِهِ؟ كَأَنْ تَذَكَّرَا الْأَخَاَرَ أَنَّ أَمْيَةٍ كَانَتْ تَوْقُ لِلنَّبِيِّ بِمَبْعُوثِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ كَانَ النَّبِيُّ يَنَقِلُ مِنْ شَعِيرَتِهِ "هَلْ يَعْقِلُ سَكْوَتُ أَمْيَةٍ لَوْ كَانَ قَدْ وَجَدَ أَيْ ۖ وَأَوْلَٰٰيَءِ؟ وَإِنْ كَانَ بَعْدَاً يَفْئِدُ أَنَّ الرَّسُولِ قَدْ أَخَذَ فَكْرَةً مِنْهُ، أَوْ مِنْ الْمَوْرِدِ الَّذِي أَخَذَ أَمْيَةٍ نَفْسُهُ مِنْهُ؟ لَوْ كَانَ شَعِيرُ بِذَلِكَ، لَنَادِيَهُ بِحَتَّى، وَلَأَعْلَنَّ لِلنَّاسِ أَنَّهُ وَهُوَ وَمَحْمُودُ أَخْذًا مِنْ مَنْ بَعْدَهُ وَأَنْ مَحْمُودًا أَخْذُهُ مَنْهُ، فَلَيْسَ لِهِ مِنَ الدِّعَوَةِ شَيْءٍ، وَلَكَنْتَ قُرُشٌ وَثَقِيفُ أَوْلِ الْقَلَائِلِ بِهَا القَولُ وَالْمَنَادِينَ بِهِ" أُلَّفَ لَوْ كَانَ صَحِيحًا مَا يَقَالُ عَنْ الْقَعْلِ مِنْ شَعِيرَةِ أَمْيَةٍ بِنِبَاتِ الْصِّلَّةِ الْثَّقِفِيَّةِ لَمَّا أَسْلَمَ أَهْلُ بِيْتِهِ، فَقَدْ أَنْتَ أَخْتِهِ فَارَعَةُ النَّبِيِّ ﷺ مُسَلِّمَةُ بَعْدَ فَتْحِ الطَّافِقِيَّةِ، وَأَنْشَدَتْ بَيْنِ يَدِيهِ شَيْئًا مِنْ شَعِيرَةِ أَخْلَفَاهَا، كَأَنْ ذَكَرَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ وَالسِّرِّ إِسْلَامٌ أُلَّاَدَةَ حِينَ أَسْلَمَتْ ثَقِيفُ كُلَّهَا، فَابْنُهُ الْقَاسِمُ ذَكَرَهُ ابن حُجَرُ فِي الصَّحَابَةِ، وَكَانَ شَاعِراً، وَهُوَ الَّذِي رَثَّى عَفَانُ بْنُ عَفَانُ ﷺ بِقَولِهِ: لَعْمِرٌ لِبَنْسِ النَّبِيِّ ضَحْيَتِهِ بِهِ خَلَافُ رَسُولِ اللَّهِ يَوْمِ الْأَضَاحِي

(1) أَخْرِجَهُ مَسْلِمُ حُ(۲۲۵۵).
(2) الْبَيْداَةُ وَالْإِنْهَاءُ، بِنِعُّوَدُ (۲۸۵/۲).
(3) المَفْتَحُ فِي تَأْرِخِ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ، جُوُابُ عُلِيّ (۱۲۸/۱۸).
(4) أَخْرِجَهُ أَبُو بَكْرُ الْشَّبِيْبَيْنِيَّ فِي الْأَخَدَامِ وَالْمَنَاهِجِ حُ(۳۴۷۸).
طبعوا نفوساً بالقصاص فإنه سيسعى به الرحمن سعي نجاح
وكذلك أسلم ابنه ربيعة بن أمية، وهو كذلك مذكور في الصحابة" وابنه
القاسم بن ربيعة وله عثمان بن عفان الطائف،" وكذلك أسلم وهب بن أمية "،
وفي إسلام هؤلاء ما يكفي لرد هذه الأبطال، فلو رأوا القرآن أو بعضه منحولاً
من شعر أبيهم لفضحوا ذلك، ولما كانوا في عداد المؤمنين.
وискوك جواد علي بكثير ما ينسب إلى أمية ويرده إلى ظاهرة النحل التي
ذكرناها آنفاً، فبعض ما ينسب إليه لا يعقل أن يكون من شعره، وهو لا يرب
منحولاً ومتمكّل عليه، ومنه قولهم:
\[
\frac{\text{ذلك الحمد والمنّ رب العبا}}{\text{لم يظلم}}
\]
فعاش غنياً ولم يضتم
ومحمداً أرسله بالهدى
وعطاء من الله أعطيته
وقد علموا أنه خيرهم
وأطيعوا الرسول عبد الله
وفأصلة الآية ينون
تناجون من شر يوم ألم
ومن حر نار عل من ظلم
فمن لم يعجبه أسر الندم
ريحهم رؤف بوصل الرحم
بلاه نبي هدى صادق طيب
به ختم الله من قبله

(1) انظر: أسد الغابة في معركة الصحابة، ابن الأثير (3/ 596)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (5/ 405).
(2) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (2/ 461).\\
(3) انظر: الإكبار، ابن ماكولا (6/ 302).\\
(4) انظر: أسد الغابة في معركة الصحابة، ابن الأثير (5/ 456)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (6/ 622).
عن دعاوى المبطلين

يرد إلى الله بارى النسم
هم أهلها غير حل القسم
ومجدًا وعلم خط القلم
فمن يعتريه فقد ما أتم

فهذة الأبيات منسوبة إلى أميّة بن أبي الصلت، وهي قطعاً من منحول الشعر المسوب إليه، إذ لا ريب لمؤمن بالمسيح مصدق بالقرآن، وهذا لم يتحقق في أميّة الذي مات على الكفر.

ثم لو فرضنا جدلاً أن أميّة كان قبل الإسلام، فهل مجرد التشابه في كلمات معدودات كاف للحكم أن القرآن - بطوله - منقول عن هذا أو ذلك، فئة هؤلاء القوم لا يكادون يفظهون حديثاً؟ (النساء: 78).

وهمذاً تبين سخف وضعف الاختلافات والأباطيل التي تنسب إلى القرآن النقل من هذه المصادر البشرية، وأنه كلام الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من حكيم حميد.

***

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي (1388/2)، وانظر: خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي (149/1).
الناصِخ والمنسوخ في القرآن

قالوا: في القرآن ناصِخ ومنسوخ، ومثل هذا لا يعقل أن يكون في كلام الله العليم المحيط بكل شيء، لأن الناصِخ يدل على نقص العلم، وتبدل الرأي، والله منزه عن مثل هذه الآفات.

والجواب: العجب كله العجب أن يستنكر وقوع النسخ في القرآن ويستقبله من تطهير أسفاره المقدسة وتشريعاته بملته، من غير أن يرى في ذلك قدرةً في كتابه، فكم من حكم في النزهة نسخه العهد الجديد، ولأجلَّ لكم بعضَ الذي حرَّم عليكمَّ (الآل عمران: 50).

وشهد هذا النسخ في كتابهم المقدس كثيرة، ومن ذلك أن الله حرم عليهم في النزهة الكثير من الحيوانات واعتبرها نجسة، كالخنازير والإبل والأرانب "إلا هذه فلا تأكلوها، وما يشرب، وما يشغال الظلم المنقسم: الجمل والأرنب والوبر، لأنها يجتَّر، لكنها لا تشرب ظلماً، فهي نجسة لكم، والخنزير لأنه يشغال الظلم، لكنه لا يجتَّر، فهو نجس لكم، فمن همها لا تأكلوا" (التثنية: 14/7-8)، فهذه الحيوانات.

وغيرها مما ذكر بعدة - نسخة بشهادته النزهة (الناظر النزهة 14/1-24).

ومع ذلك لا يمنع المسيحين اليوم عن واحد منها، لأن مقدسههم بولس أخبرهم بنسخ نجاسة ونسخ تحريمها أيضاً بقوله: "أندأ عالم ومتيقن في الربيسوع أن لا شيء نجس في حد ذاته، ولكنه يكون نجساً لم يعتبره نجساً" (رومية 14/14)، فهذا نسخ لحكم التجاسة التوراتي، وأما نسخ التحريم ففي زعم بولس أن المسيح بدمه المسفوح "ما الصك الذي علينا في التراث.. فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت" (كولوسي 2/14-16)، فقد نسخ دمه كل المحرمات من طعام وشراب وسبت، ولأجل ذلك يأكلها المسيحيون بلا أي حرج؛ مع إياهم بصحة النصوص التوراتية.
المحرّمة لها، لكنهم يعتبرونها نصوصًا منسوبة من جهة العمل بها.
بل إن الكتاب المقدس يحكي لنا في مسألة حكم الطلاق عن تبدل ونسخ
الحكم الإلهي مرة بعد مرة، فالطلاق حسب إنجيل متي كان حرامًا في زمن آدم،
ثم أحله الله لبني إسرائيل في أيام موسى، فجاءت شرائع التوراة ببيان أحكامه
(انظر التثنية 24)، ثم حرمه المسيح عليه السلام إلا لعنة الزنا.
وبيان هذا تفصيلٌ أن المسيح قال للسريان محرماً الطلاق: "الذي جمعه
الله لا يفرقه إنسان، قالوا له: فليذا أوصي موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق؟
قال لهم: إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم، ولكن
من البدء لم يكن هكذا، وأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنى وتزوج
بأخرى زنى. والذي يتزوج بمطلقة زني" (متى 19/6-9).
ويبطل النصارى اليوم كل الشرائع التوراتية الموجودة في العهد القديم،
والتي يؤمنون بقدسيتها، وأنها من الله تعالى، لكنهم يرونها منسوبة من جهة
العمل بها، ويقولون: أبطلها جميعاً جسد المسيح المعلق على الصليب، كما يقول
بولس عن المسيح: "ببطلًا بجسد ناموس الوصايا" (أفسس 2/15) وقوله:
"الmessiah افتداها من لعنة الناموس" (غلطية 3/13)، فالMessiah وفق هذه الفقرات
خلصهم من اللعنة المذكورة في سفر التثنية، والتي تحيط بكل من لا يعمل بأحكام
الشريعة: "ملعون من لا يقيم كليات هذا الناموس، ليعمل بها" (التثنية
27/26)، فبطل فيها بطل مئات الأحكام التوراتية الواردة في سفر التثنية
واللاويين، كقتل القاتل ورجم الزاني والحانوت والسبت وتحريم الخنزير.
ويلزمنا هذا التنبه إلى أن قول أهل الكتاب بالنفس مختلف تمامًا عن قول
المسلمين الذين يعظمون المنسوب من القرآن، ويرونه حكماً إلهياً صالحاً ونافعاً
رفعه الله بحكم آخر ألفه لعباده منه مراعاة لغيرة أحوالهم، بينما تنتقص كتب أهل
الكتاب المنسوخ منها، وتجعل علة نسخه ضعفه وعدم نفعه، لا مراعاة المستجدات في أحوال الناس، يقول الكاتب المجهول لرسالة العرابيين: "إنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها، إذا الناموس لم يكمل شيئاً، ولكن يصير إدخال رجاء أفضل، به نقترب إلى الله" (عربيةين 7/18 - 19).

ويواصل كاتب رسالة العرابيين، فيصف ناموس الكهنوت التوراتي بالاعتقاد والشيخوخة والتهافات، يقول: "أواما ما اعتنق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (عربيةين 8/13)، ويزدريه منتهاً إياه بالعيب: "فإن له كان ذلك الأول بلا عيب، لما طلب موضوع لاثان" (عربيةين 8/7).

أما نحن المسلمين، فمنقول: إن الله على كل شيء قدير، وهو بكل شيء عليم، لا يعزع عنه شيء في السواها ولا في الأرض، ونسخ بعض آياته إنها هو من قام علمه بما يصلح أحوال خلقه، وقد حكي الله لنا في القرآن استنكار المشركين للنسخ، وتولى الرد عليهم ببيان سعة علمه، وأنه عز وجل يبدل وفق علمه العظيم رغم معارضة الذين لا يعلمون بما يفعله الله وما يقدر عليه. "وأواء بدأنا آية مكانت قل وإنما أنست مسر بين لكنهم لا يعلمون" (النحل: 100). وقد بنيت الآية التي بعدها علة التبديل، وأنه مراعاة لتبدل أحوال الناس، "قل لتثن روح القدس من ربك والحق ليثبت الذين آمنوا وشهدوا وشهدوا للمسلمين" (النحل: 101). فتبين الآية أن النسخ يكون بعلم الله المطلق على ما يقوله الجاهلون.

وتقرب فهم النسخ إلى الأذهان مائ العلماء له بفعل الطيب الحاذق الذي يصف للمرضى دواء، وهو يعلم أنه بعد تحسن حاله سيصف له دواء بديل. يناسب حاله الجديد، فتبتديله للدواء عن علم وحذق، وإن استنكر صنيعه بعض
تنزيه القرآن الكريم

الذين لا يعلمون.

هذا ويجب التنبيه إلى أن النسخ خاص بالأحكام التي تبدد مراعاة لأحوال العباد، ولم يقع شيء من نسخ القرآن في الأخبار، لأن النسخ فيها ضعف علم وقلة معرفة وتكذيب تخريج سابق، وإنها وقع نسخ القرآن في الأحكام التي تدرج الله فيها مراعاة لأحوال الناس، وليعطيهم فرصة لتغيير إلينهم وما اعتادوه زمناً طويلاً.

ومثال ذلك في تحريم الله الخمر بالتدريج مراعاة لأحوال العرب الذين كانوا يعاقرون الخمر، فأراد الله أن ييسر عليهم ترك هذه العادة فحرمها بالتدريج، فأول ما نزل فيها قوله: {يَسَأَلُونَكَ عَنِ الْحَمْرَةِ وَالمُيْسِرِ قُلْ فِيْهَا إِنْ كُبْرَ وَمَنْ يُفْعَلُهَا إِلَّا نَفْعَهَا} (البقرة: 219)، فالخمر فيهما منافع محدودة ( كالتجارة)، لكن ما فيها من الإثم والضرر أعظم، وهذا كاف عند الكثيرين للتبني إلى خطرها والامتناع عنها دعاءً لذردها، واستغفانه عن منفعتها المالية.

ثم بعد أن تشيع المسلمون بهذا المعنى وامتنع الكثير منهم عن معاقرة الخمر نزل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سَكَارِىٰ حَتَّى تَغْلِبَ مَا تَقْوَلُونَ} (النساء: 43)، فامتنع جميع المسلمين عن تناولها سائر النهار، لأنها تشغل عن الصلاة وتفسدها، فتضجع عليهم وقت شربها، فلم يجدوا لها وقتاً إلا ما بين صلاة العشاء إلى الفجر، وهو وقت نومهم وراحتهم، وما بين الفجر والظهر، وهو وقت أعمائهم.

وقد أحس الصحابة لما نزلت هذه الآية أن الله يشدد عليهم في الخمر، فدعا عمر ﷺ فقال الله بلى لنا في الخمر بيان شفاء. فنزل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْحَمْرَةَ وَالْمُيْسِرَ وَالْأَنْصَابُ وَالأَزْلَامَ رَجُوسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيَاطِينِ} فاجتيبتُوْهُمُ مَلَكُمُ تَفْلِيْحُونَ {إِنَّا نُرِيَ السَّيْتَانَ أَنْ يَقْعُدَ بِنَكْمٍ المَعْدَاؤِ وَالْبَيْضَاءِ} في الحمر والميسر ويدمك عذاب الله وعين الصلاة فهلم نستم مستمرون} (المائدة: 88).
عن دعاوى المبطلين

90-91)، فدعي عمر، فقررت عليه، فقال: (انتهينا انتهينا).

فتعقيح حكم الخمر، ونسخه في آيات القرآن مرتب بأحوال الناس ومراعاة
مصلحتهم بالتدريب في التخلص من عادة شرب الخمر، كحال الطيب الذي
يعطي مريضه دواء ثم يستبدل بدواء آخر في أجل كان يردبه، لتحسين حال
المريض، فهذا من حذقه، ولو وعده بعض السفهاء قلة علم وضعف معرفة.

كما قد يقع النسخ لحكم أخرى، منها ابتلاء الله واختباره امتثال العباد
لأوامره 

وَمَا جَعَلْتَ الْقَبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَنْهَلُّ مِنْ يَتَّبَعُ الرُّسُلُ مِنْ يَتَّبَعُهُ

على عقبة وإن كانت لكبيرة إلا على الذين نذروه (البقرة: 141).

ومن هذا النوع أيضاً ابتلاء الله لإبراهيم حين أمره الله بذبح ابنه ابتلاء واختباراً، فكا امتثال
إبراهيم وإسحاقامر رحبها، ورأى الله صدق استسلامهما وانقيادهما؛ افتداؤه
بكبش أمر إبراهيم بذبحه، وبذلك نسخ الله الأمر بذبح الابن بأمر جديد وهو
ذبح الكبش، لا لعلم جديد علمنه الله، بل هو العلم الذي علم كل شيء قبل أن
يخلقه، وكما قال تعالى: (كتب الله مفادي الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض
بخمسين ألف سنة).

ويقع النسخ أيضاً - تشديد الأحكام - عقوبة من الله لعصاة بني آدم، كما
حرم الله على بني إسرائيل بعض ما كان حالاً عليهم، فظَّلَف من الْذِّينَ هَادَوُا
حَرَّمَتَا عَلَيْهِمْ طِبَائِتَ أَحْلَتُ هُمْ وَيَصَادِقُ هُمْ عَنْ سَبِيلِ الله كُلُّهَا وَأَحْذِمُ هُمُ الرَّبْنَا
وَقَدْ بَعَذَّبُهُمْ عَنْهُمْ أَمْوَالَ الْنَّاسِ بِالبَاطِلِ وَأَعْتَدَّهُمْ لِلَّكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابَ أَلِيَّاً
(النساء: 160-161).

(1) أخرجه الترمذي ح (493)، والنسائي ح (554)، وأبو داود ح (367).
(2) أخرجه مسلم ح (2153)، ويحده هذا النص إلى أن قصة إبراهيم مع ابنه الذبيح ونسخ الله أمره
بالذبح مذكورة في سفر التكوين (انظر الإصلاح 24).
وكان هذا النسخ بعض كمال قوة الله وقراته وعلمه بما يصلح لعباده، فهو
ينسخ ما يشاء، ويبدله بما شاء وأراد، مَثَّلَهَا آتٍ أَوْ نَسَخَهَا. يَحْرَرُ مِنْهَا أَوْ يَمْتِعُهَا. (البقرة: 60). فَالآية صريحة بِكُلِّ صفات الله، وأنه ينسخ ما يشاء بقدرته التي لا يجدها شيء.

ويلزمنا التنبيه إلى أن النسخ في القرآن لا يقع من النبي أيما، بل هو فعل إلهي خص: "كَأَنَّا ذُوُّ الْقُلْبِ الْمَكْرِيُّ لَنَحْدِثُ مِنْكَ نَسْخًا ثَانِيًا إِنَّكَ لَمَّا تَعْبُرُ إِلَّا مَا يَجِدُكَ" (يونس: 15).

ثم لو تأملنا الآيات المنسوخة لوجدنا فيها وأحياناً ما يشعر بكون هذا الحكم موقتاً، كا في حكم حبس الزانية في قوله: "وَاللَّذَى يَبْتَغُوهَا، فَلْيَسْتَمَعَ هُمْ كَمْ آتٌ كُلِّهَا فَلْيُكَلِّدُوهَا رَبُّهَا، إِنَّ الْمَلَأِ الْأَعْظَمُ بِالْعَزْلِ. وَلَيَتَفَّرَّ أَهْلُ الْبَيْتِ أَوْ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمَّ سَيْبَالَةً" (النساء: 15). فقوله: "أَوْ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمَّ سَيْبَالَةً" نص في ترقب حكم جديد من الله تعالى، وقد تحقق هذا السبيل المنتظر من الله في آيات سورة النور التي قضت بجلد الزانية، بدلاً من الحكم المنسوخ (حبسها).

ولم ننسخ الآية من التلاوة؛ لأن الله نسخ حكمها، وأبقاها متمولة إلى قيام الساعة؛ يحذر المسلمين على قراءتها، ويرون فيها بعض رحمة الله وتخفيه على عباده حين نسخها بحكم آخر أمر منه.

أما النوع الثاني من أنواع النسخ؛ فهو نسخ التلاوة، وهو نوع مخصص بآيات من القرآن نزلت على النبي ﷺ، وقرأها المسلمون، ثم رفعها الله من قرائه

حكمه هو أعلم بها "يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء وَيُبْتَغِي وَعْنَدَهُ يَتَمَّ الْكِتَابِ" (الرعد: 29)، فما يمحوه الله من آياته ليس نسياناً، ولا لغيره ما يطرأ على البشر، بل هو وفق حكمته ومشيئته وعلمه الأزلي "يَبْلُوُّ الْقُرْآنَ بَعِيدًا، يَبْلُوُّهُ بالْحَقِّ مَحْفُوظًا" (البروج: 34).
عن دعاوي المبطلين

21-22، فهو تبارك وتعالى قادر على نسخ ما يشاء من آي القرآن (ولِّيْنَ شِفَتًا لَّدُوْمِينِ بِلَدُوْمِينِ أَوْحَيْتَا إِلَيْكَ) (الإسراء: 86).

ولو شئنا تلمس ومعرفة الحكمة الإلهية في نسخ بعض الآيات تلاوة؟ لوجدنا أن بعض هذه الآيات نزل في معالجة أحداث مختصة كحادثة بشر معونة التي قتل فيها ميقات عُشر المسلمين حينذاك، فأنزل الله ما أنزل تبليحاً لقلوب المؤمنين في وقت كريتهم وزلزالهم، ومثله نزلت آيات النهي عن الانسباب لغير الأب في وقت كان الناس يتعابرون بأنسابهم، فلربما نسب الرجل نفسه إلى غير أبيه؛ فلها علم ربنا عز وجل حاجة المسلمين إلى تلكلم الآيات في ذلك الزمان؛ أنزلها، وعلم ربنا أن الحاجة إليها مؤقتة، وأن البشرية لا تحتاجها في أجيالها القادمة؛ فنسخها بما هو خير منها أو مثلها، ورفع تلاوتها من الصاحب.

إن ما يعتبر المسلمون قرآناً ليس كل ما نزل على النبي ﷺ من الوحي، بل ما أنبته الله في العرضة الأخيرة لجبريل، وهو يعرضه على النبي ﷺ في آخر رمضان أدركه النبي ﷺ قيل وفاته، وهذا المعنى يخبر عنه أنَّس بن مالك ﷺ بقوله: (أنزل في الذين قتلنا ببر معونة قراناً، ثم نسخه بعد {بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا، فرضي عنا، ورضي عنه}).

ويوضحه قول عمر ﷺ: (أقرؤنا أبي، وأفضنا علي، وإننا لندع من قول أبي، وذاك أن أيها يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، وقد قال الله عز وجل: (ما نسخ من آية أو نسحها نأت بهجر منِّها أو مثلها) (البقرة: 101)).

فallah عز وجل ينسخ من آياته ويُنَبِّي عباده ما يشاء، فهو الذي يعلم الجهر وما يخفى، وهو بكل شيء عليم، وهو على كل شيء قادر: (سنقرئلك قلنا نَّسِيَ).

(1) أخرجه البخاري ح(2814)، ومسلم ح(77).
(2) أخرجه البخاري ح(4481).
تنزيه القرآن الكريم

٩٢

إِنَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَرَ وَمَا يُجْيِفُ (الأعلى: ٦-٧).

وهكذا فالعرضة الأخيرة للقرآن هي فقط ما تعبنا الله بتلاوته إلى يوم القيامة، وأما ما سوى ذلك ما كان يقرأ؛ فقد نسخ بقراءة العرضة الأخيرة التي شهدتها جمع من الصحابة، منهم زيد بن ثابت، فأمهله ذلك لجمع القرآن زمن الصديق، ثم زمن عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: "كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمحاربين والأنصار واحدة، كانوا يقرؤون القراءة العامة، وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه".

وقال عن زيد: "شهد العرضة الأخيرة، وكان يقرؤ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، ولاه عثمان كتابة المصاحف رضي الله عنهم أجمعين".

وعن كثير بن أفلح أن عثمان ﭼ: "لما أراد أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت... وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تداروا في شيء أخروه... إنها كانوا يؤخرون له بنظروا أحمدهم عهدًا بالعرضة الأخيرة، فيكتبونها على قوله".

وعن سمرة ﭼ: قال: عرض القرآن على رسول الله ﷺ عرضات، يقولون:

إن قراءتنا هذه العرضة الأخيرة.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/٢٣٧).
(٢) انظر المصدر السابق (٢/٢٣٧).
(٣) أخرج جابر بن أبي داود في كتاب المصاحف، ص (٣٣).
(٤) أخرجه الحاكيم في المستدرك (٢/٤٤٢)، وصححه، ووافقه الذهبي.
قال عبيد الله السلياني وهو من كبار التابعين: القراءة التي عرضت على رسول الله ﷺ في العام الذي قضى فيه هي القراءة التي يقرأها الناس اليوم.

وقال ابن تيمية: "العرضة الأخيرة هي قراءة أسرة زيد بن ثابت وغيره، وهي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعثمان وعلي بكتابتها في المصحف، ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصحف وإرسالها إلى الأمصار، وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة".

وقال البيغو: "المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العروضات على رسول الله ﷺ، فأمر عثمان بنسخه في المصحف، وجمع الناس عليه، وأذهب ما سوا ذلك قطعاً لمادة الخلاف، فصار ما يخالف خط المصحف في حكم النسوخ والمرفع كسائر ما نسخ ورفع، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم".

وهكذا، فالآيات النسوخ تلاوتها لم تسقط من المصحف نسياً أو جهلاً فإذا نسخها الله، فقد يقرها جبريل على النبي ﷺ في العرضة الأخيرة، التي أقرأها النبي ﷺ زيد بن ثابت وغيره من الصحابة، وبها قرأ المسلمون في كل العصور.

ومن هذا النسوخ تلاوته آية الرجم، وهي آية حفظها الصحابة ووعوهوا، ومع ذلك لم تكتب في القرآن الكريم لنسخها في العرضة الأخيرة، وقد خطب عمر الصحابة زمن خلافته، وقلب جمع عثمان للمصحف، فقال: (إن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها، وعيناها، رجم رسول الله ﷺ، ورجعنا بعده، فأخشى فإن طال بالناس.

---

(1) أخرجه البهذي في دلائل النبوة (155/7)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/204).
(2) مجموع الفتوى، ابن تيمية (13/395).
(3) شرح السنة، البيغو (4/526-527).
زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله؛ فضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحسن من الرجال والنساء إذا قامت البيئة أو كان الحبل أو الاعتراف.
ثم إذا كنا نقرأ فيها نقرأ من كتاب الله "أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم" أو "إن كفرًا يكم أن ترغبوا عن آبائكم").
فذكر عمر في هذا الأمر آتين منسوخين تلاوة من القرآن، فهو يعرفها، ويقول عن آية الرجم: (فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها)، ثم يذكر أنها نسخت من القرآن، وفي رواية أن قال: (وأيام الله، لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله عز وجل؛ لكتبتها)، فهو يؤكد نزولها، وأها محفوظة عنده، وأنا غير موجودة في كتاب الله، وهذا قبل الجمع العظيم للقرآن الكريم.
كما ضرب عمر مثل آخر المنسوخ تلاوة بآية التحذير من الانساب إلى غير الآباء، وهذا كله في حضور جمع الصحابة رضوان الله عليهم، مما دل على معرفتهم جميعًا بوقوع النسخ تلاوة في القرآن الكريم.
وأما سبب إسقاط الصحابة لهذه الآية من المصحف فهو أمر النبي بذلك، فقد روى البيهقي من حديث زيد بن ثابت أنه دخل على مروان بن الحكم فسأل مروان عن سبب ترك كتابة هذه الآية في المصاحف، فأجابه زيد أن عمر أتى النبي، فقال: أكتبني آية الرجم؟ فقال: لا أستطيع ذلك.
قال البيهقي: "في هذا وما قبله دلالة على أن آية الرجم حكما ثابت،

(1) أخرجه البخاري ح (863)، ومسلم ح (1761)، وهذه الآية المنسوخة هي قوله تعالى:
(الشيخ والشيخة إذا زنى فارجوها البنت نكالًا من الله والله عليم حكيم) أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي بن كعب ح (4072).
(2) أخرجه أبو داود ح (4418).
وتأوتها منسوخة، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا((،
ومن أمثلة المنسوخ تلاوته آية الرضا، فهي صحيح مسلم، من حديث أم المؤمنين عائشة أنها قالت: (كان فيها أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يجرون، ثم نسخن بخمس معلومات، فتو في رسول الله ﷺ، وهم فيها يقرأ من القرآن)).
وقولها: (وهم فيها يقرأ من القرآن)، ليس بسواي القول: (وهن من القرآن)، بل معناه أن النسخ كان في أواخر حياة رسول الله ﷺ، فبات وبعض الصحابة لم يبلغهم النسخ، فإما كانوا يقرأونه على أنه من القرآن، وقد قال أبو موسى الأشعي: (نزلت ثم رفعت).((
قال النووي: "معناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إزالته جداً حتى أنه توفي وبعض الناس يقرأ أخس رضعات، ويجعلها قرآناً مثلاً؛ لكونه لم يبلغه النسخ؛ لقرب عهده، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك، وأجععوا على أن هذا لا يتّ).((
وقد يشكل - هنا - ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبر عشرة)، ولقد كان في صحيحه تحت سربري، فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلوها))، فهذا الخبر يفيد أن آية الرجم وآية الرضا عشرة قد ضاعت بسبي النجد للصحيفة التي كتبنا فيها.

---

(1) أخرجه البهذي في السنن (8/ 211)، والنسائي في السنن الكبرى (7148).
(2) أخرجه مسلم (1452).
(3) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (2/ 39).
(4) شرح النووي على صحيح مسلم (10/ 29).
(5) أخرجه ابن ماجه (144).
لكن هذا القول يدفع إذا علمنا أن الأثر ضعيف السند، منكسر المتن، رده العلامة وضعفيه لأن في إسناده محمد بن إسحاق، وهو مدلس، ويرويه بالعنونة [أي بقوله: عن فلان]، وعنونة المدلس لا تقبل، وتفرد حديثه كم هو معلوم في قواعد المحدثين، قال الألباني: "ابن إسحاق مدلس، وإنما إذا قال: (عن)، فليس بحجة، وإذا قال: (حدثني) فهو حجة".

وست قال أحمد بن حنبل عنه: ابن إسحاق إذا تفرد بحديث تقبله؟ قال: "لا، والله إن رأيته يحدث عن جماعة بحديث الواحد، ولا يفصل كلامه ذا من ذلك".

وكان يقول: "ابن إسحاق ليس بحجة".


وقال أيضاً في ترجمه: "الذي يظهر لي أن ابن إسحاق حسن الحديث، صالح الحال، صدوق، وما انفرد به فقيه نكارة، فإن في حفظه شيئاً".

قال ابن قتيبة: "فأما رضاع الكبير عشرة فتراء غلطاً من محمد بن إسحاق"; هذا من جهة إسناده.

وأما السرخسي فاعلم الأثر بنكارة متنه الذي يوجب أن مصدر هذه الآية كان هذه الصحيفة فقط، وأنها لم تكن محفوظة عند جاهير الصحابة: "حديث...

(1) دفاع عن الحديث النبوي، ناصر الدين الألباني، ص (82).
(2) تذكير الكمال، المزي (422/2)، وتاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (1/220).
(3) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (1/230).
(4) العلوي، الذهبي، ص (36).
(5) ميزان اعتدال، الذهبي (3/270).
(6) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ص (314).
عن دعاوى المبطلين

عائشة لا يكاد يصح، ومعلوم أن بهذا لا يعدم حفظه من القلوب، ولا يتعذر عليهم به إثباته في صحيفة أخرى، فرغمنا أنه لا أصل لهذا الحديث،) وهكذا فالأثر ضعيف الإسناد، منكرو المتن، لا يصح ولا يقوى للاحتجاج به، ويحمل هذا الأثر الضعف يفرج وينعق المبطلون.

ومن المنشوع تلاوة دعاء القنوت الذي يقنت به المسلمون في صلاة الموت، إلى يومنا هذا، فقد نزل قرآناً، ثم نسخ في العريضة الأخيرة، ((اللهم إننا نستعينك ونسنفرك ونسنفرك ولا نكفرك وننخلع ونترك من يفجرك. اللهم إياك نعبد ونستعينك ونسنفرك وننخلع ونترك من يفجرك. اللهم إياك نعبد ونستعينك ونسنفرك وننخلع ونترك من يفجرك. اللهم إياك نعبد ونستعينك ونسنفرك وننخلع ونترك من يفجرك. اللهم إياك نعبد ونستعينك ونسنفرك وننخلع ونترك من يفجرك لن ننحذر نرجو رحمةك وتنهضنا عذابك. إن عذابك الجد بالكافرين ملحق.

وقد روی عن أبي بن كعب أنه أثبته في مصحفه، ذلك أن أبايا كان يقول: (لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله (ﷺ)، وقد رد عليه الخليفة عمر، ووضع قوله مستدلاً بقول الله عز وجل: (ما نسخ من آية أو نسجها تأتِ بخير منها أو يقتلها (البقرة: 101).

وهذا المذهب بالقراءة المنشوع كان مذهب أبي الأول الأمر، ثم رجع عنه، بدلاً أنه أقرأ التابعين بها في مصحف الجامع، كما هو مروي عنه في قراءة عاصم ونافع، وابن كثير وأبي عمرو، التي اتصل إسنادها إليه من طريق أبي عبد الرحمن السلمي عبد الله بن عباس المخزومي، وعبد الله بن السائب وأبي العالية.

وذكر أبو الحسن الأشعري أنه رأى مصحف أنس بالبصرة، عند بعض

(1) أصول السريحي (2/ 80).
(2) أخرجه البخاري ح (4481).
(3) النظير: الإقلاع في القراءات السبع، ابن الباديش الأنصاري، (1/ 676، 91)، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري (1/ 112، 120، 133، 155).
ولیده، يقول: توجدته مساوياً لمصحف الجمعة، وكان ولد أنس يروي أنه خط أنس وإملاء أبي بن كعب.

وهكذا يستبين للمنصف أن قول المسلمين بالنسخ مختلف عن قول أهل الكتاب، وأنه فرع عن كيان علم الله وقدرته وطنه بعباده، فهو تعالى (يَمْتَحِنُّ اللّهُ)

وَيُسَبِّبُ وَيُعْبَدُ وَيُضَيْعُ وَيُرِيدُ أَمَّ الْكِتَابِ» (الرعد: 34)، وكل ذلك وقع في القرآن وفق حكمته ومشيته وعلمه الأزلي المكتوب في اللوح المحفوظ (بُلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ

في لوحة محفوظة) (البروج: 21-22).

***

(1) نكت الانتصار لنقل القرآن، الباقلا، ص (81).
هل تغير النص القرآني في عصر الصحابة الكرام؟

أولاً: اختلاف مصاحف الصحابة

قالوا: اختلفت مصاحفات الصحابة في الصدر الأول بما استدعى من الخلافة.

الثالث عثمان أن يقول بإحرام هذه المصاحفات وأن يجمع الصحابة على مصحفه.

الجواب: تحدثنا في ساب عن جمع عثمان للمصاحفات، وتبين لنا في حينه أن أبا بكر الصديق جمع القرآن في دفتي كتاب بعد أن جمع كل ما عند الصحابة بما كتبوه بين يدي النبي ﷺ، وأن عثمان أراد جمع الصحابة على حرف قريش الذي نزل القرآن به، وأنه بدأ بصفح الجمع البكري، فأرسل إلى أم المؤمنين حفصة والتي كانت تحتفظ بصفح أبي بكر، وأنه أرسل إليها بالصحف؛ نسخها في المصاحفات، ثم نزدها إليه.

فRANDA أعاد عثمان نسخ صفح أبي بكر التي جمعت من المكتوب بين يدي النبي ﷺ، وقد استوطع له وانعقد له إجماع الصحابة.

إذا وجد في مصاحفات بعض الصحابة خلاف المصحف المجمع عليه، فهذا يعود إلى خطأ في نسخته، ونسخته ليست أثبت من النسخة التي أجمع عليها الصحابة.

إذا قد يفترآه ما لا يلتفت إلى الجمع، كما أن في نسخ آخاهه بعض ما نزل على النبي ﷺ قبل العرضة الأخيرة للوجي في أواخر حياة النبي ﷺ، فعليها ما نسخت تلاوته، كما قد يقع في نسخ آخاد الصحابة نقص بعض سوره أو زيادة الناسخ – في نسخته – شرح كلمة وسواها، فيخشى أن يظن من يأتي بعد ناسخها أنها من القرآن.

وتumo المصحف العثاني وفق المنهجية التي ذكرنا تفاصيلها قبل، وأجمع أصحاب النبي ﷺ على القراءة بهذا المصحف، وأمر عثمان بإرسال نسخ منه إلى الأمصارات، وأمر من كان عنه شيء من صفح القرآن أن يخبره، يقول حديثة: (حتى إذا نسخوا الصحف [صحف الجمع البكري] في المصاحفات، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بها سواء من القرآن في كل
فجعل الصحابة وامتنعوا ذلك، واتفقوا على صحة صنعب عثمان، يقول علي(ص): (يا أبا الناس، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فولله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن مالنا جميعاً، والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل")، ويقول مصعب بن سعد(ص): (أدركت الناس حين شقق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال: لم يعب ذلك أحد).

وأما ما نقل عن اعتراض ابن مسعود(ص) قوله: (يا معشر المسلمين، أعزل عن نسخ كتابة المصحف ويتولاه رجل [يقصد زيد بن ثابت]، والله لقد أسلمتُ وإني لفي صلب رجل كافر)"، فهو اعتراض شخصي الصبغة، لا يتضمن اعتراضاً منه على وثوقية الجمع أو منهجيته، ولا على أمانة زيد بن ثابت أو قدرته، لكنه يعتب على الصحابة رضوان الله عليهم أنهم أسلموا إلى شاب صغير، ولم يسندوا إليه، وهو الذي تعلم القرآن قبل ولادة زيد، وقد لقي اعتراضاً كراهيًا في صدور كبار الصحابة الذين رأوا في اختيار زيد الاختيار الأمثل والأفضل، يقول الزهري في تمام الرواية معلقًا على اعتراض ابن مسعود: فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال من أفعال أصحاب النبي(ص).

وهكذا اجتمعت الأمة على القراءة بالمصحف الذي كتبه عثمان(ص) واتفق الصحابة عليه، وما زال المسلمون في كل عصر يطبعون القرآن وفق رسمه.

(1) أخرجه البخاري(498).
(2) أخرجه أبو بكر بن أبي داود في كتابه المصاحف(77)، وابن شبة في تاريخ المدينة المنورة (996/13).
(3) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد(161)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن(460).
(4) أخرجه الترمذي(310).
عن دعاوى المبطلين

ثانياً: اختلاف الصدر الأول في قراءة بعض آيات القرآن الكريم
قالوا: اختلف الناس في قراءتهم لبعض آيات القرآن على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، فتجاء حذيفة بن الیان إليه فقال: (يا أمیر المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى)ّ، مما استدعى من الخليفة الثالث جمعهم على قراءة واحدة، فاختالفهم قبل جميع عثمان دليل على تدخل البشر في النص القرآني.

الجواب: نزل القرآن الكريم أول ما نزل في مجتمع قريش في مكة حاضرة العرب، فأقرأ النبي ﷺ أصحابه المكين القرآن الكريم، فكان سهلًا ومشورًا عليهم قراءته، فهم أفسح العرب بيانًا.

ثم بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة دخلت قبائل العرب في الإسلام فصعب عليهم قراءة القرآن وفق لهجة قريش، فبعض حروفها غير مألوف في كلامهم، وكا نية كليات عربية قرآنية لم تكن شائعة في هجاتهم، ونظراً لكون عامة العرب أمين يصعب عليهم التحول عن مألوف هجاتهم إلى لهجة قريش؛ وبخاصة كبار السن والأطفال فقد سأل النبي ﷺ الله عز وجل أن يخفف عن أمته بإقراء الناس القرآن على حروف سبع، فعن أبي بن كعب أن جبريل لقي رسول الله ﷺ وهو عند غدير بن مي غفار، فقال: "إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. فقال ﷺ: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لا تطبق ذلك.

ثم أناه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين. فقال ﷺ: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لا تطبق ذلك.

ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف.

قال ﷺ: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لا تطبق ذلك.

(1) أخرجه البخاري ح (4988).
ثم جاءة الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تُقرأ إمتلك القرآن على سبعة أحرف، فأيا حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا).
وفي رواية أنه قال: يا جبريل إنني بعثت إلى أمة أمينة، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط. قال: يا محمد، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، هذه الأحرف السبعة رخصة وتيسير من الله، وقد نزل القرآن بها جيّعاً، ليست اجتهاداً نبوياً.
وقد فسر لنا أصحاب النبي هذه الحروف، كأ روتي عن أبي بكر أن جبريل أذن للنبي بالقراءة على سبعة أحرف، وقال له: كل شاف كاف، ما لم تختم آية عذاب برحة، أو آية رحة بعذاب، نحو قولك: تعال وأقبل، وهلم واهب، وأسرع واعجل.
وقد قرأ أصحاب النبي هذه الوجوه التي يسر الله بها عليهم، وأقرؤنا الناس بها، حتى ذرت على قراءته ألسنتهم وسهل عليهم حفظه وقراءته في الصلاوات والخلوات.
وقد التبست على بعض الصحابة على عهد النبي اختلاف بعض الكلمات أو طريقة نطقها أو وجهة الإعراب فيها بسبب تعدد الأحرف، فتوالي رفع الخلاف بينهم، وبينهم لم أن جميع هذه الأحرف من وحي الله، يقول عمر بن الخطاب: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله، ففكت أسواره في الصلاة، فتصرت حتى سلم، فلبيته برائته، فقلت: من أقرأك.

(1) أخرجه مسلم ح (821).
(2) أخرجه الترمذي ح (2944).
(3) أخرجه أحمد ح (1999).
عن دعاوى المبطلين

هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأتها رسول الله، فقلت: كذبت، فإن رسول الله قد أقرأتيها على غير ما قرأ.
فانطلقت به أقووده إلى رسول الله، فقلت: إنني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها، فقال رسول الله: "أرسله، اقرأ يا هشام". فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله: "كذلك أنزلت".
ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأ القراءة التي أقرأتي، فقال رسول الله: "كذلك أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه"، فألقى القرآن نزل بتلك الحروف التي قرأ بها عمر، وبلوك التي قرأ بها هشام، واختلافها ليس.
مرده الحطة والنسبان، بل تسهيل الله على هذه الأمة الأممية قراءة كتبها.
ومثل هذا الموقف وقع لأبي بن كعب حين دخل المسجد فسمع رجلاً يصلي وقرأ قراءة أنكرها أبي عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فالتبس الأمر على أبي، فدخل معه إلى النبي، فقرأوا بين يديه، فحسن النبي شأنه.

يقول أبي: فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية.
فلما رأى رسول الله ما قد غشبت ضرب في صدره، ففضست عرقاً، وكأنه أنظر إلى الله عز وجل فرقاً، فقال لي: "يا أبي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف. فردت إليه أن هوَّن على أمتي، فرد إلى الثانية: اقرأ على حرفين. فردت إليه أن هوَّن على أمتي. فرد إلى الثالثة اقرأ على سبعة أحرف"، ففهم أبو بن كعب حينذاك أن القرآن نزل بهذه الحروف، وأن الخلاف بين الصحابة في بعض حروفه هو خصبة من الله أعطاها الله لنبيه تحقيقاً عليهم ورحة بهم، ولذلك.

(1) أخرجه البخاري ح (4974)، ومسلم ح (818).
(2) أخرجه مسلم ح (720).
كان يقرأ بهذه الحروف بعد اجتناب الصحابة على لغة قريش وحرف القرآن الذي نزل به أول مرة، وكان يقول: "لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ".

لقد فهم الصحابة حكمة تعدد الأحرف وما تقتضيه هذه الرخصة من تنوع؛ اقتضاء تنوع هجات القبائل العربية، واختلاف طريقة نطق كل قبيلة لبعض الحروف العربية عن غيرها من القبائل، فلم يعب بعضهم على بعض قراءته، إذ علموا أن كل ذلك من عند الله.

لكن الأمر لم يكن كذلك في عهد عثمان الخليفة الثالث للنبي ﷺ، حيث دخل في الإسلام العرب والعجم، ومن لم يعرف الأحرف السبعة، وأن الله نزل القرآن بها جمعاً تسهيلاً ورقة بالأمة، فجعل بعضهم يخطى الآخرين في قراءتهم، ويرى أن حروفه أصح من حرف غيره، وحرص بينهم مراة فجاء حديثة بن اليان إلى الخليفة عثمان بن عفان ﷺ يشكو تنافر المسلمين بسبب اختلافهم في الحروف التي سمعوها من النبي ﷺ، فقال: "يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصاري".

فاستشار عثمان أصحاب النبي ﷺ في إعادة نسخ القرآن في مصحف واحد جامع: "نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلاف. فلننا فنعم ما رأيت".

وقد أسقط المجتمع العثاني من الأحرف السبعة ما تعارض مع الرسم العثاني، فقد قال عثمان للجنة الكتابة: "إذا اختلفتم أتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن.

(1) أخرجه البخاري ح (481).
(2) أخرجه البخاري ح (4988).
(3) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ح (77)، وصحح إسناده ابن حجر في الفتح (918/9).
فأكتبه بلسان قريش، فإننا نزل بلسانهم
وليس في ذلك إهمال لبعض نص القرآن، بل عود لأصل تزلله على حرف واحد، فقد عاد الصحابة للأصل الأول الذي نزل به القرآن، وهو لسان قريش بعد أن زال سبب التخفيف والرخصة التي أنزل الله من أجلها بقية الأحرف.
والذي دعا الصحابة إلى هذا الصنيع خوفُهم من تفرق الأمة واختلافها بسبب هذه الرخصة التي قالت مالها، ووقوع الناس لجهلهم بحكمتها في المراة الذي حذر رسول الله ﷺ منه، قال ابن الجزري: "وذهب جاهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحمله رسمها من الأحرف السبع فقط جامعة للعمرة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام متضمنة لها لم تترك حرفًا منها... وهذا القول هو الذي يظهر صوابه لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيدة تدل عليه وتشهد له".
وهكذا اجتمع المسلمون منذ الصدر الأول على القراءة بالقرآن الذي بين أيدينا، فنقل عن الصحابة بطرق لا تخفي لغتهم، نقل منها ابن الجزري في النشر 980 طريقةً، وهي في كل ذلك لا تختلف عن بعضها في شيء من آيات أو كليات القرآن الكريم.

(1) أخرجه البخاري (306).
(2) النشر في القراءات العشر (1/61-62)، وانظر: تفسير الطبري (1/59).
(3) انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (1/190).
ثالثًا: هل أسقط ابن مسعود العوذتين من مصحفه؟
قالوا: اختلف الصحابة في المعوذتين هل هما من القرآن أم لا؟ فكان ابن مسعود يحتفظهما من المصاحف، ويقول: (إنها ليست من القرآن، فلا تجعلوا فيها ما ليس منه).
والجواب: إن القرآن نقل إلينا بالوتار، جيلاً بعد جيل، فقد حمله من الصحابة من لا يحيط عددهم إلا الله، ونلقوه عليهم أضعافهم عدداً إلى يوم هذا، فتوافق الصحابة على النص القرآني حجة لا ينقضها ولا يقدح فيها مخالفة واحد من آحاد الصحابة أو من بعدهم، إذ مخالفة الأحاديث لا تقدح في التواتر، فليس من شرط عدم وجود المخالف، فقد تواتر عند الناس —اليوم— وجود ملك قديم، الفرعون خوفو، فلو أتى اليوم واحد من الباحثين هذا الذي تواتر عند الناس، وقال: لم يوجد هذا الملك، فإنه لا يلتفت إليه، لمخالفته التواتر. ومثله تواتر القرآن برواية الجمع عن الجمع في كل جيل، فلو صرح إبراهيم ابن مسعود سورة من سوره، بل لو أنكر القرآن كله لما قدم هذا بقراينة القرآن ولا طعن في موثوقيته.
لكن هذه الروايات لا تصح عن ابن مسعود، ففي أسانيدها ما يقدح في صحتها، فخبر حكّ السورتين من المصاحف، وقول ابن مسعود: (ليست من كتاب الله تبارك وتعالى)، مروي في مسند أحمد والطبراني في الكبير، وتدور أسانيدها على أبي إسحاق عمرو بن عبد الله الحمداني عن عبد الرحمن بن يزيد وأبو إسحاق رغم توثيق العلماء له؛ فإنه قال عنه ابن حبان: "وكان مدلسًا"، والمدلس لا تقبل روايته إلا إذا صرح بالتحديث [أي قال: حدثني]، وترد روايته إذا كانت بصيغة العنون، كأي في هذه الرواية، حيث يقول فيها: (عن عبد الرحمن بن يزيد).
ولا يتفق هذا الإسناد بإسناد الطبري للآثرة من رواية الأزرق بن علي (أبو الجهم الخنفسي)، وقد ذكره ابن حيان وقال: "يغريب"، أي له غرائب".

والأزرق صاحب الغرائب يرويه عن حسان بن إبراهيم الكرماني، وقد وثقه البعض، وضعفه غيرهم، كالعقيلي الذي قال عنه: "في حديثه وهم"، كما أعله غير واحد من العلماء، قال ابن حبان: "ربما أخطأ".

وقال أبو زرعة: "لا بأس به".

وقال السحيمي: "ليس بالقوي".

وقال ابن عدي: "قد حدث بأفراد كثيرة، وهو عندي من أهل الصدق إلا أنه يغلط في الشيء ولا يتحم".

وهذا يتتبين ضعف هذه الروايات المروية عن مثل هؤلاء، وقد أشار العلماء من أهل الصنعة الحديثية إلى ذلك، فقال ابن حزم: "وكل ما روى عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه؛ فكذب موضوع لا يصح، وإنها صحت عنه قراءة متصورة عن زر بن حبشون عن ابن مسعود، وفيها أمر القرآن والموعزتان".

وكذلك فإن الباقلاوي يكتب هذه الأخبار ويقول: "هذا باطل وزور، ولا ينبغي لمسلم أن يثبت على عبد الله بن مسعود بأخبار آحاد معارضة بها هو أقوى منها عن رجال عبد الله في إثباتها قرآنا"، ونرى في كلام ابن حزم والباقلاني إشارة إلى أمر مهم - نعود إليه - وهو خالفة هذه الروايات الضعيفة للقراءات.

(1) أنظر: الثقافات، ابن حيان (136/8)، تهذيب التهذيب، ابن حجر (175/12).
(2) أنظر: الضعفاء، العقيلي (255/1)، تهذيب التهذيب، ابن حجر (214-215).
(3) المجلة، ابن حزم (131).
(4) نكت الانتصار لنقل القرآن، الباقلاني، ص (75).
التموّاترة عن ابن مسعود وغيره من الصحابة الكرام.

ويستشهد الباقلاوي على ضعف هذه الروايات بعذة أخرى، وهي سكوت الصحابة على قوله وهم جميعًا يقرأون المعوذتين، يقول: "وأما المعوذتان، فكل من أدعى أن عبد الله بن مسعود أن كونا من القرآن، فقد جهل، وبعده عن التحصيل، لأن سبيل نقلها؛ سبيل نقل القرآن ظاهراً مشهوراً. وكيف ينكر كونها قرآناً منقاراً، ولا ينكر عليه الصحابة، وقد أنكرت عليه أقل من هذا وكرهته من قوله: "معشر المسلمين، أعزل عن كتابة المصحف!" والله لقد أسلمت؛ وإن زيداً لفي صلب رجل كافر". قال ابن شهاب: كره مقالته الأمائل من أصحاب رسول الله ﷺ.

والصحيح أن ابن مسعود لم ينكر سباع المعوذتين من النبي ﷺ، بل غاية ما نقل أنه كان يراهما عودة علماء الله لنبيه، فكان يعود بها نفسه والحسن والحسن، لكنه لم يسمعه يقرأ بها في الصلاة، وهذا الذي نقل عن ابن مسعود: (لا تخلطوا بالقرآن ما ليس فيه)، فإنها هما معوذتان تعود بها النبي ﷺ: قل أعود برب الفلق، وقل أعود برب الناس)، وفي رواية الطبراني من طريق أبي الجهم الأزرق بن علي أنه قال: (إنها أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بها، ولم يكن يقرأ بها).

وإذا كان ابن مسعود لم يسمع النبي ﷺ يقرأ السورتين في الصلاة فإن ذلك لا يعني بالضرورة عدم قراءته ﷺ لها، فقد سمعها غيره منه، قال سفيان: "كان يرى رسول الله ﷺ يعود بها الحسن والحسن، ولم يسمعه يقرأهما في شيء من صلاته، فظن أنها معوذتان، وأصر على ظنه، وتحقيق الباقون كونها من القرآن،

(1) المصدر السابق، ص (90).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9151) من طريق أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمن السلمي.
(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (9152).
عن دعاوى المبتعلين

فأودعهما إياه(1).

وإذا كان ابن مسعود يظن - حسب تلك الآثار الضعيفة - عدم قرآنيته؟
فإن جميع الصحابة خالفوه في ذلك، فالمفروض في ميزان العقلا أن قوله خطأ يرد.
وفي مقابل قولهم الصحيح، يقول ابن قتيبة: "إنا لا نقول: إن الله أياً أصابا(2)...
وأخطاء المهاجرين والأنصار، ولكن عبد الله ذهب فيها يرى أهل النظر إلى أن المعوذتين كانوا كالوعود والرقية وغيرها، وكان يرى رسول الله يعود بها الحسن والحسين وغيرها .. فظن أنها ليست من القرآن، وأقام على ظنه ومخالفية الصحابة جميعاً(3)، ولن يقبل أحد ترك القراءة بآية قرآنية، لأن ابن مسعود لم يسمعها من النبي، فليس من شرط القرآن أن يسمعه ابن مسعود تحديداً.
قال البزار: "لم يتابع عبد الله أحد من الصحابة، وقد صح عن النبي أنه قرأ بها في الصلاة، وأثبتنا في المصحف" [أي العثايني(4)]، فلا يكفي للإبقاء بقرآنيتها أن النبي قرأها في الصلاة.

كما جاء في صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر أن رسول الله قال له: "ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط: "قل أعوذ برب الفلق"، و "قل أعوذ برب الناس"(5)"، وفي رواية عن النبي قال له: "إذا استطعت ألا تفتوك قراءتها في صلاة، فافعل(6)."
وقال أبو سعيد الخدري قرآنيتها عن النبي يقوله: (كان رسول الله يتعوذ

(1) أخرجه أحمد (1468). 
(2) أخبر أبو بن كبش ما كان يقرأ الله في قوله في الصلاة من القرآن، ثم رفع عنه كيا يأتي جوابه.
(3) انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (43).
(4) مسند البزار (1586)، جمع الزوائد، الهشمي (7/60).
(5) أخرجه أبو داود في سنن ح (1463).
(6) أخرجه مسلم ح (814).
من عين الأجن والعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذ بها، وترك ما سوى ذلك.)

ولما قال لأبي بن كعب ﷺ: إن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في

مصحفه قال ﷺ: أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له:

"قل أعوذ برب الفلق فقلتها، فقال: "قل أعوذ برب الناس" فقلتُها، فنحن

نقول ما قال النبي ﷺ.

لكن الموضوع الأهم هو ما أشار إليه ابن حزم والباقلاني في أن الأثير

الروية عن ابن مسعود بشأن حك المعوذتين معارضة بآثار أصح منها منقوله عن

ابن مسعود ﷺ، فالمعوذتان قرأ بها عاصم - راوي الآثر المشكل - في قراءته

الصحيحة التي يرويها عن زر بن حبيب وأبي عبد الرحمن السلمي وأبي عمرو

سعد بن إلياس الشيباني، "وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبد الله بن مسعود ﷺ، وقرأ

السلمي وزر أيضاً على عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنها، وقرأ

السلمي أيضاً على أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنها، وقرأ ابن مسعود

وعثمان وأبو زيد على رسول الله ﷺ.

وكذلك رويت قراء المعوذتين عن ابن مسعود في قراءة حززة وتلميذ

الكسائي، فقد قرأها عنه من طريق "وقفة والسود وابن وهب ومسروق

وعاصم بن ضمرة والحارث" فقد ترؤوا جميعاً على ابن مسعود ﷺ.

بل وقرأ المعوذتين جميع القراء العشرة، وأسانيد قراءاتهم أقوى من تلك

(1) أخرجه الترمذي ح (508)، والنسائي ح (5494)، وابن ماجه ح (3511).

(2) أخرجه أحمد ح (767).

(3) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (1/155)، وانظر: الإقناط في القراءات السبع، ابن

الباذش الأنصاري (1/124).

(4) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (1/165)، وانظر: الإقناط في القراءات السبع، ابن

الباذش الأنصاري (1/135).
الرواية الضعيفة المستشكلة، التي لن تقوى على معارضة (980) طريقاً مسند، وهي عدد الطرق التي ذكرها ابن الجزري تفصيلاً للقراء العشر، وتنتهي هذه الطرق - التي قاربت الألف - إلى ابن مسعود، وتعلم أنه إن خوانه من أصحاب النبي ﷺ كعثمان، وأبي كعب وأبي هريرة وأبي عباس، وهذا أصح من الآثار المروية في نحو السورتين، ولا تنهم آثار الآخرين الضعيفة في نقض ألف من الأسانيد الصحاح، لذا "جمع المسلمون على أن المعوذتين، والفاتحة من القرآن، وأف إن جحد شيئاً منها كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح عنه".

ومال بعض المحققين إلى الجمع بين هذه الآثار، والقول بأن ابن مسعود كان يصنع ذلك، لأنه لم يسمع النبي ﷺ يقرأ بها في الصلاة، فلما رأى إجماع الصحابة قرأ بها، وقرأ التابعين كذا في القراءات المتقلبة عنه، يقول ابن كثير: "مشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، بل فعله لم يسمعها من النبي ﷺ، ولم يتوتر عنه، ثم قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة [بديل القراءات المروية عنه]، فإن الصحابة أثبتوها في المصاحف الأئمة، وأنذروا إلى سائر الآفاق كذلك، والله الحمد والمنة".

---

(1) انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (1190).
(2) المجموع شرح المهذب النوري (350/3).
(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (474/4).
رنعاؤا: هل أسقط ابن مسعود الفاتحة من مصحفها؟
قالوا: اختلف الصحابة في قرآنية أهم سور القرآن، وهي سورة الفاتحة، فلم يكتبها ابن مسعود من مصحفه، كما نقل عن ذلك التابعى ابن سيرين بقوله:
"إذا أتى ابن كعب وعثمان كانا يكتبان فاتحة الكتاب والمعوذتين، ولم يكتب ابن مسعود شيئًا منهن".
والجواب: ثبوتية الفاتحة - كغيرها من سور القرآن - ثابتة بنقل جميع المسلمين، وتوارثهم على قراءتها جيلاً بعد جيل، بل أثبت القرآن نفسه قرآنية سورة الفاتحة، أعظم سوره، بقول الله تعالى: "ولقد أتيتنا سبعة من النجات والعظام" (الحجر: 87)، فالسبع النجات هي سورة الفاتحة التي تلت وتقرأ في كل صلاة، وقد ساهم النبي هم الرسول: "أم القرآن هي السبع المئات والقرآن العظيم"، فهي أم القرآن وأصله وفافته التي: "ما أنزل الله عز وجل في النور، ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المئات".
وهو المسند إلى ابن مسعود لا يفيد عدم اعتقاده بقرآنية سورة الفاتحة، فهذا يخالف الصحيح المتواتر عند المسلمين جميعًا، بل هو مخالف أيضًا لما بيناه سابقاً من صحة القراءات المسندة إلى ابن مسعود، فقد قرأها وأقرأها التابعين كما صح عنه في قراءة عاصمة وجمزة والكسائي، ولا يظن المسلم أن ابن مسعود يجهل قرآنيتها، وهو الذي يقرأها في كل صلاة، ويقول عنها فيما نقل عنه.

(1) عزاء السبوعي في الدر المتثور (1/10) إلى عبد بن حميد، ولم أجدوه في مسنده، ولعله في تفسيره المفقود، كما عزاء إلى المرزوي في تعظيم قدر الصلاة، ولم أجدوه فيه، ولكن الأثر أخرجه ابن سلام في فصل القرآن ح (575).
(2) أخرجه البخاري ح (470).
(3) أخرجه الترمذي ح (412)، والنسائي ح (914)، وأحمد ح (10591).
ابن سيرين (راوي الأثر المشكِّل عنه): (السبع التفاني فآتِحة الكتاب) (1).

ولو تأملنا المقول عننا لما وجدنا فيه إنيكاً لقرآنية الفاتحة، بل غاية ما فيه أن ابن مسعود لم يكتب الفاتحة في مصحفه، وصدق ابن قتيبة بقوله: "وأما إسقاطه الفاتحة من مصحفه، فليس لظن أنه ليست من القرآن (معاذ الله)، ولكن ذهب إلى أن القرآن إنها كتب وجمع بين اللوحين، خانفة الشك، والنسان، والزيادة، والنقصان، ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد لقصرها، فلما أمن عليها العلامة التي من أجلها كتب المصحف؛ ترك كتابتها، وهو يعلم أنها من القرآن" (2)، فقد أغفل كتابتها في مصحفه لإبطاق الناس على قراءته، لذا نقل إبراهيم النخعي أنه قبل ابن مسعود: لم أكتب الفاتحة في مصحف؟ فقال: (لو كنت عليها) في أول كل سورة" (3).

قال أبو بكر الأنصاري: "يعني أن كل ركعة سيهلها أن تفتح بأم القرآن، قبل السورة المتلوة بعدها، فقال: اختصرت بإسقاطها، ووهي بحفظ المسلمين للنها، لم تثبت في موضع، فيلزم أن أكتبها مع كل سورة، إذ كانت تتقدمها في الصلاة" (4).

***

(1) انظر: المطالب العالية في زوايا الكتب الثمانية، ابن حجر (3610).
(2) مناهل العرفا، الزرقاني (192).
(3) عزاء السيوطي أيضًا في الدر المثيرر (1/10) إلى عبد بن حيد، ولم أجهد في مسند، ولكنه أيضًا في نسبيه المفرد، وانظر: نسبي القرآن العظيم لابن كثير (1/103)، وكلام أبي بكر الأنصاري ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (1/115).
(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (115).
الأباطيل المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله

أولاً: نسبة صفات النقص إلى الله تعالى

قالوا: القرآن نسب إلى الله صفات لا تليق به، وهي المكر والخداع والكيد والنسيان، وذلك في مثل قول الله: "فَحَمَّدَنَّهُ اللهُ وَهُوَ خَالِدٌ فِيهِمْ" (النساء: 141) وقوله: "وَمِكْرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ" (الأنفال: 36) وقاله: "إِنَّمَا يَكِيدُونَ كِيْدًا وَأَكَيدُ كِيْدًا" (الطارق: 16) وقاله: "نَسْوَاهُ فَقِينُهُمْ" (النور: 37).

الجواب: يلزم التنبيه لأولاً أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي ينزه الله عن النقائص، فلا يوجد فيه ما في كتب الآخرين التي تتحدث عن مصارعة الله ليعقوب وتغلب يعقوب عليه، وأكله الزبدة واللبن واللحم عند إبراهيم، وغيره مما لا يليق بجانب الله العظيم.

فالقرآن يخلو عن مثل هذا، وهو لا ينسب إلى الله تعالى إلا صفات الكمال والجلال، ولا يسمى إلا بأحسن الأسماء (وَهَوَّ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فَذَاعَوْهُ بِهَا) (الأعراف: 180) وكذلك (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِيْكُ الْبَارِئُ الْمُصَوْرُ لَهُ الأَسْمَاءِ الْحُسْنَى) (طه: 8).

ومن أساطير جل وعلا الرحمن ما ذكره القرآن الكريم بقوله: "كَيْبَيْنَ الْالَّذِينَ كَتَبْنَا مَا كُتِبَ لَهُمْ، فَمَا إِلَّا حَقًا عَلَى الْرَّحْمَٰنِ الْرَّحِيمِ، وَهُوَ الْمُلْكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُهْيِمُ الْعُزِيزُ الْجَبَّارُ الْمَكْرُورُ بَشَيْخُانُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَثْلُ كُونَ هُوَ الْحَالِيُّ الْبَارِيُّ الْمُصَوْرُ لَهُ الأَسْمَاءِ الْحُسْنَى يَسْبَحُ لَهُ مَا فِي السَّماواتِ والأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (النور: 22-24).

ولن كن أسماء المخلوقات جامدة معطلة لا تفيد معانيها، وتحصر دلالتها في التعرف بالذات؛ فإن أسماء الله تدل على ذاته، وهي أيضاً أوصاف لذاته العلية ببارك و تعالى، وتدل على غاية الكمال في إتصافها بها، فهو الملك الذي لا يدل في حكمه.
ووفقاً لما سبق فإن الله سبحانه وتعالى لا يسمى بأسماء تنتقص ذاته العلية؛ كالماكر والمخادع والكائد، فهذه الأسماء لا كمال فيها، فلا يسمى بها الرُّبُّ تبارك وتعالى، كما لا يوصف بالمُكر والخادع والكيد، وإن فعل تبارك وتعالى هذه الأفعال، فباب الأفعال أوسع من الصفات.

والسؤال: كيف نسب القرآن إلى الله فعل الكيد والمر والخادع؟

وفي جوابه نقول: إن آفة الجهل بلغة العرب وطرائفهم في التعبير عن المعاني من أعظم بلايا هذا الزمان، حيث اضحكت معرفة الناس باللغة، وأصبح أهلها أجاج فيها، فالعرب تعزف في أساليبها المشاكلة النظيفة، وهي استخدام النظف في غير معناه؛ لمقابلته مع فعل آخر.

يقول أبو بكر ابن حجة في تعريف المشاكلة: "المشاكلة في اللغة هي المئذلة، والذى تحجر في المصطلح عند علامة هذا الفن أن المشاكلة هي ذكر الشيء بغير لفظ لوقوعه في صحته".

وعند ابن عاشور المشاكلة هي: "استعارة لفظ لغير معناه مع مزيد مناسبة مع لفظ آخر مثل اللفظ المستعار. فالمشاكلة ترجع إلى التلميح، أي إذا لم يكن لإطلاق اللفظ على المعنى المراد علاقة بين معنى اللفظ والمعنى المراد إلا محاكاة اللفظ، سميت مشاكلة".

وأمثلتها في لغة العرب كثيرة، منها قول الشاعر أبي الرقعان الأندلسي:

1. خزائن الأدب وغزية الإبراز، ابن حجة الحموي (252/2)، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القرني، ص (237).
2. التحرير والتنوير، ابن عاشور (329/5).
3. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القرني (327)، وخزائن الأدب، ابن حجة الحموي (252/2).
4. وموجز البلاغة، محمد الطاهر بن عاشور (414)، ومعاهد التنصيص على وراء التلخيص، العباسي، ص (187)، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفونها، عبد الرحمن حبكة، ص (797).
قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا في جبة وقميصاً فالطبخ إذاً يكون في الطعام، وليس في الجبة والقميص، لكن الشاعر العربي تزيد حاجته إلى الجبة والقميص على حاجته إلى الطعام، فطلب الملابس بكلام شاكل فيه قوله: (نجد لك طبخه) فسألهم حاجته (اطبخوا في جبة وقميصاً).

ومثله في المشاكلة اللغزية قول عمر بن كئيش في معلقته: 

ألا لا يجهلون أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلینا أي نجازيه على جهله، فسمى المجازاة جهالاً للمشاكالة فحسب، وإلا فإن الجهل لا يفخر به، بل يستحي منه.

ومثله قول أبي تمام:

من مبلغ أفناء يعرب كلهأ أي بنيت الجار قبل المنزل ومن المعلوم أن الجار بجاور ولا بئنى، لكن حقيقة (بنيت) اللغزية غير مرادة، فهو لم يرد حقيقة البناء في (بنيت) كا لم يرد حقيقة الجهل في (فنجهل) ولا حقيقة الطبخ في (اطبخوا).

ومثل هذا يفهمه الناس والعوام في كلامهم حتى في أيامنا هذه، فلو تواعد اثنان على موعد، فغاب عنه أحدهما، وااعتذر لذلك بالنسيان، فقال عنه الآخر بالتخلف عن موعد آخر، ليقابل خلفه بخلاف مثليه، ثم يقول له: نسيت موعدك كا نسيت كا نسيتي، والسامع لمثل هذا يدري أنه لا يريد أنه نسيه على الحقيقة، إنها أراد مجازاته على نسيانه بالتخلف المتعمد، وأن قوله:

(نسيت) من باب المشاكلة اللغزية فحسب.

ووهذا الأسلوب الذي عرفه العرب في كلامهم جاء في القرآن صور كثيرة منه، لزولو بلسان عربي مبين، ومن صور المشاكلة اللغزية في القرآن قوله تعالى:

(وحرصاء شباهة شباهة مثلها) (الشعرى: 40)، فسمى عقوبة السيئة وقصاصها
سِيَّةٌ؛ مع أنها ليست سِيَّةً على الحقيقة، بل هي عدل وحق، فالمقصود: وجزاء سِيَّةٌ عقَةٌ، واستخدمت كلمة سِيَّةٌ للمشاكلة اللغظية، وليس المراد منها معنى السوء حقيقة.

ومثله قول الله تعالى: {مِنْ اعْتَدَدِي عَلَيْكُمْ قَوْلاً عَلَيْهِ بَيْشَلٌ مَا اعْتَدَدُي عَلَيْكُمْ} (البقرة: 149)، فرد الاعتداء ليس اعتداء، لكن جاز تسميته كذلك في باب المشاكلة اللغظية، ومثله {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضِيَ عَنْهُمْ} (البيعة: 8)، فكل منها على معنى، وأمثاله في القرآن كثير.

وفي السنة النبوية صور استخدام فيها النبي ﷺ هذا الأسلوب العربي، البديع، منها قوله: {اتركوا الترك ما تركوك، ودعوا الحبشة ما ودوككم}، والأصل أنها (ما ودوككم)، فعدل عنها إلى (וודوككم) للمشاكلة مع (تركوكم).

إذا تبين ذلك وجب إعادة قراءة الآيات المشكلة للوقوف على معاني هذه الألفاظ وفق سياساتها، فالآيات حين تحدث عن مكر الله بالكاذبين أو خادعته لهم وامثاله لم يكن تنسب إلى الله هذه الأعمال ابتداء، إنها ذكرت هذه الألفاظ في مقابل فعل المشركين، فحين وقع منهم المكر والخداع والكيد، رد الله كيدهم وخداعهم ومكروهم، فسمى الله فعله بألفاظ من جنس ما صنعوا، للمشاكلة اللغظية مع ما وقع من الكفار، من غير أن تكون الحقيقة اللغوية لهذه الألفاظ مُرادة.

وهذه المشاكلة في الأسلوب تضح من قرأ تلك الآيات المشكلة، كمثل قوله تعالى: {يَجِئُونَنَّ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} (النساء: 2)، وقوله: {وَيُمِكِّرُونَ وَيَمِكِّرُ اللَّهُ} (الأنفال: 30)، وقوله: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَبِيْدًا وَأَكْيَدُ كَبِيْدًا} (الطارق: 15-16)، وقوله: {كَيْسَحُورُونَ مِنْهُمْ سَحْرُ اللَّهِ مِنْهُمْ} (النوة: 69)،

(1) أخرجه أبو داود (430/2)، والنسائي ح (1676)
عن دعاوى المبطلين

وقوله: "بُسْتَحْتِ نُورُ الْيَوْمِ الْأَخِرِ" (البقرة: 141)، فلم تنبذ هذه الأفعال (الخداع، المكر، الكيد...) إلى الله؛ إلا في باب المقابلة لفعل الكافرين، من غير أن تكون معانيها مُرادة على الحقيقة.

والتدقيق في معاني تلك الآيات يبين أنها لا تدل على معان سريعة في حديثها عن أفعال الله، فمكر الله في قصة قوم صالح هو إهلائهم لكونهم: "قالوا تقالموا بِاللَّهِ لِتُبْيِنَهُ وَأَهْلَهُ وَمَنْ نُقَلِّنَ لَيْوَلِيَّةٌ مَّا شَهِدُّهَا مَهِيلٌ وَإِنَا لَصَادِقُونَ وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرُوا مَكْرًا وَهُمْ لَا يُشْعُروْنَ" فأنظر كيف كان عافية مكرههم آنذاك، فالله تعالى محمدًا وقومه أمراء (النمل: 49-51) فالمكر الإلهي هنا هو عذاب الله الذي أتاحهم وهم لا يشعرون، وليس في هذا أي معنى يستحق.

وأما الخداع في قوله تعالى: "وَهُوَ حَادِحُهُمْ" فهو "إمهال الله لهم في الدنيا حتى اطمأنوا وحسبوا أن حيلتهم وكيديهم راجا على المسلمين، وأن الله ليس ناصرهم" فإطلاق الخداع على استدراج الله إياهم استعارة تثليثية، وحسبتها المشاكلة"

وأما أراد اليهود برسالة السيد، وحاكوا مؤامرة للفت على مكر الله بهم فأنجح المسيح بأسلوب خفي عليهم، ولذلك قال الله: "وَمَكْرُوا وَمَكْرُ اللهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكْرِينَ" (آل عمران: 54)، فذكر الله هو إنجاء المسيح منهم، وعدم تحقيق أهدافهم، وهو غاية نبيلة ومقصود كريم.

ومثله إنجاء الله سبحانه وتعالى من مؤامرة قريش حين اجتمعوا على بابه يريدون قتله يوم المجرة، فقال الله: "وَإِذْ يَمْكُرُ بِلُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُسَوِّكُ أَوْ "

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور (5/329)، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (289/1).
تنزيه القرآن الكريم

يَقْتَلُوكَ أَوْ يُجْرَجْعُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (الأنفال: 30).

فإن جاء نبيه ليس فيه ما يستقبح.

وتوجت التفاصيل في بقية الصور ففي على مثل ما بيناه.

ولكن يفوتنا التنبؤ إلى أمر صحيح ذكره أهل العلم باللغة، حين قالوا: هذه الألفاظ (المكر والكيد والخداع) لا تستحق معانيها في لغة العرب ابتداء، إنها تستحق باعتبار ما أضيفت إليها، فالمكر - مثلًا - هو التوسع بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالعدو، فمكرك بأحدهم تمكن منه من غير أن يتبه إلى فلك وتبدوه، فهذا في اللغة (مكر)، ولا يوصف بمدح أو ذم إلا بعرفة ما يضاف إليه، فتوصل المرء إلى حق بأسلوب خفي (مكر) ممدوح، وتوصله إلى حقوق الناس بأسلوب خفي (مكر) مذموم.

وهكذا فإن الله عز وجل يقابل مكر الكافرين السيء (أي سعيهم للإيقاع بالأنيان على وجه خفي) بالذكر الحسن (إنجاء الأنيان بوجه خفي)، فهذا معنى قوله تعالى: "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الْيَتَّقِينَ كَفْرًا لِيَتَّقِنُوا أَوْ يَقْتَلُوكَ أَوْ يُجْرَجْعُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (الأنفال: 30)، ولا أجل ذلك قال الله عن فاعله: "وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (الأنفال: 30)، ولم يقل بأنه: (أمكر الماكرين)، لأنه لا يمكر إلا بخير.

فهو يمكر بالمراكون، ومكره الخير فعل جيل يقابل مكرهم السيء.

وأما الخداع فهو حسب الفيروزبادي: إرادة الشر بالمخدوع وهو لا يعلم، وأما ابن دريد فعرف بأنه الكثبان والإخفاء، وكلا المعنيين لا يستقبح؛ إلا إذا انضاف إليه مقصد السوء، وإلا فمخادعة العدو النظام لنين الحقوق المشروعة لا يستقبحها أحد، فله جازى الكافرين شراً على أفعالهم وهم لا يدرون (بخفاء).

فقال الله خداع الكافرين المشين بخداع ممدوح.

(1) القاموس المحيط، الفيروزبادي (3/16-17).
وعَمَّا الكيد في مثل قوله: "إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كُبْداً وَأَكِيدُ كُبْداً" (الطوارق: 15)، فهو كَى عَرَفَهُ الَّجَرِّاجِيُّ بِأنَّهُ إِرَادُهُ مَضْرَةَ الْغَيْرِ خَفِيَّة، وَعَرَفَهُ غَيْرَهُ بِأنَّهُ التَّدَبُّرَةَ ضد العدو.)

وَهَذِهِ الْمْعَانِيُّ لَا عِيبَ فِيهَا، إِلَّا إِنَّ كَأْسَتَ سَبِيلًا لِلْتَوَلُوْلِ إِلَى غَايَةِ مَرْذُوْلَة، أَما مقاومة كَيْدَ الْكَائِدِينَ (إِرَادُهُمُ الْضَرَّ بِالْخَفَافِ) بِكَيْدُ مَثْلِهِ، أَيِّ (بِإِضْرَارِ خَفِيِّ بَهْمِ)، فَهَذَا غَيْرَ مِسْتَنَكُرُ، إِذَا لَا يُلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْإِضْرَارُ بِالْعَدُوْ عَلَى وَجْهٍ ظَاهِرٍ حَتِّى يَسْتَنَعُ مِنْ النَّاحِيَةِ الْأخْلاَقِيَّةِ.

وَلَكِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمٍ: "وَنَاطَأَ اللَّهُ لَأَكِيدُ أَصْبَانَكُمْ" (الأَنْبِياءِ: 57)، وَيَعْنِي أَنَّهُ سَيَتَخَلَّصُ مِنْهَا بِوَجَهٍ خَفِيٍّ، وَهَذَا كَيْدٌ مُدْخَوَّ بِتَخْلِصَهُ النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمُ عِلْيَ الْسَّلامِ مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي تَعْبَدُونَ مَنْ دُونِ اللَّهِ؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْرَءَهُ سَفَهَاءُ المُشْرِكِينَ، فِي تَعْرِضُهُمْ لَهُ بِالْقَتْلِ وَالْإِبْدَاءِ، وَقَدْ فَعَلَ هَذَا الكَيْدُ، فَحُطِمَ أَصْنَامَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرَفُوا ذَلِكَ "قَالُوا مِنْ فَعَّلَ هَذَا ٌبَعْضُكُمْ إِنَّهُ لَا يَطْمَئِنُّ الْظَّالِمُّينَ" (الأَنْبِياءِ: 59).

وَمَثَلُهُ قَولُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ يَوْسُفَ: "قَذَّلْ ٌكُيدًا لَّيْوُسُفَ" (يوسف: 72)، أَيْ صَنَعَ اللَّهُ صِبْعًا خَفِيًّا جَلِبَ فِيهِ الْخَيرِ لِيَقْلُوبَ وَبِينَهُ بِإِحْضَارِهِمْ مِنْ المُجَاجَةِ إِلَى أَرْضٍ مَصر.

وَهَكَذَا فَالْكِيدُ الْخَسَنٌ وَالْخَدْعَةِ الْخَسَنٌ لَا يُسْتَبِشِعَهُ أَحَدٌ، وَمَنْ مَثَلُ هَذَا

المخادعةُ وَالْمَكْرُ بِمَنْ أَرَادَ الْاعْتِدَاءَ عَلَى الْعَرْضِ وَالْمَالِ وَالْهَلْفِ، فِمَخَادِعَةِ الْمُتَعْتِدِ وَالْمَكْرُ بِهِ طَبْلًا لِلْإِنْجِازِ مِنْهُ وَلِلَّيْقَاعِ بِهِ عَلَى وَجَهٍ خَفِيٍّ مِنْ مَحَاسِنِ الأَمْوَرِ وَفَاضِلِ الأَعْفَاءَ.

(1) التعريفات، الجرجاني، ص (189).
تانين: هل يضل الله عباده؟
قالوا: أتي القرآن بالذكر من التول حين ذكرت آياته أن الله يضل من يشاء، والإضلال عمل مشين، كيف ينособ القرآن إلى الله عز وجل؟! وكيف يعذب الله بناره من أضللهم وحجب عنهم هدايته؟!
الجواب: من الضرورة أن يتيين لكل أحد أنه لا يوجد كتاب يمدح الله وعظمه بما نجد في القرآن العظيم، ولكننا نؤمن أيضاً أنه ما من فعل حسن أو قبيح يجري في هذه الدنيا إلا وهو واقع بمشيئة الله وإرادته، فالمسلمون يؤمنون أن الله هو المهيمن على هذا الكون، فلا رب فيه سواء، وكل ما يجري في الكون من خير أو شرور فإنما يقع وفق قدره الأولي، فإن يعزعج الله أو يطاع إلا بإرادته وعلمه، وهو تعال وحده دون سواء خالق الخير والشر، فالمسلمون لا يقولون بقول المجوس الذين زعموا أنهم ينهرعون الله عن النقاص، فجعلوا للكون خلقين، خالقاً للفجر وأخر للشر.
ولعله فإن الله هو الذي يخلق ويرزق ويجيبي ويعطي ويتنزف ويبدي، وهو أيضاً من يمت ويعم ويفتقر وينصر، فنسبة مثل هذه الأفعال إليه تتعلقها بطالعة قدرته وهميته جل وعز.
وأما مسألة تعذيب الله لم أصله وقول القائلين بأنه مناف لعدل الله، فأنها تصدق لكان إضلال الله للناس ابتداء، وهذا حال على عدل الله تبارك وتعالى وَمَا كَانَ اللَّهُ لَيُضَلِّلَ قَوْمًا بَعْدًا إِذْ هَذَا هُدًى حَتَّى يَبْكُرُوْنَ لَهُمْ مَا يَبْتَغُونَ إِنَّ اللَّهَ يُكْلِفُ نَبِيًّا عَلَّمَيْنَ (التوبة: 115)، فقد خلق الناس جميعاً على الفطرة موحدين، لذا خطب النبي ﷺ الناس فقال: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمنك ما جهلكم مما علمني يومي هذا»، وإي خلقت عبادي حتفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمهم عليهم ما أحلت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بيما لم أنزل به
عن دعاوى المبطلين

سلطانًا»، وهكذا فقلمها عز وجل خلق البشر المؤمنين، وإنها ضل من ضل باتباع الشياطين بإرادتهم واختيارهم.

ولتقوم حجة الله على عباده فإنه وهبهم العقل؛ ليميزوا به بين سبيل الخير وسبيل الشر: «وهدى نغلب النجدين» (البلد: 10)، ولأجل ذلك أرسل إليهم الرسول وأنزل الكتب، ولو كانت الهداية والإصلاح جربية حتمية لما كان من ضرورة لرسل النبين «رسلًا شريرين ومذندين لقلال يكولن ل-Origin على لله حجة» بعد الرسل وكان الله عزرا حكماً (النساء: 165).

والمتأمل في آيات القرآن يرى جلياً أن إضلال الله هؤلاء الذين أصلهم كان بمقتضى أفعالهم السيئة، فقد أضلهم لاختيارهم العناية ورفضهم الهداية وتكبهم طرفاها، فقلمها يضل من اختار الضلال، وفي المقابل هو يهدى من اختيار الهدى والرشاد.

وقد نبه القرآن على هذا المعني في آيات كثيرة منها قوله: «فلكاً راغعوا أرزاع الله قلوبهم والله لا يهدى القولون الفاسقين» (الصف: 5)، فكان إضلال الله لهم ومتعه الهداية عنهم بسبب زيفهم، ومهله قوله: «في قلوبهم سررض فرَّادهم الله مرضًا وهم عذاب أليمًا ينلكون» (البقرة: 10).

ومثله حال أولئك الذين صرف الله قلوبهم عن النور والهدى بسبب استكبارهم عن قول الحق: «سأصرف عن آبائي الذين ينكرون في الأرض بغيير الحق وإن يرزو كله آلية لا يؤمنون بها وإن يرو سبيلاً سبيل الرشد لا ينجذوه سبيلًا وإن يرو سبيل الغي ينجذوه سبيلًا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وقنان على عندها عاقلين».

(1) أخرجه مسلم ح (2865).

(2) وقد ورد مثل هذا في آيات كثيرة ذكرت أن الله لا يهدي الظالمين والكافرين والخانقين وغيرهم من تكب طريق الحق واختيار العناية على الهداية.
ووفق هذه القاعدة أيضاً أصل الله من نقض عهده وربما يكون وأفسد في الأرض بالمعاصي: «وَمَا أَضْلَلْنَى بِهِ إِلَّا الْفَاسِقُونَ» (الله يُضفر عهده من بعده وينقضون HTML) ويقرون ما أوار الله به أن يُوصَل وفَرسَدون في الأرض أن يُنكَفُّهم الحِيْرَةُ (البقرة: 26-27)، فهذا الفاسق يستحق الضلال بحسب إفساده في الأرض وعمله المشين.

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى:  "وَنَبْلَغَ أَفْتِيدَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ كَمَا لَمْ يَأْمُرُونَا بِهِ أَوْلَى مَرَّةٌ وَنَذَرُوهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ بَعْضُهُمْ بَعْضٌ (النحل: 32)«، فكل هؤلاء الذين أفسدوا الله لا يستحقون هديتاه بالله بسبع فصول الفصح:  "كِتَفْ يَهَٰدِي اللَّهُ قُوْمَآ كَنَّذِرُوْا بِعَدَى إِبْرَاهِيمَ وَمَشْهُروْا أَنَّ الرَّسُولَ حَقَّ أَنْ يَقُولُوهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْظَّالِمِينَ (العدل: 87-86)«.

وكان أن الإصلاح نتيجة للضلال وحُرَاء سَيْبَةٍ سَيْبَةٍ مِثْلَها (الشعر: 40). فذلك هديتاه إنا هي نفيهن وجزاء من اختار طريق الطاعة (فَأَنَا الْيَهْوَةُ آتِمُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصِمُوا بِفَسَّدَّكُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنِّي وَقَضَّلْنِي وَبَدِّلْنِي إِلَيْهِ صَرِيَّا (الشعر: 165) "فَأَنَا مِنْ أُعْطَى وَأَنْتُقَى) وَصَدِقْتُ بِالْحَسْنَى (فَسَتَّيْبَهُ لِلنَّبِيْرَى وَأَنَا مِنْ بَعْلِ وَاسْتَغْنَى) وَكَذَّبْتُ بِالْحَسْنَى (فَسَتَّيْبَهُ لِلْعُسْرَى) (اللَّيْل: 5-10)."
الحق، بل سروا بالإنام" (تسلونيكي 2/10-12).
وبعد ثبوت براءة القرآن ما نسبوه إليه فإني أتساءل والعجب يلفني: هل
جهل أصحاب هذه الشبيهة وجود ما استنكره على القرآن في كتبهم؟ أم يقرؤوا
ما جاء في سفر حزقيال، وهو من الأسفار المقدسة التي يؤمن بها الطاعون في
القرآن من اليهود والنصارى: "النبي إذا ضل وتكلم بكلام، فاتنا الحب أصللت
ذلك النبي" (حزقيال 14/9)!، وفي العهد الجديد يذكر بولس أنコーヒ-
قلوب من أراد ضلهم: "هو يرحم من يشاء، وبقسي من يشاء" (رومية
9/18)، فما هم قائلون؟

وبعداً عن التعليل القرآن الذي ذكرناه لإضلاع الله أهل الشر من عباده;
فإن بولس لا يجعل الهداء والإضلاع بسبب اختيار البشر ونتيجة أفعالهم، بل
يسندها وما يستبعده من العذاب إلى حق الله المطلق في فعل ما يشاء، فيقول:
"فتعقول لي: لماذا يلوم بعد? لأن من يقاوم مشيئته! بل من أنت أيها الإنسان الذي
تجاوز الله؟ أعلم الجبال تقول جابرها: لماذا صنعنتي هكذا؟ أم ليس للخزاف
سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إضاءة للكرامه، وآخر للهوان" (رومية
9/18-21)، فالإضلاع حسب النص الإنجيلي لا يتعلق إلا بالمشيئة الإلهية،
وليس بسبب ظلم العباد وضلائهم وطغائهم.

(1) وقد تكرر هذا في نصوص كثيرة تكتفي بالإشارة إلى بعضها: انظر: (الخروج 7/3)، (الأيام
2/18-22)، (تسلونيكي 2/11).
ثالثًا: هل يأمر الله بالفحشاء؟
قالوا: القرآن ينسب إلى الله الأمر بالفاحشة في قوله: «وإذا أردنا أن نُكِل قَرْنَى أَمَرْنَا مُرْضِيَاهَا فَقُسَّمَوا فيَّنَا فَحْنٌ عَلَيْهَا الْقُوُولُ فَدَمَّرْنَا نَفْسَهَا تَدْمِيرًا» (الإسراء: 61)، ففهموا منه أن الآية تقول: الله أمر المفرجون بالفسق، ثم عاقبهم على ذلك!
والجواب: لم يظهر في منطوق الآية صريحاً حقيقة ما أمر به الله، فالآية تقول: «أَمَرْنَا مُرْضِيَاهَا»، ولا تحدد حقيقة الأمور به ولا تفصيله، لكن مفهوم الآية يدل على أن الله أمرهم بالطاعة «فَقُسَّمَوا فيَّنَا» بعضهم على بعض في الخروج عن الطاعة.
قال ابن منظور: "فسق عن أمر ربه خرج من طاعة ربه، والعرب تقول إذا خرجت الرطبة من قشرها: قد فسقت الرطبة من قشرها، وكأن الفأرة إذا سميت فوِسقَتُ خرجوها من جحرها على الناس، والفسق الخروج عن الأمر وفسق عن أمر ربه أي خرج".
ومن هذا تبين أن فسقهم هو خروجهم عن أمر الله الذي أمرهم بالصالح، فخرجوا عن أمره، والله عز وجل لا يأمر إلا بالصالح، ولا يدعو تبارك وتعالى إلى الفاحشة ولا إلى السيء من القول أو الفعل، «وإذا فعلوا فَأَفْحَشْتَ فَأَقْلِهَا وَأَجْدِنَا علىً آبائنا وَالله أَمَرَنَا يَبِدْهَا فَقُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتْقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (الأعراف: 28).

(1) لسان العرب، ابن منظور (1008/393).
رابعاً: هل يتحرس الله؟
قالوا: نسب القرآن إلى الله التحرس في قوله: "يا حشرة على العباد ما يأتونهم من رسول إلا كانوا يستهيرون" (بسم: 30)، والتحرس أشد الندم، فهل الله يتحرس؟
والجواب: أن الآية لم تذكر مطلقاً صدور الخسارة من الله، بل تحكي تحرس الكافرين على تكذيبهم الرسل وهم يلقون في النار، ولو كان التحرس من الله - عياذًا بالله من هذا المعنى - فإن الله قادر على إخراجهم من النار وإدخالهم الجنة؛ فهذا أولى له من التحرس الذي يصنعه من لا يملك حيلة ولا دفعاً لما يتحرس عليه.
وإذاً المعنى فهمه مفسرو الإسلام ونقلوه عن التابعين، قال ابن كثير: "قال قطادة: "يا حشرة على العباد" أي يا حشرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله، وفرطت في جنب الله... ومعنى هذا: يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينا العذاب، كيف كذبوا رسل الله، وخالفوا أمر الله".
قال ابن عباس: "يا حشرة على العباد" أي يا ويل العباد.
ويصدق هذا قول الله تعالى: "أَنْ تَقُولَ نَفْسُ بَيْنَاهُمَا حَسَرَتُ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَنَّ السَّابِرِينَ" (الزمر: 56)، فالمتحرس هو الكافر، لا الله عز وجل، فبطلت الشبهة واستبان الحق لن آلق السمع وهو شهيد.
والعجب أن كتب أصحاب هذه الشبهة لا ثمن لمثل سورة التحرس والندم إلى الله تعالى، ومن ذلك أن الرسول قال: "ندمت على أي جعلت شاول ملكاً، لأنه رجع من ورائي، ولم يقم كلامي" (صموئيل (1) 15/10)، وأنه رفع عن بني إسرائيل العذاب بيد أعدائهم "لأن الرس ندم من أجل أنهم" (القضاة: 2/18).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (6/574).
(2) المصدر السابق (6/574).
قالوا: الكبير صفة مدمرة ينفر منها العتالة، ومع ذلك فإن القرآن يصف الله وسميّه بالتكبر في قوله: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ ُالْقَدَّسُ السَّلَامُ﴾ (الحجر: 23).

والجواب: بداية فإن الله عز وجل وصف نفسه وسماها في القرآن الكريم بأشياء وصفات الجمال والجلال و"الأسئة الحصصية"، فأي اسم من أسمائه يدل على غاية في الحسن والجمال، مما يلبق بجمال الله وعظمته.

وэтلك المعنى يلازم صفات الله، وإن دلت هذه الصفات على غير الكمال والجمال حين تضاف إلى العباد؛ فإن الاسم في إطلاقه على الله تعالى عن كل معنى مشين.

وقد سمى الله تعالى نفسه بالتكبر لتعاليه وتنهسه عن كل نقائص.

والمعایب، قال قتادة: "تكبر عن كل شر".

ولو تساءلنا عن معنى الكبر في لغة العرب؛ لوجدنا المرتفع الزبيدي يجيب بالقول: "الكبر: الرفعة والشرف والتكبر والاستكبار: التعظم .. "، والله عز وجل مستحق للرفعة والشرف والتعظم، بل له من ذلك أكمله وأميه.

قال ابن الأثير: "التكبر والكبر أي العظيم ذو الكبراء، وقيل: المعالي عن صفات الخلق، وقال: التكبر على عتاه خلقه .. والكبراء العظمة والملك، وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلا الله تعالى ".

وأما كبر الإنسان فهو مدبروم - بالجملة - إذا طلب فيه الإنسان ما لا يستحقه، فالناس سواسية، لا يتميز بعضهم عن بعض إلا يقدر ما أنعم الله به على الواحد منهم، فمن كان هذا حاله فحقق المزيد من التواصل والصغار لله المنيم، لا

(1) جامع البيان، الطبري (3/26). 
(2) لسان العرب، ابن منظور (5/125).
التي حالي والكبر علی عباد الله، يقول الزيدي: "الكبر والتكبر والاستكبر متقاربة، فالكبر: حالة يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره"، فمثل هذا الكبر مذموم؛ لأن البشر متساوون، فتعظم بعضهم واستكرارهم على بعضهم غير مستحق، فلقلق صاحبه الذم.

كما أن من كبر العباد ما هو مذموم؛ كاستكرارهم واستعلاانهم عن الذنوب والدناءا والحساسات، فالعالق يتكبر وترفع على مواقعتها، وتكبره عليها غير مذموم.

ومن الكبر غير المذموم ما يقع طبعة؛ كاستكرار الإنسان على غيره من الحيونات، فيرى أنه أفضل منها وأعلى، وأنه أحق بالحياة منها، وأن حياة كثير منها رهن مصلحته وحاجته، وأنه الأحق بمنافع الكون المسخر له، فاستكراره عليها وتكبره فيها وإهدار مصالحها ليس بمذموم؛ لأنه حقه، فإذا كان كذلك.

فتكبر الله المنعم على عباده أولى.

سادسا: هل الله لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها؟ قالوا: القرآن ينسب إلى الله أنه لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها، واستدلوا بأيات، منها قوله: (الآن خُفِّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَمْ أَنَّ فِي كُلِّ مَضْحَكَةٍ (الأنفال: 66)، وقوله: (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُتِبَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعْلِمَ مِنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولِ يَمَنْ يَنْبِلْقَ عُلَيْهِ مَعْرِضًا (البقرة: 141).

والجواب: أن القرآن نسب إلى الله العلم المطلق بكل شيء، فهو الذي يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، والآيات القرآنية في هذا الصدد لا تكاد تخص لكثرة، منها قوله: (وَأَنْتُوْا اللَّهَ وَأَعْلَمْنَا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءَ عَلِيمٌ (البقرة: 131)، وقوله: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (آل عمران: 119)، وقوله: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيْبًا (النساء: 32).

(1) تاج العروس، الزبيدي (514/3).
وعلم الله أزلي، وقد كتب الله ما سيعمله العباد قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة، يقول تعالى: "كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة". وفي حديث آخر: "وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض". فهذا النوع الأول من علم الله، وثبوته كاف في دفع الشبهة.

والفريق الثاني من العلم الإلهي هو علمه بوجود ما علمه أزليًا، أي علمه بحدود آفاقنا التي كان يعلم أنها ستكون، فالله يعلم ذنب المذنب وطاعة المطيع قبل أن يخلق الخلق، ثم إذا ذنبن العبد أو أطاع؛ فلم يحقق الفعل ووجوده فأثابه عليه بموجب فعله، فهذا نوع آخر من العلم، يتصف به الله العليم الذي كان وما يزال عليًا.

وهو ما يفهمه المتأمل في آيات القرآن الكريم، ففي آيات سورة المائدة يخبر الله أنه يبتعذب عباده بحرم عليهم من الصيد ليعلم من يجاهه بالغيب. يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوُنَّكُمُ اللَّهُ يَسَىً مِّنَ الصَّيْدِ نَتَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَيُصَاحِفُكُمْ لِيُعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَخَافُ يَلْقَيْن هُمْ (المائدة: 94)، فهذا علمه الوجود للفعل وتحقيقه، وهو العلم الذي يحاسب الله الخلق عليه، ولا يمنع هذا ولا يتعرض مع علم الله المطلق الذي أثبته السياق نفسه: "ليُعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكْنُ ْيَعْلَمُ" (المائدة: 97).

ومثله في حديث الله عن المنافقين، فقد أخبر الله أنه يعلم ما في صدورهم، وأنه سيعلم أفعالهم التي يخبر بها في قلوبهم حين يفعلونها، "أَوْلَٰئِكَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ يَتَبَيَّنُ صُدُورُ الْعَالَمِينَ وَلَيْتَحْلِمُنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْتَحْلِمُنَّ المُنافقِينَ" (العنكبوت: 100-11).

(1) أخرجه مسلم (2653).
(2) أخرجه البخاري (1962).
وعن دعاوى المبطلين

ومثله قول الله تعالى: «وَلَبِينَّنَّكُمَّ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيَصْلَحَكُمْ» (آل عمران: 154)، فهو على بضائعهم، واحتمالهم ليس لزيادة علمه بترك تعاون، بل ليتحقق ما علمه بنفع العباد، فيجازيه بموجب هذا العلم، أي بموجب علمه بأعماله.

وقد سمي العلماء هذا العلم "علم المشاهدة", أي مشاهدة أو رؤية ما علمه الله آزلاً، ثم تحقيق فاراً، ومن المعالم أن الرؤية والعلم بترافعان في بعض الإطلاقات، كما في قوله: "لَمْ تُرِ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ" (المجازية: 7)، ومعناؤه: لم تعلم، لذا قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: «لَيُعْلَمُ أنَّ قَدْ أَبْلَغْنَا رَسَالَاتِ رَبِّنَا» (الجن: 28): "المعنى: ليعلمه الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيراً".«

وفي شرح قوله: «وَلَبِينَّنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمُ المُجَاهِدِينَ مِنَّكُمْ» (محمد: 31).

يقول ابن الجوزي: "العلم الذي هو علم وجود، وبه يقع الجزاء".

ووقال ابن تيمية: "علم الرب تبارك وتعالى لا يجوز أن يكون مستفاداً من شيء من الموجودات، فإن علمه من لوازم ذاته فعلم العبد يقترب إلى سبب يحده إلى المعلوم الذي هو الرب تعالى أو بعض خلقائه، وعلم الرب لازم له من جهة أن نفسه مستلمة للعلم والمعلوم: إما نفسه المقدسة وإما معلوماته التي علمها قبل خلقها...".

ثم ذكر بعضًا من الآيات من جنس ما أورده الطعنون في القرآن اليوم، وعقب بالقول: "هذا مع اتفاق سلف الأمة وأثنتها على أن الله عالم بما سيكون

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (19/61).
(2) زاد المسير، ابن الجوزي (7/411).
قبل أن يكون، وقد نص الأئمة على أن من أثكر العلم القديم فهو كافر\(^{(1)}\).

وهكذا تبين فساد هذا القول وبطلانه بالدليل والبرهان.

لكن العجب في هذه الأبطولة صدورها ممن في كتب مثل هذه المعاني من غير أن يستثمرها، فقد جاء في سفر التكوين أن الله قال لإبراهيم: "لا تصدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئاً، لأنك الآن علقت آنك خائن لله، فلم تمسك ابنك وحيدك عني" (التكوين 22/12)، ومثله في سفر التثنية "وتنذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة في القبر، لكى يُبذل ويجربك، يعترف ما في قلبك؛ أخفي وصايا أم لا؟" (التثنية 8/2)، أفكان أوليهم أن يحملوا نصوص القرآن على المعاني التي يحملون عليها ما جاء في كتبهم؟ ولكنهم قوم مبطلون.

سابعاً: هل شكر القرآن في عدد قوم يوئن عليه السلام؟

قالوا: شكر القرآن في عدد قوم يوئن حين قال: "وأرسلناه إلى مئة ألف أو تزيدون" (الصافات: 47)، وهذا الشك - الذي يفيد حرف (أو) - يمنع نسبة القرآن إلى الله العليم الذي لا يخفى عليه عدد قوم يوئن ولا غيرهم.

والجواب: الله بكل شيء عليم، ولا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، وإنما جهل المستشكل هذه الآية لغة العرب، ذلك أن (أو) في لغة العرب تأتي على معاني\(^{(2)}\)، فمنها ما هو للشك، كقولنا: جاء محمد أو زيد، ومنها ما يفيد التخدير، كقولنا: تعال اليوم أو غدًا، ومنها ما يأتي بمعنى (و) أو (بل)، وهما معاني متقاربان، وهو موضوع الشاهد، ويلزمنا فيه بعض التفصيل.

---

\(^{(1)}\) درر تعارض العقل مع القرار، ابن تيمية (5/179).

\(^{(2)}\) انظر: ختيار الصحاح، الرازي (20/2)، والجني الدين في حروف المعاني، ابن أم قاسم المرادي، ص (272-273)، وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، محمد الجوجري (2/808).
عن دعاوى المبطلين

تفيد (أو) معنى الهاو، وهو كثير في لغة العرب، كما في قول الشاعر توبة بن الحمير:

وقد زعمت ليل بأني فاجر لنسني تقاها أو عليها فجورها
أي وعليها فجورها.

ومثل قول أبي الأسود الدؤلي:
أحب محمدًا حباً شديداً وعباساً وهززة أو عليًا
ويريد أنه يجب حزوة وعلياً، لا أنه متعدد في محبته بينها.

ومثل قول جرير وهو يمدح الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز:
نال الخلافة أو كانت له قدراً كأني ربه موسى على قدراً.
أي: نال الخلافة وقد كانت له قدراً.


وقد خرج العلماء قوله تعالى: (أو يزيدون) على هذا المعنى الشائع عند العرب، أي: بمعنى الهاو، فمعنى: أن الله أرسل يونس إلى مائة ألف ويزيدون، وتُنقل ذلك عن بعض الصحابة والتابعين، كابن عباس والحسن وسعيد بن جبير،

(1) انظر المزيد من الشواهد في شرح الأشعولي على ألفية ابن مالك (1161/217-218).
بل هو مروي عن النبي ﷺ، فقد سأله أبي بن كعب عن هذه الآية، فقال ﷺ:

"عشرون ألفاً"، أي: يزيدون عشرين ألفاً.

كما تأوي (أو) في لغة العرب بمعنى آخر قريب، وهو (بل) التي تفيد الإضراب الانتقال. كأي أسواه إماماً للغة أبو علي الفارسي وابن جيني، وغيرهما، واستشهدوا بقول جرير وهو يصف كفيلة عياله:

ما إذا ترى في عيال قد برمت بهم
كأنوا ثمانين أو زادوا ثمانية
لولا رجاءك قد قلت، أولادي
ومثله قول ذي الرمة:

بَدَّتْ يَتِلّ قُرْنِ الشَّمْسِ فِي رُوُءْقِ الصَّحِيَّةِ
وصورتِها أو أنبت في العين أملحٌ
وتفيد (بل) معيّنًا زائداً على (الواو)، وهو إثبات المخبر عنه، ونفي ما زاد عنه. ومعناه في البيت الأول أنهم ثمان وثمانون، وليسوا أقل من ذلك، وفي الثاني أن جماه ليس بأقل من قرن الشمس، بل هي أجمل منها.

وهذا المعنى الفصيح والبلاغ لـ (أو) ورد في القرآن مراراً، ومنه قوله تعالى:

ثُمَّ قَسَتْ فُلُوْكَمْ مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ فَقِئِيْ كَحَجَارَةٌ أَوْ أَشْدَدُ قِصْوَةٍ (البقرة: 47)

أي: بل هي أشد قسوة، وقوله: "إذا فريق منهم يحسون الناس كحشية الله أو أشد حشية" (النساء: 77)، أي: بل أشد خشية، وقوله عن قرب النبي ﷺ من جبريل: "كَفَّانَ قَابٍ فَوْسِينَ أَوْ أَذْنِيَّ (النجم: 9)، أي: بل هو أدنى، وقوله: "وَمَا أَمْرُ السَّاَخَنَةِ إِلَّا كَلْمَحُ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقَرْبُ (النحل: 77)، أي: بل هو أقرب، وقوله: "فَذَكَّرُواُ اللّهُ كَذَّكَرُواُ مَآءَ كُرُّمَ أَوْ أَشْدَدُ ذِكْرَأٍ (البقرة: 2).

(1) أخرجه الترمذي ح (3296)، والطبري في تفسيره (211/115)، وفيه رجل منهم، فالحديث ضعيف.

(2) خثار الصحاح، الرازي (102/1).
عن دعاوى المبطلين

أ: بل أشد ذكرا.
لذا لما سأل عبد الله بن سلام النبي ﷺ: على كم تفرقوا بنو إسرائيل؟
أجابه: «على واحدة أو اثنتين وسبعين فرقة، وأمتي أيضاً سئففرق مثلهم، أو يزيدون واحدة، كلها في النار إلا واحدة».
وقوله: «على واحدة أو اثنتين وسبعين فرقة»، ليس للشك، بل المعنى: واحدة وسبعون اليهود، واثنتان وسبعون للنصارى، كا يفسره في حديث عوف بن مالك عنه: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة.. وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة».
وذلك قوله: «وأمتي أيضاً سئففرق مثلهم، أو يزيدون واحدة»، معناه: بل يزيدون واحدة، كما في قوله في حديث عوف السالف: «والذي نفسه يبدها لئففرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».
ومال إلى هذا التوجيه ابن كثير بقوله في شرحه لأية سورة يوئس: "أي ليسوا أقل منها، بل هم مائة ألف حقيقية، أو يزيدون عليها. فهذا تحقيق للمخبر به، لا شك ولا تردد، فإن هذا ممنعت ها هنا".
وهكذا فإن القرآن ينص على أن عدد قوم يونس عليه السلام قد جاور المائة ألف، فاستبان الأمر وبطلت الشهبة. «ولا يُؤولِكِ يكَذبَ إِلَّا جَنَّتَكُ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْصِيلًا» (القرآن: 33).

***

(1) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ح (1876).
(2) أخرجه ابن ماجه (992)، والطبراني في الكبير ح (129).
(3) تفسير القرآن العظيم (4/316).
الاباطيل المتعلقة بما في القرآن عن أنبياء الله تعالى

الأنبياء مرسى الله إلى خلقه من الجن والإنس، وهم صفوته منهم، وحالة رسله كوجه إلىهم، اختارهم الله واتصفهم بهذا الهمة الشريفة من بين سائر عباده وسلام على عباده الذين اضطبل الله خيرًا أمتهم كون (النمل: 59)، فهم أرث أهل الأرض، وأكرهم، وأجلهم، عصمهم الله من الكفر، ونزههم عن مقارنة الكبار بتويفه ودرايته ودليله: كذلك نصفر عنه السموع والفحشاء إنه من عبادنا الخلقين (يوسف: 24)، فالرسول على قدر المرسل.

لكنهم صلوات ربي وسلمه عليهم - رغم عصمة الله لهم من الكبار والخسائر - فإنهم كسائر بني آدم، يشعرون ويخطئون ويتأملون ما يصيب غيرهم من عوارض البشرية، وقد قال ﷺ: لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من بني زكريا، ما هم بخطيئة. قال عبد الله بن عمر راوي الحديث: أحسبه قال: ولا عملها، وفي رواية ابن عباس، وفيها ضعف: ما من أحد من ولد آدم إلا أخطأ أو هم بخطيئة، ليس بني بن زكريا، فذلك يفيد عصمة الله عليه بذاته دون سواه من الأنبياء عن الصغراء التي تجوز في حقهم، وكما قال ابن بطال فإن المسلمين اختلفوا، هل يجوز وقوع الذنوب منهم؟ فأجمعوا الأمة على أنهم معصومون في الرسالة، وأنه لا تقع منهم الكبار. وقال أهل السنة: جائز

(1) أخرجه البازاز في مسنده ح (351)، وقال الهيشمي: "رواه البزار، ورجاله ثقات". مجمع الزوائد، الهيشمي (8/142).
(2) أخرجه أحمد ح (2194)، وأبو يعلى ح (544)، والطبراني في مجمعه الكبير ح (12933)، والحاكم في مسنده (2/417)، وقد ضعفه العلامة لأجل علي بن زياد، وهو ضعيف عند الجمهور. مجمع الزوائد، الهيشمي (8/142).
وقوع الصغائر من الأنبياء

وقد ذكر القرآن الكريم وقوع بعض الأنبياء في صغيار الذنوب، وذكر استغفارهم الله وتوبةهم منها، ومنه قوله تعالى عن أبنا آدم: "وَعَصْسَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَفَّوْاْ تَمَّ الْإِجْتِبَاهُ رَبِّهِ قَاتِبًا عَلَيْهِ وَكَذَّبَ" (طه: 121 - 122)، وقوله على لسان إبراهيم عليه السلام: "وَالَّذِي أَطْعَمَ أَن يَغْفِرِ لي حَطِيثَي بَيْنَ الْدُّنُيَّةِ وَالْخَيْرَ" (الشعراء: 82)، وقوله عن النبي ﷺ: "لَيَغْفِرْ لَكُمُ اللَّهُ مَا تَقْدِمُ مِنْ ذَنْبٍ وَمَا تَأْخَذُوهُ" (الفتح: 3)، فهم بشير يخطئون، لكنهم - عليهم الصلاة والسلام - أعرف الناس برسومهم، وأخوينهم له، وأسرهم إليه توبة، وأقلهم مواقف لمعصيته، ف"الله تعالى قد أخبر بوُقَوع ذنوب من بعضهم، ونسوا إليه إليهم، وعاتبهم عليها، وأخبروا بذلك عن نفوسهم، وتناولوا منها، واستغفروها منها وتابوا... وكل ذلك مما لا يزدي بمناصبهم، وإنما تلك الأمور التي وقع منهم على جهة الندرة] وعلى جهة الخطأ والنسيان، أو تأويل دعا إلى ذلك، فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات، وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم، وعلم أقدارهم؛ إذ قد يؤخذ الوزير بما يثبت عليها السائس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة، مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة".

وهذه الذنوب الصغائر يُغض عنها، فتتطوّر لندترها؛ فإنها تغمر في بحور حسنات الأنبياء الذين سبقوا إلى الله بالعمل الصالح، "إِنْ هُمَّ كَانُوا يَسَارُعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيُدْعُونَ لَا يَرْهَبُوا وَكَانُوا لِلْأَنَامِ" (الأپبياء: 90).

 وإِزاِئ هذا النصوص الإسلامي لمقام النبوة تثور مفاهيم باطلة؛ يُزعِم أصحابها

(1) شرح ابن بطال (10/1159)، وقد خاليف الخوارج والعزلة أهل السنة والحق، فقالوا بعصمة الأنبياء عن الصغائر، كما شد الرافضة حين ادعوا عصمة الأنبياء قبل النبوة.

(2) الجامع لأحكام القرآن، الفرطني (1/115/255).
فيها أن القرآن أساء فيها إلى أنيباء الله الكرام، وانتقص من أقدارهم، والعجب كل العجب أن هذه الغيرة المزعومة على الأنبياء صدرت من تطفح كتبة بنسبة الكفر والكبائر من الذنوب والإثم إلى الأنبياء، ففي توارихهم التي يؤمن بها كل من اليهود والنصارى أن نوحًا عليه السلام سكر وظهرت عورته أمام أبنائه (انظر التكوين 26-5/9)، وأن لوطًا أدركه إبنته، وضاجعتها، وأنجبتا منه (انظر التكوين 19/30-37)، وأن هارون عليه السلام صنع العجل النذري لبني إسرائيل ليعبدوه من دون الله (انظر الخروج 32-4-2)، وأنه وأخاه موسى - عليه السلام - خانا الله (انظر الثنية 51/32)، ولم يؤمن به (انظر العدد 15/20).

ولا تخص التوراة النبي موسى بالأمر بقتل النساء والأطفال (انظر العدد 31/18-14)، بل تنسب هذا الفعل المريض الشنيع إلى وصية النبي يوشع بن نون (انظر يوشع 6/20-24)، وإلى نبي الله داود الذي تزعم الأسفار أنه لم ينف بقتل النساء والأطفال، بل عمدا إلى نشر أعدائه الفلسطينين بالناشير، وحظم عظامهم بالغفووس قبل أن يخرجهم في الأفران (انظر صموئيل 12/19/31)، و(الأيام 1/10/20).

وقد نال هذا النبي الكرام الأواب (داود)، وابنه الحكم سليان النصيب الأكبر من الجرح والسوء، فذكر سفر صموئيل أنه رقص حتى تكثفت عورته أمام عبده (انظر صموئيل 26/14-20)، وأنه قتل مائتين من الفلسطينين، وقطع غلُطهم ليقدمها مهرًا لزوجته ميكلاب بنت الملك شاول (انظر صموئيل 1/27)، وأنه حين تولى الملك ضاحج زوجة قادته أورى، فحدثت منه، فدفع زوجها إلى الموت ليستر على فعلته (انظر صموئيل 2/11-26).

وأما ابن النبي الحكم سليان؛ ففي التوراة - التي يؤمن بها الطاعون في القرآن الكريم - أن نساء الوثنيات أملن قلبه إلى آلهتهم في شيخوخته، فبنى معايد
للأثوان، لتعبد فيها الأصنام ومن دون الله (انظر الملوك (1) 11/3-11).

وهكذا، سلسلة طويلة لا تنتهي من الإساءات إلى أنبياء الله تمثل يهاصفحات كتب الطاعنين في القرآن، الذي يقابلها جمعاً بقول الله للنبي ﷺ: (الأنعام: 90).

ولكن صدور تلك الإساءات إلى الأنبياء في كتب الطاعنين لن يكون كافياً في الذيب عن القرآن الكريم، بل لابد من التعرض بالتفصيل والشرح والبيان لحقيقة هذه الأباطيل.

أولاً: هل وقع آدم ﷺ الشرك؟

قالوا: القرآن ينسب الشرك إلى الأنبياء، فقد نسبه إلى آدم بقوله: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجاً لبسطاً تَسْتَغْنَيهَا تَحْيَّتْ حَمَّالًا خِفْيًّا فَخَرَّبْتُه بِفَتْرَةٍ آثِرَتُ دُعُوَّا لله رَبِّي لَتَأْتِيَ صَلاً لتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرينَ) (الأعراف: 190)، واستدلوا لذلك بما أورده المسرون من حديث سمرة المرفوع إلى النبي ﷺ: "ولما ولدت حواء طاف بها إيليس - وكان لا يعيش لها ولد - فقال: سميء عبد الحارث؛ فإن يعيش، فسمته عبد الحارث، فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره!")، قالوا: والحارث اسم الشيطان حين كان في الجنة.

الجواب: القرآن يشي على آدم عليه السلام أعظم الشناعة وأركاه فإن الله اصطفى آدم ونوحًا وآليٌّ إبراهيم وآليٌّ عمران على الخلقين) (آل عمران: 32)، ويؤكد هداته واصطفاوه لله بعد توبته من أكل الشجرة (ثُمَّ اجتَبَاءُ رَبِّهِ فَنَفَّذَ عَلَيْهِ وَقَدَي) (طه: 122)، ولا يمكن لمن مدحه الله هذه المدحة أن يكون مشركًا بالله.

وأما ما ينقله المسرون في كتبهم من روايات فيصدق فيها قول أبي حيان

_________________________
(1) أخرجه الطبري في تفسيره (13/309)، والترمذي ح (779).
الأندلسي: "وذكروا في ذلك محاولات جرت بين إيليس وإمام وحاء لم تثبت في قرآن ولا حديث صحيح فأطرحت ذكرها"\(^{(1)}\), ويتمثل هذا في نشأة النصوص في كل عصر وحين.

وقد أطلق العلماء على ضعف حديث سمرة الذي فيه أمر الشيطان لأدم بتنمية ابن عبد الحارث، لأن في سنده الحسن يرويه عن سمرة بصيغة العنونة، وهو مسند، فلا تقبل روايته إلا إذا صرح بالتحديث، قال الجهبي: "كان الحسن كثير التدليس، فإذا قال في حديث: عن فلان، ضعف احتجاجه"\(^{(2)}\).

قال البيهيقى: "أكفر الحفاظ لا يثبت سباع الحسن البصري من سمرة في غير حديث العقيدة"\(^{(3)}\).

وذلك حكم الألبانيي بضعف الحديث، وقال: "ضعفيف.. وأعله ابن عدي في "الكامل" بتدفع عمر بن إبراهيم، وقال: وحديثه عن قتادة مضطرب\(^{(4)}\)، واستدل تضعيه بما نقله ابن كثير من تفسير الحسن للآية، فقد جاء تفسيره خالقًا للمروي عنه في هذا الأثر: "قال [أي الحسن]: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن آدم.. عنى بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده"، فقوله هذا مبطل لما روي عنه.

ثم عقب ابن كثير بقوله: "وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رحمه الله، أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفسيرين وأولى ما حصل عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله ﷺ، لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سبباً.

\(^{(1)}\) البحير المحيط ، أبو حيان الأندلسي (4/327-328)
\(^{(2)}\) ميزان الاعتلال، الجهبي (11/327)
\(^{(3)}\) السنن الكبرى، البيهقي (9/388)
\(^{(4)}\) انظر: السلسلة الصغيرة، الألبانيج (4/342)
مع تقوله الله وَوَّرَعه، فهذا يدل على أنه موقف على الصحابي، ويعمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب، من آمن منهم، مثل: كعب أو وهب بن شبيب وغيرها.
ولو فرضنا جدلاً صحة القصة التي تنسب إلى آدم؛ فإنما غالب ما تذكر القصة أن آدم وقع في شرك التسمية؛ حين سمي الولد "عبد الحارث"، ولكنه لم يقع في شرك العبادة، وبين النوعين فرق كبير، قال قتادة: "فأشار كا في الاسم. ولم يشكا في العبادة ".
وقال القرطبي في شرحه: "قال الفسروق: كان شركاً في التسمية والصفة، لا في العبادة والروبية. إنما لم يذهب إلى أن الحارث ربه بتمثيلها ولهما عبد الحارث، لكونه قد أرد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد، فسمياه، كما يسمي الرجل نفسه عبد ضييف على جهة الحضوع له، فلا على أن الضيف ربه، كما قال حاتم عليه:
وإنك لعبد الضيف ما دام توأياً وما في إلا تيك من شيم العبد ".
وبالعود إلى الآية المستشلكة في معناها فإن من العلاوة من يرى أنها تحدث إلى قريش، وأن الله خلقهم من نفس واحدة هي نفس أبيهم قصي بن كلاب، وأنها تعتمدن على ما وقعوا فيه من الشرك بعد ذلك ".
ولكن جمهور المسيرين يرون أن قوله تعالى: "هو الذي خلقكم من نفس واحدة وكجع من زوجها ورسَمهن في الأرض حكماً خفيفاً فسرت به فألقته دعوى الله وجعله ليكون من الشاكرين" مقصود به آدم

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (2/363).
(2) جامع البيان، الطبري (13/291).
(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (7/339)، وانظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (259) و)، وزاد المسير، ابن الجوزي (3/30).
ووزوجه، ثم انتقلت الآية للحديث عن ذريته وما وقعت فيه من الشرك بالأصنام،
وهذا التفسير مشهور عند العلماء، نقله المفسرون ومنهم ابن عجيبة بقوله:
"فَلَمّا أتاهُما وَلَدَهُما (صَالِحًا) كَا سَالَا، جُعِلٌ أَوْلَادُهُما (لَهُ شَرَكَاءٌ فِيَّا آتُهُما)"، فسموا عبد العزيز وعبد مناف وعبد الدار. فالآية إخبار بالغيب في
أحوال بني آدم من كفر منهم وأشرك، ولا يصح في آدم وحواء هذا الشرك;
لعضمة الأنباء، وهذا هو الصحيح. وقد يُدعِبُ المَلِكُ الأب على ما فعل أولاده،
كما إذا خرجوا عن طاعته فيقول له: أتَلاِدك فعلوا وفعلوا، على عادة الملك".

وذاذممعنى للآية متقول، منهن عكرمة القائل: "لم
يخص بها آدم ولكن جعلها عامة لجميع الناس بعد آدم"، ومنهم الحسن
البصري الذي يقول: "كان هذا في بعض أهل الملِل وليس بأدام"، وكان يقول:
"هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهُوَوا ونصروا".

ويرى المفسرون ومنهم البغوي في تفسيره أن في الآية مخفوًا في قوله:
(جعله) : "راجع إلى جميع المشركين من ذريَّة آدم... أي: جعل أولادهما له
شركاء، فحذف الأولاد وأقاموا مقامهم; كما أضاف فعل الآباء إلى الآباء في
تعبيرهم بفعل الآباء فقال: (نَمَّامَ اِخْتَذِنَّمُمْ العجل) (البقرة: 51)، (وَإِذْ قَالُوا تَسْأَلُونَ تَسْأَلُونَ) (البقرة: 72)، خاطب به اليهود الذين كانوا في عهد النبي ، وكان
ذلك الفعل من آبائهم".

(1) البحر المديد، ابن عجيبة (2/447).
(2) ذكره سعيد بن منصور في سننه (154).
(3) جامع البيان، الطبري (13/15).
(4) معلم التزيل، البغوي (3/431)، وانظر: زاد المسير، ابن الجوزي (2/304، والبحر المحيط،
ابن حيان (4/493-498)، والكشاف، الزغشري (2/181-182)، ومفاتيح الغيب،
الرازي (87/15).
والانتفاضات في الخلافات من آدم إلى بنيه من غير التنبؤ على فصل في الحديث معهود في القرآن، وأمثاله كثيرة، ذكر السيوطي بعضها بعد أن نقل الآثار السابقة وغيرها من تفسير ابن أبي حاتم).

ومن صوره ما جاء في قصة آدم قال اهبطا منها جميعا بغضكم لبضعي عدو فإما يا بنيكم منى هدي فأيمن فتتبع هذاي فلا يضلل ولا يشقي وممن أعرض عن ذكري فإن له معيشة صنكا ونحشر به يوم القيامة أعمى (طه 123-124)، فالحديث في أول الآية موضوعه آدم وحواء قال اهبطا منها جميعا ثم انتقل بلا فصل للحديث عن ذريته بغضكم لبضعي عدو فإما يا بنيكم منى هدي فأيمن تتبع هذاي فلا يضلل ولا يشقي.

وأما يشهد لصحة هذا التأويل (الانتقال في الخلاف إلى بني آدم) ويدل عليه قوله تعالى في آخر السياق: فتعالوا الله عبادة يشر كون أبشر كون ما لا يلقي شيا وهم يخلعون (الأعراف 191) وما بعدها فقد انتقل من الحديث عن الاثنين (آدم وحواء) إلى الحديث عن الجمع (ذرته).

والتضليل أيضا بين واضحا في أن المصوّرة من الشرك عبادة الأص Crafting الرافع، لا
عبادة الشيطان المذكورة في قصة آدم ولا ينشيطون لهم تصورا ولا أنفسهم ينصرون وإنما يذكرونهم إلى الده للا ينفه لهم سواء على كم أدعوه وهم أم أنهم صائمون وإن الذين يذكرون من دون الله عباد أثناكم فاذكوه فليستحيوا ل долл إن كنتم صادقين (الأعراف 191-194)، فهذا كله في عبادة الأص Crafting الرافع، لا
الشياطين.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم (5/4، 1635-1634)، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي (1/135-134).
وبدل عليه أيضاً قوله: «أُيُشْرِكُونَ مَا لَا يَقْضِي»، فقوله (مَا) يبين أن المتحدث عنه ما لا يعقل، وهو الأصام، ولو كان المتحدث عنه الشيطان لقال:
(أيُشْرِكُونَ مِنْ لَا يَقْضِي).» 

وبدل على صحة هذا التأويل أيضاً أن آدم في حديث الخضر يعتذر عن الشفاعة يوم القيامة متذرعاً بذكر ذنبه الأكبر، يقول: «ربِ غضب غضباً لم يغضب قبل مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاي عن الشجرة فصسته، نفسها، نفسها، اذهبوا إلى غري، اذهبوا إلى نوح»، فلر كان آدم وقع في الشرك لذكره في هذا الموطن، فهو أعظم من الأكل من الشجرة، وهو أدعى للاعتذار عنه في موطن الخوف والإقرب والبراءة من الذنب، وحال أن يعتذر آدم عن الصغير ويفغل الكبير، فدل ذلك كله على براءة آدم من الوقوع في الشرك.

دانياً: هل شكر إبراهيم عليه السلام؟ قالوا: القرآن أشاد إلى أبي الأنباء إبراهيم الخليل، حين اتهمه بالشك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْيِي كَيْفَ تُحِي الْمُوتَى قَالَ أَوْلَمْ تَنْتَظَرُنَّ قَالَ بَلْ لَكِنْ لَبِطْسُ قَالَ فَحَفَذَ أَرْبَعَةً مِّنَ الْطِّيْرَ فَصَرَحُنَّ إِلَّا يَتَمَّ اجْعَلُ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مَّثَّناً جَزَّأَهُمْ دُعُوتُهُنَّ بِأَلْبِينَةَ سَعْيًا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ 
غَيْرُ حَكِيمٍ» (البقرة: 260).

كما نقل عنه أنه قال بربوبيا الشمس والقمر: «قلتُما رأى القمر بارغة قال عسَدُ رَبِّي فِي أَلْفٍ أَلْفٍ قَالَ لَتَنَّ لَمْ يَلْهُدِنْ رَبِّي لأَكْوَنَ مِنَ الْقُوْمِ الصَّالِحِينَ»، وَأَرَى 
الشَّمْسَ بَارَغَةً قال عسَدُ رَبِّي خَشَاكَ أَكْبَرُ» (الأعجم: 77–78).

(1) انظر: تفسير مفاتيح الغيب، الرازي (86/15)، ويجزع أن تستخدم (ما) للعاقل، لكن ما سبقه هو الأغلب عند العرب.
(2) أخرجه البخاري ح (3240).
والجواب: أن إبراهيم عليه السلام - حسب القرآن - هو المثال الأعلى للمؤمنين، فقد اصفه الله: "إِنَّ اللَّهُ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَالَّذِينَ مَاتُوا تَعَالَى عَلَى الْعَالَمِينَ" (آل عمران: 33)، وأمر جل وعز بالتزام دينه: "فَقُولُوا صَدَقَ اللَّهُ إِنَّ أَنَّى إِبْرَاهِيمَ حَنيفًا وَمَا كَانَ مِنْ النَّاسِ ۖ إِنَّهُ مَلَكٌ عَزِيزٌ" (آل عمران: 95)، فدينه أحسن الأديان، وهو خليل الله "وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِّنْ أَسْلَمٍ وَجَهَّةٍ لِلَّهِ وَهُوَ الْعَلِيمُ وَالْخَبِيرُ" (النساء: 125)، كما أمر القرآن بالتالي به: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَشْكُوَاتُ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمِ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمَهُمُ إِنْ بَرَأَتُوا مَنْ يُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَّرْنَا بِكُمْ وَبَدَأْتُ بِنَا بَيْنَا وَيَتَكَسَّمْ الْعَدَاءَةَ وَالْبَعْضَاءَ أبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ" (المؤمنة: 4)، ففي هذه الآيات وغيرها من بيان فضل إبراهيم الخليل ما يقطع قول كل خطيب.

وأما الشك في الإيان فهو منفي عن إبراهيم الخليل، بدليل قوله تعالى: "قَالَ أَوَلَمْ تَعْمَرْنَ قَالَ بَلَى وَلَكْنِ لَيْطَمْنَ فَلَيْبَیٓ" (البقرة: 260)، فقد أمن عليه الصلاة والسلام بقدرة الله على الإحياء، وانعقد قلبه على ذلك، وسأله لرؤية عملية الخلق فعل حسن أراد أن يترقى به في معارج الإيان؛ بالانتقال من حال علم اليقين، وهي حالة ذهنية متبقية إلى حال عين اليقين، أي مشاهدته، فسأله طلب ليقين بعد يقين.

وقد نفى الشك عن إبراهيم بقوله: "نَحْنُ أَحْقَ بِالشَّكَّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ"، أي أنه مجزه عنه كتنزيه النبي عليه شره.

وأما قول الخليل عن الشمس والقمر أنها ربه؛ فكان من باب تبكيت الخصم وإقامة الحجة عليهم، فقد يقول المجادل ما لا يعتقده في إقامة الحجة والبرهان على مجادله ومناظره، قال الرازي: "هذة المباحثة إنها جرت مع قومه لأجل أن (1) أخرجه البخاري ح (3276)، ومسلم ح (151)."
يرشدهم إلى الإيان والتوحيد، لا لأجل أن يراهم كأن يطلب الدين والمعرفة لنفسه".

وقوله عليه السلام عن الشمس والقمر والكوكب: "هَذَا رَبِّي" إنها هو نوع من التدرج في إبطال ربوتيتها بدليل قوله تعالى في السياق: "وَّلَمْ يَهْجَبْنَهَا آتِيَتِاهَا إِلَىَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ عَلَىٰ قُوُّمِهِ " (الأع纲: 82).

وقد ذكر الرازي وجوهاً في توجيه قوله إبراهيم عليه السلام منها " أنه أراد أن يبطل قوهم بربوتي الكواكب، إلا أنه عليه السلام كان قد تعرف من تقليدهم لأسلافهم ويعود طباعهم عن قول الدلائل؛ أنه لو صرح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلو ولم يلتقو إليه، فقال إلى طريق به يستدرجهم إلى استتا hustle، وذلك بأن ذكر كلما يومه كونه مساعدًا لهم على مذهبهم بربوتي الكواكب، مع أن قلبه صلوات الله عليه كان مطمئنًا بالإيان، ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطال وإفساده وأن يقبلوا قوله، وقدم التقرير أنه لما لم يجد إلى الدعوة طريقًا سوى هذا الطريق، وكان عليه السلام مأمورًا بالدعوة إلى الله كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر".

وقال ابن تيمية: "قاله على سبيل التقرير، لتقريع قوته أو على سبيل الاستدلال والترقيق"، وقال ابن القيم: "قيل: إنها وعلى وجه إقامة الحجة على قوته، فتصور بصورة الموفق ليكون أدعى إلى القبول، ثم توصل بصورة الموافقة إلى إعلانهم بأنه لا يجوز أن يكون المبود ناصصًا أفضًا"، فكل أحد يعلم أن الشمس ستعجب آخر النهار وكذلك الكوكب، وقوله: "فأقيَّ إنا أقَلٌ قَالَ لا أُجْبُ".

(1) التفسير الكبير، الرازي (13) (40 - 41).
(2) دقائق التفسير، ابن تيمية (11) (2).
(3) مدارج السالكين، ابن القيم (61) (3).
الآلفيات (الأعاصيم: 76)، ليس لطروء علم جديد على إبراهيم، بل لتبكيت المشركين عبادة الشمس والكواكب بعد ظهور الموافقة على سبيل الجدل والتنزل مع المخالف.

والعودة الفاحصة للآيات تكشف لكل حصيف ما تتضمنه الآيات من تعظيم إبراهيم الله عز وجل دون سواه: ﴿فَلَا رَأَى الْقُمَّرِ بَارَعًا قَالَ هَذَا رَأْيُ زَينٍ ﷺ ﴿فَلَا رَأَى اللَّهُ السَّمَّاَمَ بَارَعًا ﴿قَالَ هَذَا رَأْيُ زَينٍ ﷺ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَا رَأَيْتُم مِّنْ أَدْكَوْنَ يَنَّى الْقُوَّمِ الصَّالِحِينَ 

ثالثًا: هل شُكِّ يُونس عليه السلام بِقِدرة الله؟

قالوا: القرآن يُتهم النبي يُونس بأنه شُكِّ بِقِدرة الله، وهذا كفر، فحين

أرسِل الله إلى أهل نينوى لم يذهب إليهم، وذهب إلى البحر ﴿وَذَا النَّمٍّ إِذْ دَهْبَ ﴿مَعَاضِبًا نُفَظَّ أنَّ ُلْتُنَدِّي عَلى قَنَادِي فِي الْظُّلَمَاتِ أَنَّ لَآ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبُحَانَكِ إِيَّكَ ﴿كُنْتَ مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾ (الأبيه: 87).

والجواب: أن القارئ لم يجد كتابًا عند أمة من الأمم يعظم الأنبياء كما عظمهم القرآن الكريم، فهو الكتاب الوحيد الذي ينذه الأنبياء عن الكبائر والنقائص، فضلاً عن الكفر والشرك بالله تعالى.
وقد فضل الله يوشع مع إخوته الأنبياء على العالمين: ﴿وَإِنْ شَاءَ عَلَى الْيَسِيرَ وَالْيَسِيرَ﴾ (الأنعام: 86).

والإنساقي: أي القائل لهذه الشهبة من سوء فهمه للآية، ليس مقصوده أن يوشع وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكَلَا فَضَّلَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿(الأنعام: 86)﴾.

وإنها أي القائل لهذه الشبهة من سوء فهمه للآية، ليس مقصوده أن يوشع وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكَلَا فَضَّلَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿(الأنعام: 86)﴾.

وقد كنما قُدرَ عليه رَزْقُهُ قَلْيَنَفِقَ مِمَّا آتَاهُ الرَّحْمَنُ ﴿(الطلاق: 7)﴾ أي ضَيِّقَ عليه، وعَلَى مَعْنَاهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَفَّاتَهُ بَيْتَاهُ ﴿(الرعد: 26)﴾، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس ﴿(وَعَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْبَاقِينِ)﴾.

وحفظةً على منزلة يوشع بن متي في قلوب المؤمنين نهى النبي ﴿(لا يُنفِّذ نَفْهَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿(يوسف: 71)﴾.

وقد كنما قُدرَ عليه رَزْقُهُ قَلْيَنَفِقَ مِمَّا آتَاهُ الرَّحْمَنُ ﴿(الطلاق: 7)﴾ أي ضَيِّقَ عليه، وعَلَى مَعْنَاهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَفَّاتَهُ بَيْتَاهُ ﴿(الرعد: 26)﴾، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس ﴿(وَعَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْبَاقِينِ)﴾.

وقد كنما قُدرَ عليه رَزْقُهُ قَلْيَنَفِقَ مِمَّا آتَاهُ الرَّحْمَنُ ﴿(الطلاق: 7)﴾ أي ضَيِّقَ عليه، وعَلَى مَعْنَاهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَفَّاتَهُ بَيْتَاهُ ﴿(الرعد: 26)﴾، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس ﴿(وَعَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْبَاقِينِ)﴾.

قالوا: نسَب القرآن إلى الصديق يوسف عليه السلام الهَمَّ في الخطيئة مع زوجة العزيز ﴿ثُمَّ كَفَّتْ بِهِ وَهُمْ نَفَى لَوْلَا أَن رَأَى بُرْزَحَانَ زُبَيْبَةَ﴾ (يوسف: 24).

قالوا: تمتلكي كتب التفسير بصور مشابهة لهذا الهَمَّ الغافل الذي لا يليق بنبي كريم.

والجواب: لو قرأ الطاعون في القرآن تمام الآية المستشكلة لأدركوا منزلة يوشع الصديق وعاصمة الله إياه من الذنب ﴿ثُمَّ كَفَّتْ بِهِ وَهُمْ نَفَى لَوْلَا أَن رَأَا بُرْزَحَانَ زُبَيْبَةَ كَذَلِكَ لِيَتَسَرَّفَ عَنْهَا السُّوءَ وَالْخَلْسَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ﴾.

(1) انظر: تأمل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (108).
(2) أخرجه البخاري ج (3396) ح (460).
(3) أخرجه البخاري ج (460).
وقد شهدت امرأة العزيز له بالخيرية والعصمة بقلمها: (وَلَقَدْ رَوِيَّتْ عَنْ نَفْسِهِ)

فَأَصْفَعَضَمْ وَلَا يُفْعَلُ مَا آتِهِ لِسُجَنُنَّ وَلَيْكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ (يوسف: 32).

ولكن هُمنَّت امرأة العزيز بالفاحشة؛ فإن يوسف عليه السلام لم يقع منه الهدٍ أصلاً، ولهذا منطوق الآية لمن فهم لغة العرب وطرائقهم في البيان، فالآية تثبت لأمرأة العزيز الهمّ (وَلَقَدْ هُنِئَتْ بِهِ)، لكنها تنفي الهمّ بالمعصية عن الصديق يوسف (وَلَمْ يُتْبَعْ مِنْهَا أَلْوَانَ بَرْكَانٍ رَيْقَةٍ) (ولولا) عند العرب تفيد امتناعًا لوجوده، أي لم يحصل الفعل لوجود ما منعه، فلم يتحقق الهمّ بالخطيئة لأنه رأى برهان ربه.

قال أبو حاتم: " كنت أقرأ على أبي عبيدة غريب القرآن، فإنها أُتيت على (وَلَقَدْ هُنِئَتْ بِهِ وَلَا يُتْبَعْ مِنْهَا) قال: هذا على التقدم والتأخير، كأنه قال: ولقد هنئت به، ولولا أن رأى برهان ربه همها".

ومثله في قول الله تعالى عن أم موسى: (إِنّ كَانَتْ لْيُبْدِي يَدَّ لَوْلَا أَنْ رَبِّي فِى عَلَى قُلْبِهَا) (القصص: 10)، فهي لم تبدها بحقيقته أمومتها لموسى؛ لأن الله ربط على قلبهها، وكذلك لم يهم يوسف بالمعصية لأنه رأى برهان ربه.

ومثله أيضاً في قول الله تعالى: (وَلَوْلَا أَنْ بُنِيَّاَلَ لْقِدْ كَتَبَ تَرْكُنَّ إِلَيْهِمْ) (الإسراء: 47)، فالكون لم يقع منه لوجود التثبت من الله، وكذلك الهم لم يقع من يوسف عليه السلام لوجود برهان الله أي تثبته وعصمته.

ومثله في كلام الناس معروف: لقد رستت لولا أن درست، فهو يفيد - في ذهن السامع - النجاح لا الرسوبي، وأن ذلك سبب الدراسة.

قال أبو حيان: "الذي أختاره: أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همٍّ بها".

الإبن: (1) فتح القدير، الشوكياني (۲۶/۲۶).
ابن الدعوة المبطلين

الابن بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمت الله.. ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة، وبراءة يسوع عليه السلام من كل ما يشين

ثم لو فرضنا وقوع اسم الله بالباحشة من الصديق يوسف؛ فإن اسمه في لغة العرب حديث النفس بموافقة أمر، فإن كان اسم في آخر حسن فهو حسن، وإن كان في آخر سوء لم يكن سوءا إلا بترقي اسم للإله أو الفعل (")، وإلا كان تركه الله سببا في اكتساب الحسنات والمنزلة عند الله، يقول النبي ﷺ فيها يومه عن ربه:

«يقول الله: إذا أراد عبد أن يعمل سنة فلا تكتبوها عليه»; حتى يعملها، فإن عملها فاكتبها بملحها، وإن تركها من أجل فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف"، فلو وقوع هم بالسوء من يوسف فهو له حسنة، لأنه لم يترق إلى فعل، فقد تركه الله وофاؤه منه» (وإن تركها من أجل فاكتبوها له حسنة».

(1) الباحث المحيط، أبو حيان الأندلسسي (5/294-95)، ونظر دراسات لأصول القرن.

(2) الفعل على ست مراتب (الخاطر ثم الهاجس ثم حديث النفس ثم اسم ثم العزم ثم الفعل)، فأما الخاطر والهاجس والحديث النفس فلا يكتوبون على العبود لا في الخير ولا في الشر، كما قال:

«إن الله تجاوز لأشياء ما حدثت به أنفسها ما لم يكلموا أو يعملوا» أخرجه مسلم ح.

(3) وأما اسم فلا يكتب في الشر بمجرد اسم، ويدب خيراً إن اسم العبود بأمر الخير أو تركهم السوء، وأما العزم فيكتب بالخير والشر؛ ولو لم يقع الفعل لعزم القلب عليه، ومنه قول النبي ﷺ: "إذا النقي المسلمان يبينيها فالقاتل والمحتسول في النار"؛ فقالت [أي أبو بكرا راوي الحديث]: يا رسول الله هذا القاتل فإ بالي المقتول ؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه.

(4) أخرجه البخاري ح (7501)، ومسلم ح (129)، واللفظ للبخاري.
وأخيراً فإن ما ورد في بعض كتب التفسير من أقوال في هم يوسف لم يصح منه شيء عن النبي  وهي ومتلكها من الإسرائيليات كثير في كتبهم التي لم تحتل من أساطير أهل الكتاب وحكاياتهم؛ الغث منها والسمين، ورحم الله أبا حيان الأندلس، فقد أصاب وأجاد في قوله: "طول المسجون في تفسير هذين المحمدين، ونسبة بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لأحاد الفساق.. وأما أقوال السلف فتعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة ينافض بعضها بعضاً، مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين، فضلاً عن المقطع لهم بالعصمة.. وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير ما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب ومساق الآيات".

وأما الشيخ ابن تيمية، فرى أن هذه القصص المكتوبة المروية في كتب المسلمين من مرويات وقصص أهل الكتاب "وما ينقل من أنه حل سراوته وجلس مجلس الرجل من المرأة، وأنه رأى صورة يعقوب عاطفاً على يده وأمثال ذلك، فهو ما لم يخبر الله به ولا رسوله، وما لم يكن كذلك فإنها هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذباً على الأنباء، وقدحاً فيهم، وكل من نقله من المسلمين فعنهم نقله، لم ينقل من ذلك أحد عن نبينا عليه حرفًا واحدًا".

وهكذا يستتبع لكل منصف براءة القرآن من المعاني الباطلة التي حاكمها الأفكون بجهلهم أو بتعاميهم عن معاني الآيات القرآنية التي تعتبر هؤلاء الأنباء خيره الله في أمره، كيف لا! وهم رسل الله الأطهار  وإمهم عندها من المضطضفين الآخرين  (ص: 47).

***

(1) البحر المحيط، أبو حيان الأندلس (594-1595).
(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (1297/1997).
الأباطيل المتعلقة بشخص النبي ﷺ

أولاً: قصة الغرانيق

قالوا: النبي ﷺ يعرض له الشيطان كما يعرض لغيره من الناس، فيخلط عليه القرآن بغيره، واستدلوا بهذه الفريدة بقصة الغرانيق التي أوردها المفسرون في سياق تفسيرهم لقوله تعالى: "وَمَا أُرْسِلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلَا نَبِيٌّ إِلَّا إِذَا تَمَّتْ أَلْقَى الْشَّيَاطِينُ فِي أَمْيَالِهِ فَيَسَّحِرُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيَاطِينُ إِلَّا مَا يَجِدُوهُُّ (الحج: 40).

والقصة - كا ذكرها المفسرون - تلخص في أن النبي ﷺ كان في مجلس قريب، فنزلت عليه سورة النجم، فقرأها على المشركون حتى إذا بلغ قوله تعالى: "أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَلَعْزِيْزَ ﻣَنَّا الْقَابِلَةَ الأُخْرَى؟" (النجم: 19-20)، فألقى الشيطان على لسانه: (تلك الغرانيق العلية، وإن شفاعته لترجى).

ففرح قريش، وسجدوا مع النبي ﷺ في آخرها، وقالوا: لقد ذكر محمد ﷺ آهتنا بأحسن الذكر."

الجواب: أول ما يجدر التنبه عليه أن ورود هذه الروايات في كتب المفسرين أو قضاس السير لا يعني صحتها ولا توقيها بحال من الأحوال، وقد نبه على ذلك غير واحد من العلماء، ومنهم الطبري في تاريخه بقوله: "ما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض المذاهن مما يستنكره قارئه، أو يستشهده سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجوهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلي، وإنها أثر من أثر بعض ناهلي إليه، وأنا إنها أدينني ذلك.

(1) انظر: جامع البيان، الطبري (18/664-670).
تنزية القرآن الكريم
على نحو ما أدي إليك" 1، ومثله قول الكيالي ابن الهيثم: "كتاب التفسير مشحونة بالأخبار الموضوعة" 2.
ومن أورد هذه القصة ابن إسحاق في سيرته، مع اعترافه ببطلانها، وعنه تقلها من نقل، يقول أبو حيان: "سئل عنها الإمام محمد بن إسحاق جامع السيرة النبوية، فقال: هذا من وضع الزندقة، وصنف في ذلك كتابا" 3، فإيراده رحمه الله هذه الروايات في كتابه ليس توقيعاً لها، بل هو على عادة قصاص السير في ترك التحري في أخبار السير وقصصها.
إن قصة الغرانيق من أضعف ما رواه المفسرون في تفاسيرهم، فجميع أسانيدها ضعيفة أو منقطع، وهي في جملها موقوفة على جامعة من التابعين الذين لم يشهدوا القصة، ولم يروها عمن حضرها من الصحابة، فهي موقوفة على التابعين سعيد بن جبير وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وأبي العالية.
ولم تصل أسانيده هذه القصة إلى الصحابة إلا فيها رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس 4، وما رواه البزار من طريق أمية بن خالد بإسناده إلى ابن
(1) تاريخ الأمم والملك، الطربي (1/2).
(2) فيض القدر، الشوكان (1/17).
(3) البحر المحيط، أبو حيان (1/52).
(4) وفيه هشام الكلبي، وهو كذاب مردود الرواية، قال البخاري: "أبو النضر الكلبي، تركه يحيى وابن مهدي"، ثم قال: "قال علي: حدثنا يحيى، عن سفيان، قال في الكلبي: كل ما حدثنا عن أبي صالح فهو كذب.
وقال ابن عدي: "وقد حدث عن الكلبي سفيان وشعبة وجماعة، ورضوه في التفسير، وأما في الحديث فعنده مناكر، وخاصة إذا روى عن أبي صالح، عن ابن عباس". انظر ميزان الاعتدال، الذهبي (3/57-558)، وهذا الأثر ما أخرجه الكلبي عن أبي صالح، فهو بعض ما اعترف الكلبي بكمية فيه.
عن دعاوى المبطلين

عباس مع تبيهبه إلى شك الراوي في رفعها إلى ابن عباس، فقال: "عن ابن عباس فيها أحسب"، وهذا كأ قال البارز: "هذا الحديث لا تعلمه نروي عن النبي بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير". فهذا يؤكد الشك في الرواية المرفوعة المسندة بإسناد مقبول.

ويجدر بالذكر أن البخاري ذكر في صحيحه من رواية ابن عباس قصة سجود المشركون ولم يذكر شيئاً عن موضوع الغزائي، ومثله في رواية أبي داود عن ابن مسعود، وكذلك رواية أحمد عن الطلب بن أبي وداعة السهمي، وكان ممن حضر يومئذ للمشركين.

وقد رد المحققون من أهل العلم قصة الغزائي، وبالغوا في التحذير من روايته وبيان ضعفها، فقال ابن كثير: "لم أرها مسندة من وجه صحيح"، وقال:

"وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا، وكلها مشكلات ومنطقان".

وقال ابن خزيمة: "إلا من وضع الزنادقة".

وقال أبو حيان الأندلسي: "قال البيهقي: هي غير ثابتة من جهة النقل، وقال ما معناه: إن روایاتهم مطعون عليهم وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثية شيء ما ذكروه فوجب اطرافه. ولذلك نزعت كتابي عن ذكره فيه".

وأما القرطبي فقال: "وضع الحديث مغْنِ عن كل تأويل".

(1) نصب المجزيء لنسف قصة الغزائي، الألباني، ص (56).
(2) في البخاري من رواية ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سجَّد بالنجم، وسجَّد معاً المسلمون والمشركون والجن والإنس. أخرجه البخاري ح (1071).
(3) انظر: سنن أبي داود ح (1406)، ومساند أحمد ح (2672).
وذلك ضعفها ابن حزم بقوله: "والحديث الذي فيه: وإنهم الغارانيق العليا، وإن شفاعتهم لترشي. فكذب بحت لم يصلح من طريق التقل، ولا معنى للاشتهال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد".

وقال القاضي عياض: "هذا الحديث لم يخرج له أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنها أولع ب ويمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلفون من الصحف كل صحيح وسقيم".

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، الفرعي (14/484)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (3/318/3)، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة (314/3)، ونصب المجانين لإيطال قصة الغارانيق، محمد ناصر الدين الألباني، ص (44-45)، والبحر المحيط، أبو حيان (3/352/6).

(2) الشفاعة بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (2/125)، وقد قلت ابن حجر روايات الغارانيق رغم اعتزازه بأن أسانيدها مرسلة، واحتاج لتحسينه بعدد خارجها، لكنه مع ذلك لا يقول بها يقول بها المرجوان بهذه القصة من نطق النبي ﷺ، بل بدأوها على أن الشيطان كان يتكلم بين سكان النبي ﷺ، واستدل لذلك بما جاء في رواية ابن أي حام من مباني المشركين لهذه الكلمات وعدم ساع السلمين لها فأما المسلمون فعجلوا للسجود المشركين معهم على غير إيان ولا القين، ولم يكن المسلمون سمعوا الآية التي ألقى الشيطان في مسامع المشركين. انظر: فتح الباري، ابن حجر (439/8)، وتفسير ابن أي حام (8/1506).

وقد رد العلامه الألباني تخمين ابن حجر هذه الروايات واعتبرها من أوهامه رحمه الله. انظر: نصب المجانيق لنفس قصة الغارانيق، الألباني، ص (37).

وقد فهم ابن حجر من قوله تعالى: "فأذهب قبلهم لا بري"، أنه بمعنى: عند تلاوته، أي ألقى الشيطان في مساعي الكفار تلك الكلمات عند تلاوته النبي ﷺ، وفي سكانه، وهذا تعلمه لغة العرب، لأن (18) فتى من عمراً رحمه ﷺ، "أي لبث عندنا.

وإلى هذا أشار القروي ورتبه: "على تسليم الحديث لو صح، وقد أذننا الله من صحته... الذي يظهر ويتربع في تأويله على تسميته [أي إذا سلمنا بصحة الرواية، وليس بصحة] أن النبي
قال الرازي: "وأما أهل التحقاق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة وموضوعة، واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمقول".

وإضافة إلى الضعف الذي يكتنف سند القصة; فإن في متونها من التناقض والخلل ما يكفّي لردّها وإبطال الشبهة المثارة من خللالا، ومن ذلك:

1- ما نبه العلماء عليه من تعارض روايات قصة الغرانيق الضعيفة وغير المتصلة بالإسناد إلى من حضر الواقعة، يقول القاضي بكر بن العلاء المالكي: "لقد بُلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك المحدودون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلياته، فقال: إنه في الصلاة، وآخر يقول: قلها في نادي قومه حين أُنزلت عليه السورة، وآخر يقول قافاها وقد أصابته سنة، وآخر يقول: بل حدث نفسه فيها، وآخر يقول: إن الشيطان قافها على لسانه، وأن النبي لم يُعرضا على جبريل قال: ما هكذا أفرأتك، وآخر يقول: بل أعلمهم الشيطان أن النبي قرأها، فإنا بلغ النبِي ذلك قال: والله ما هكذا نزلت، إلى غير ذلك من اختلاف الرواية".

قال الباقلاني: "و هذا الخبر من أخبار الآحاد، مضطرب الرواية، خالف

كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلًا، ويفصل الأي تفصيلاً في قراءته، كا أخرجته الثقات عنه، فكما ترصد الشيطان تلك السكتات ودسه فيها ما اختلته من تلك الكلمات، حاكباً نعمة النبي؛ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظفوه من قول النبي وأشاعوها، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله، وتحقيقهم من حال النبي في ذم الأوثان وعيبه ما عرف منه، فيكون ما روي من حزن النبي لهذه الإشاعة والشبهة وبسبب هذه الفتنة. الجامع لأحكام القرآن، الفارابي (1/3/83).

(1) التفسير الكبير، الرازي (2/12/50).

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (2/125).
تنزيه القرآن الكريم

الألفاظ(1)

1- أن العرب لا تطلق كلمة (الغرانق) على الأصنام، بل هو اسم لطائر

فما مائي أبيض أو أسود، وفي ذلك يقول الأصمعي:

بيطل تغنيه الغرانق فقهه آباء وغفل فقهه متاصر(2)

ومثله قول ابن السكيت: الغرانق: طير مثل الكركك، الواحد غرقوق، وأنشد:

أو طعم غاذية في جوف ذي جذب من ساكن الزَّيْج في الغرانق(3)

ومن معاني الغرانق المذكورة في قواميس العرب: الشاب الأبيض الناعم،

ومنه قول الليث:

ألا وإن تطلاءي لملك رَّلاً وقد فات ربعان الشاب الغرانق

كما يطلق في لغة العرب أيضاً على النبات اللين(4).

ولا تشابه بين سائر هذه المعاني العربية والأصام، وغاية ما وجدته في هذا

الرصد ما نقله الزبيدي بصيغة التمريد والتضعيف، وهو قوله: "وقيل هو

الكركك، شبهت الأصنام بالطيور التي تعلو وترتفع في السماة على حسب

زعمهم"(5).

ونقل المفسرون عن الحسن أن المعصود بالغرانق العلي، الملائكة المرتفعة في

السماء، وهؤلاء تربعين شفاعتهم، إذ هم من أذن الله لهم في الشفاعة، كما جاء في

السياق القرآني في سورة النجم في قوله تعالى: "وكم من ملك في السماوات لا

تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله من يشاء ويرضى" (النجم: 26).

(1) نكت الانتصار لنقل القرآن، الباقلاني، ص (38).
(2) المحكمة والمحيط الأعظم، ابن سيده الأندلسي (6/72-73).
(3) تهذيب اللغة، أبو منصور الأعرافي (8/224).
(4) لسان العرب، ابن منظور (10/1886)، وتاج العروس، الزبيدي (7/35)، وانظر: السيرة

النبوية، أبو شهبة (1/367-368).
(5) تاج العروس، الزبيدي (7/235).
عن دعاوى المبطلين

3- أن السياق القرآني في سورة النجم التي ذكرها أن هذه الكلمات ألقيت على النبي ﷺ فيها يندد بأصنام المشركين ومعبدتهم "أَفَرَاىَمُ اللَّاتُ وَالْمَعْرِيَّةُ وَمَنْتَآءُ الْخَايَرَةُ الْأُخْرَىُ أَلْكُمُ الْذَّكَرُ وَلَكُمُ الْأُنثَىُ بَلِّكَ إِذَا قَسَّمَهُمْ ضِيُّرَيْكَ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسَاطِيرُ سُبُهُمْ وَأَنْتُمْ وَأَيَاكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ بَعْوَانَ إِلَّا الظَّنُّ وَمَا نَهْوُى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءُهُمْ مِنْ رَزْقِهِمْ الْهَدٰيٌّ (النجم: 19-22)، فلو كان النبي ﷺ نطق بتلك الكلمات فإن في السياق ما بين براءته من الأصنام وكفره بها، فلو كان المشركين سمعوا من النبي ﷺ مدحًا لأصنامهم وهو يقرأ آيات سورة النجم المشنعة على هذه المعبدات الباطلة لقالوا له: ما بالك تشتم آمنًا وتذكر أنها معبدات باطلة نعدها نحن وأباّنا من غير سلطان من الله، ثم أنت تقول: شفاعة تجاه ما تقول! لكن شيئاً من ذلك لم يكن، لأن القصة مختلفة وغير صحيحة.

يقول ابن كثير: "استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان كا روي لكان بعيد الالتباس، منتقد الأقسام، ممترح الدحي بالدم، متخاذل التأليف والنظم، ولمّا كان النبي ﷺ ولا من بحضوره من المسلمين وصناديق المشركين من يخفى عليه ذلك، وهذا لا يخفى على أدنى مثالي، فكيف بمن رجح حلمه، وانسج في باب البيان ومعرفة صيح الكلام علمه".

4- لا علاقة بين أسطورة الغزلي덕 الملكية وآيات سورة الحج المدنية، والتي ورد فيها قول الله تعالى: "وَمَا أَرْسُلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا أَمَّنَّ عَلَىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمَّيَّةٍ فَيَسْتَحْفَى اللهُ مَا يَلْبِقُ الشَّيْطَانُ ثُمَّ يَجْعَلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمًا (الحج: 52)", فقد ربط بينها من وصفهم القاضي عياض بأنهم "المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب المتعلق من الصحف كل صحيح وسقيم".

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (144/3).
(2) الشفا بتاريح حقوق المصطفي، القاضي عياض (125/1).
ولو أغمضنا النظر عن مدنية سورة الحج ومبادئها للأسلوبة المكية، فإن في عالم آيات سورة الحج ما يرد على القادحين بوضوح القرآن، ففي تمام الآية السابقة أن الله يحفظ آياته ويحكمها؛ وأنه يبطل عنها ما يلقموه الشيطان ففي refugees (الحج 11:54)، فإحجام الله لأيامه يزول كل لبس وتنجي كل شبهة إلا عند أصحاب القلوب المريضة الذين تصور الآيات افتظامها بهذا الذي ألقاه الشيطان وأبطله الله لم يجعل ما يلقى الشيطان إلهام في قلوبهم، مرض أو قاسياد قلوبهم وإن الظالمين ليسوا سقفاً بعبد وليعلمه الذين أوثوا العلم أن الحج من ربيق فقوم به فتخيب له قلوبهم وإن الله هدا الذين أمنوا إلى صراط مستقيم ((الحج 13:55-56)).

5 - تعارض روايات الغزائي مع عصمة الله أنيباه عليه السلام من تسلط الشيطان عليهم وتخلط باطله بالحوي المنزل إليهم، فله الله ثبت أنيباه عليه السلام ويععنهم ما يعرض لغيرهم من عوارض الضعف البشري الذي يجل بمنصب النبوة والرسالة، ومن مثل ذلك قول الله تعالى لنبيه: «وإن كادوا يخفونك على الذي أوحيناه إليك ليتفكّر في عليكم غيرة وإذا استذآرك خليلا»، إذا لذا فستكون ضعف الحياة وضعف البشر لبَّبعن ذلك كله عليكم نصيراً (السر 2:75-76)، فثبتت الله تعالى له نفية المكارية والمل إلى الكافرين.

وقد امتنت الله على نبيه على هذه العصمة الإلهية، فهي بعض فضل الله عليه ولولا فضل الله علئكم ورضيتمه مثات طائفة منهم أن يفضلوا وهم يفضلون إلا أنفسهم وما يضر ونلك من شيء وأنزل الله عليهم الكتب والحكمة وعلمتكم ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليكم عظيماً (النساء: 11).

يقول ابن كثير: "فاقت الحجة وأجعفت الأمة على عصمتها ونزاها عن مثل هذه الذيلة، أما من عنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مجم آلهة غير الله وهو
عن دعاوى المبطلين

كفر أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي ﷺ أن من القرآن ما ليس منه حتى يذهب جبريل عليه السلام، وذلك كله متعت نى في حقه ﷺ، أي يقول ذلك النبي ﷺ من قبل نفسه عمداً - وذلك كفر - أو سهواً، وهو معصومً من هذا كله"(1).

وتمة سؤال يطرح نفسه: إذا بطلت قصة الغرائين وظهر خطأ المعنى الذي تداوله المفسرون فإلى معنى الآية التي في سورة الحج ﷺ وَأَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تمَّ الْأَلْقَى لِلسَّيِّئِ مُجَّكَّمُ اللَّهِ آيَاهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (الحج: 52).

وفي الإجابة يقول: إن معنى الآية يدور على فهم معنى قوله تعالى: "إذا تمَّ"(2)، وقد ذكر جهور المفسرين أنه بمعنى (قرأ) أو (تلا)، وهذا التأول للتمياني بمعنى التلاوة جائز من الناحية اللغوية، ويتناول مع روايات الغرائين الضعيفة التي أوردوها في كتبهم، وقد يشهد له قوله: "ثمَّ جَعَلَهُ اللَّهُ آيَاهُ"(3).

لكن المعنى الذي اختاره جماعة من المحققين أن قوله: "إذا تمَّ" على ظاهره، من الأمنية كما ذهب إليه الفراء والكسائي وغيرهما"(4).

قال الرازي بعد أن ذكر ارتباط معنى التمثيلي بالتلاوة بسبب روايات الغرائين الباطلة: "وأما إذا فسرناها [أي قوله: "إذا تمَّ"] بالباطل وتمثيمي القلب؛ فامعة أن النبي ﷺ متى تمَّ بعض ما يمتحن من الأمور؛ يوسوس الشيطان إليه بالباطل ويدعوه إلى ما لا ينبغي؛ ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويطلبه ويهديه إلى ترك الالتفات إلى وسوسته"(5).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1444/32).
(2) انظر: فتح القدير، الشوكاني (660/7).
(3) التفسير الكبير، الرازي (23/52).
ثانياً: سحزا النبي
قالوا: تعرض النبي [ع] للسحر، وهذا يلقي بظلال الشك على ما أتى به من أخبار، إذ قد يكون بعض ما يقرأه على أنه من القرآن إنها هو من تأثير السحر، وهذا يوجب الشك في كل القرآن.
قالوا: إن سحزا النبي يدل على تسلط الشيطان عليه، وهذا يقذح في أهليه الرسول لحمل الرسالة الإلهية، فالقرآن يجزم أن الشيطان لا يسلط إلا على أوليائه: ۚ إِنَّهُ لَسَّنَانَ لَهُ سَلَطَانٌ عَلَى الْذِّينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يُؤْكَلُونَ ۚ إِنَّهَا سَلَطَانَهُ عَلَى الْذِّينَ يُؤْكَلُونَ وَالْذِّينَ هُمْ مُشْرِكُونَ (النحل: 99-100).
وفي الجواب نقول: إن الأنيبياء بشر، يعرض لهم ما يعرض لسائر البشر من مرضاً وحرضاً وغضب وإبلاء وقتل، ولا يمتازون عنهم إلا باختيهم الله من الوحي وما يستلزم ذلك من تأيد بالحجة والبرهان: ۚ فَلَيْنَ أَنَا بَشَّرُ مُثَلَّكُم ۚ يُوحِي إِلَىٰكَ (فصلت: 6).
وكذلك جعلت بيني عدوى شياطين الإنس والجنة وخرجت القول غروراً وله شاء زبكت، ما فعلوه فصدِّرهم وما يفرعون (الأعاسيم: 111)، لكن هذا التسلط الشيطاني لم يتجاوز أجسادهم، ولم يصل - لعصمته الله لهم - إلى أرواحهم؛ لأنهم أولياء الله تبارك وتعالى صدق فيه قوله تعالى: ۚ إِنَّ عِبَادِي لَيَسُّ لَكُمْ سَلَطَانٌ إلَّا مِنَ الْغَاوِينِ (الحجر: 24)، فليس يقع منهم كبير ذنب ولا قيحة، لأنهم رسول الله، والرسول على قدر المرسل.
ووفق هذا المبدأ يرفض المسلمون ما تطفح به كتب أهل الكتاب من اتهام الأنيبياء بالزناء أو السكر أو عبادة الأصنام، فإذا كله إنها يقع بتسلط الشيطان، وهم معصومون منه بقوة الله وحفظه.
وعندما كان النبي ﷺ، فلم يتسلط شيطان عليه، ولم تقع منه القبائح قبل السحر ولا بعده، وغاب عنه الأمر في حادثة سحره أن الشيطان آذاه في جسده، كما تؤذيه - وإخوانه الأنيء - شياطين الإنسان، بل والجراثيم، فيصاب بالأمراض والأذى وغيرها من العوارض التي لا يسلم منها بشيء، لكن ذلك لا يغلب - بحال من الأحوال - بأهميته للرسالة وعصمته عن الخطأ في البلاغ عن الله، فما ينقله النبي ﷺ عن ربه ﷺ (وما استطاع عن الهوى ﷺ إن هو إلا وحي لله ﷺ) (النجم: 3-4).

وقد كان عبد الله بن عمر يكتب كل شيء يسمعه من رسول الله ﷺ ليحفظه، فلهته قريش، وقالوا: أكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضي، يقول عبد الله: فآمسيت عن الكتاب، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فأؤمن بأصبعه إلى فيه فقال: "أكتب، فإن الذي نسيه يحتج منه إلا حقًّاً، فهو معصوم في كل أحواله من الزلل والغفلات.

والمصرح أنه فعل شيئاً من غير أن يكون قد فعله حقيقة، كما رفع لوسي عليه السلام حين ألقى سحرة فرعون حباهم وعصيهم، فاذا جباهما وعصيهم جلب إليهم من سحراً أننا تشغى (طه: 16).

وقد هذا النوع من السحر هو ما أصاب النبي ﷺ حين سحر، وقد انحصر آثره في علاقة النبي ﷺ الجسدية مع أزواجه، فكان يخيل إليه أن يجمع نساءه من غير أن يكون ذلك حقيقة، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (مكح النبي ﷺ كما وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله، ولا يأتي) (1). قال القاضي عياض: "فظهر بهذا أن السحر إذا تسلط على جسده وظواهر جواهره؛ لا على تابعه ومعتقده" (2).

(1) آخر جه أبو داود (1364هـ).
(2) آخر جه البخاري (3268هـ).
(3) نزف الباري، ابن حجر (176/227)، وانظر: الشفه تعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (176/2).
وينبغي أن ندرك أن التوبة هي أسوأ ما يمكن للإنسان أن يفعله من ذنب الخاطر الذي يخطر على يد القلب ولا يتبث.

وقد اعتبرت الملائكة ما أصاب النبي ﷺ من السحر من جنس السحر الذي يصيب الأنياب وغيرهم، فقال: "أحدهما للأخر: ما وقع الرجل؟" فأعتبراه مريضاً، وكذلك اعتبره النبي ﷺ، فقد قال في آخر الحديث: "فأما أنا فقد شفاني الله"، وفي رواية: "إن الله أثبت بمرضي"، وكذلك ورد في حديث عائشة فوفقها: (فكان يدور ولا يدري ما وقعه)ه، وقال ابن عباس: (مرض النبي ﷺ، وأخذ عن النساء والطعام والشراب).


---

(1) انظر: فتح الباري، ابن حجر (10/126).
(2) أخرجه البخاري ح (268).
(3) أخرجه البخاري، ابن حجر (10/227-228).
(5) انظر: فتح الباري، ابن حجر (10/227)، ولأجل ذلك أورد البيهقي قصة سحر النبي ﷺ في كتاب "دلائل النبوة".
(6) أخرجه ابن سعد في الطبقات ح (2/198)، وهو مرسى.
ثالثاً: هل النبي مصاب بالصرع؟
 قالوا: النبي مصاب بالصرع، وهذا الذي يأتيه في وحيه إنها هو بعض آثار هذا المرض، واحتجوا لذلك، يا كان يراك نبي من أحوال غير معتادةً، وقعت له بسبب نقل الوعي عليه.
 والجواب: لكم يعجب المرء لهذه الأبطولة، فلأنك نكر القوم نبواك.
 أ-CNهم ينكرون أنه غير واقع العرب من قبائل متناورة؛ لاحظ لها بالعلم والمعرفة والمدنية فقوم منهم أمة قادة الحضارة الإنسانية ثانية قرون! أم تراهم ينكرن ما قدموه من إصلاح اجتماعي وأخلاقي جعل المسلمين أفضل الأمم أخلاقاً وأحسنهم أوضاعاً من الناحية الاجتماعية!؟ أفبصغ هذا مريض بالصرع يحتاج من يعينه على تدبر أمره وإصلاح حاجاته الشخصية!؟ (فأنا هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) (النساء: 78).

لقد صدق المستشرق نورمان في شهادته التي تبنى عن عقل ودرية بأحوال الأمم وتطور الشعوب، حيث يقول: "لو كان محمد عزاني منذ طفولته من مرض عفاظ حقاً، لما تغلق على تلك الذريعة أبداً، بل من غير المعقول أن ينجز رجل مريض ما أنجز محمد، فقد كان تاجراً موهوباً هادئ الطبع، وقراراته عادة ما تصدر عن غريزة سياسية ذكية متصرفة... وكان قائداً بعيد النظر للدولة ولمجتمع ديني نام على حد سواء، وهذه كلها تظهر يا لا يدع محالاً للشك أنه كان سليماً معافقاً، والذين يقولون بهذا الكلام لم يحلوا المشكلة بقدر ما زادوها تعقيداً.
 ويجب أن نسارعون الشك مستقبلاً في إمكانية أي ظاهرة خلل في سلوك محمد".

ويقول المستشرق الألماني الطبيب ماكس مایر هوف: "أراد بعضهم أن يرى

(1) انظر: المستشرقون والقرآن، عمر لطفي العالم، ص: (60)، نقلًا عن رسالة الدكتوراه "القرآن الكريم في مواقع الإنترنت العربية دراسة تحليلية تأديبية"، عبد الرحيم الشريف [كتاب إلكتروني].
في محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي أو بداء الصرع، ولكن تاريخ حيائه من أوله إلى آخره، ليس فيه شيء يدل على هذا، كما أن ما قام به فيها بعد سن التشريع والإدارة يناقض هذا القول"\(^1\).

ثم إن الصرع مرّع مروع في أعراضه، كصفرار الوجه، وذهب العقل، وغياب الذاكرة، وارتعاش الجسد، وفقدان السيطرة على الجسم، وغالباً ما يصحبه تقيؤ وإفرازات لعابية، وقد يصبحه تبول لا إرادي، وغير ذلك مما نعرفه من أحوال المصرعون، فهل كان شأنه حثال الوعي كحال المصرعون؟

للوهف على جواب السؤال ومعرفة حقيقة ما يرافق الوعي من أحوال؛

فإذا يمكننا رصد عدة مظاهر:

1- يسمع صوت أزيج بجوار أذنه، ثم ينفصل عنه وقد وعى ما أوحي إليه، يقول "أحياناً باتباعي مثل صلصلة الجرس، وهو أشدنا علي، ففصمني عنى وقد وعيت عنه ما قال"\(^2\)، وقيل عمر بن الخطاب: "كان إذا نزل على رسول الله الوعي هو يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل\(^3\).

2- يسبيبه تعرق شديد حتى في الليلة الباردة، تقول عائشة: (فقلت رأيت رسول الله ينزل عليه الوعي في اليوم الوعي البارد، ففصمني عنه) وإن جبينه ليتفصر عرفاً\(^4\).

3- تغشائه السكينة ويطرق برأسه إلى الأرض، فأما غشيان السكينة عليه فيخبر به زيد بن ثابت بقوله: (إن قاعد إلى جنب النبي يوماً إذ أوحي إليه)\(^5\).

---

\(^1\) انظر: الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب، أحمد بوطامي، ص (62).

\(^2\) آخربه البخاري ح (22).

\(^3\) آخربه البخاري ح (224)، وأحمد ح (173)، وأحمد ح (224).

\(^4\) آخربه البخاري ح (22).
وعشيته السكينة، ووقع فحذه على فخذين حين غشيته السكينة).
وأما إطرائه إلى الأرض ففي قول ابن عباس: (كان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كا وعده الله)، أي وعده الله أن يمكنه في قلبه لا تحرزك به لساتك ليلعجل به إن علني جمعه وتفرأته (القيامة: 16-17)، ويقول عبادة بن الصامت:
(كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي، نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم).

4. يحض وجهه كأنه غضب، ففي حديث عبادة بن الصامت قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك، وتربيد وجهه) أي تغيير لونه، وفي حديث يجليل بن أمية: فإذا النبي صلى الله عليه وسلم حمر وجهه كذلك ساعة، ثم سري عنه).
وأما ذكرت أم المؤمنين عائشة غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه تمعرا ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي).

5. يسمع له غطيط، فإذا سري عنه أخبر بآوحي إليه، يقول يعلن بن أمية: نظرت إليه له غطيط.. فلما سري عنه قال: أين السائل عن العمرة؟ أخلع عنك الجابة، واغسل أثر الخلوق عنك، وأنق الصفرة، وأصنع في عمرتك كما تصنيع في حجك).

6. ينقل وزنه، يقول زيد بن ثابت: (هذا دعاء الله تبارك وتعالى على رسوله)

(1) أخرجه أحمد ح(1185).
(2) أخرجه البخاري ح(4929)، ومسلم ح(448).
(3) أخرجه مسلم ح(2335).
(4) أخرجه مسلم ح(2334).
(5) أخرجه أحمد ح(1748).
(6) أخرجه أحمد ح(24645).
(7) أخرجه البخاري ح(1789)، ومسلم ح(1180).
وتخذ على نحذك، فأتلت علي حتى خفت أن ترض نحذك (1).

وأما أسباء بن يزيد فتقول: (إني لأخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله، فإن كان ليهوي إلى رسول الله وهو على راحلته فتضر بجرانها) (2).

أذ أنزلت عليه المائدة كلهًا; فكادت من ثقلها تدغ بعبد النافقة (3).

وهذه الأحوال المنقولة عن النبي ﷺ هي على خلاف ما نعرفه من أحوال المصريين، وسبيها ثقل الوفي النازل عليه ﷺ: "إذا سلقيت عليك قولاً تقيل» (المزمل: 5)، فالوحي هو حالة فريدة لا يعرفها إلا الأنبياء، والموحي به هو كلام الرب الذي دلل عظمة الركاب.

وهذه الحال لم بتفرد بها النبي ﷺ، بل أصابت من سبقه من الأنبياء، يقول الأب متي المسكي: "الغيبوبة أو اختطاف العقل أو الجذب الروحي عند الأنبياء .. هكذا وصف آباء الكنيسة الأولىون حالة الذهن عند الأنبياء .. حيث يكون الوعي بالنفس مغلقاً نوعاً ما، حيث يكون عقل النبي خارج الحدود الطبيعية، ومرتفعاً لمنطقة الإلهام والوعي الفائق للعقل .. والشخص يكون في حالة شبه غيبوبة؛ ليستطيع أن يطلع على ما هو فوق العقل" (4).

(1) أخرجه البخاري ح (832).
(2) أخرجه أحمد ح (620).
(3) أخرجه أحمد ح (742)
(4) أخرجه أحمد ح (770).
(5) النبوة والأنبياء، الأب متي المسكي، ص (15-17).
وضرب الأدب المسكين أمثلة لهذه الغيبيات من الكتاب المقدس، ونكتفي بذلك ثلاث حالات مواقف من الكتاب المقدس تتحدث عن أحوال الأنباء عند الوحي؛ وإن كنا لا نسلم بنوبة بعضهم، وأولها ما جاء عن بولس (الرسول)، حيث يقول: "وجدت في بيت ذي تقوى، وسما بهم نجاحاً في المجلة أولي حصلت في غيبة، فأمرت أسرع واحرج عاجلاً من أورشليم، لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى" (أعمال 22/17-18)، فبولس يتحدث عن غيبي حصلت له وهو يوجي إليه حسب زعمه.

وفي سفر دانيال يحكي النبي دانيال عن الأثر الكبير الذي تركه الوحي عليه:
"فأقيمت أنا وحدي، ورأيت هذه الروح العظيمة، ولم تبق في قوة، ونضارتي تحولت في إلى فساد، ولم أضبط قوة، وسمعت صوت كلامه، ولم سمعت صوت كلامه كنت مسجحاً على وجهي، ووجهني إلى الأرض، وإذ بيد مستني وأقامتني مرتفعاً على ركبتي وعلى كفي يدي" (دانيال 10/7-10).

ومثله في قوله: "أنا دانيال ضعفت ونحلت أياماً، ثم قمت وباشرت أعمال الملك، و كنت متحرراً من الروح ولا فاهم" (دانيال 8/27).

إن عزم الإصابة بالصرع لمتصدر عن واحد من معاصره رغم استحضار العداء بينهم وبينه، ورغم حرصهم على تهيج الكاذب من انتهاه بالسحر والجنون وقول الشعر، لكن لم يهموه بالصرع أبداً، فدل ذلك على أن الأمر لا يعدو أن يكون أبطولة من نسج خيال المبطلين المتأخرين.

إن أحداً من العقلاء لن يقبل فكرة أن هذا الرجل الذي أنشأ الأمة التي قادت الحضارة الإنسانية كان مريضاً، وكسف صصح ضاحك للصغير قبل الكبار حين يقول: إن هذا القرآن العظيم بيه وعجازه وأسلوبه كان نتيجة وأثر لمرض عضال.

وهكذا تبين براءة شخص النبي ما يقوله الأفاكون عنه، وأن ما يقوله لا يبدو ما قاله إخوانيه في الإفك من كفاح قريش، حين رموه بالجنون والكهانة والشعر، حسداً منهم لشخصه وبنوته.
القرآن والسياحية

أولاً: القرآن وألوهية المسيح
قالوا: القرآن وافق السياحة في معتقداتها وبخاصة تأليه المسيح، فقد ذكر بأنه كلمة الله وروحه: "إِنَّهُ الْمُسَيْحُ عِيسَى بَنُ مَرْيَمٍ رَسُولُ اللّهِ وَكُلِّمَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمٍ وَرُوِّحَ مَنْهُ (النساء: 171)", فهذا عين ما يقوله النصارى عنه، فكلمة الله ليست مخلوقة، بل هي كلمة أزلية، وكذلك روحه هي حيائه، وإذا كان كذلك فالمسيح أزلية، والأزلية من لوازم الروبية والألوهية.
ومضى بعضهم إلى القول: إن القرآن المكي كان يمتدح النصارى ويقرب إليهم بسبب علاقة النبي بخديجة ابنة عم ورة بن نوفل والنقاشي الذي أرى المسلمين في الحبشة، وأن القرآن المدنى هو الذي سجل موقفاً رافضاً للمسيحية، خلافاً للقرآن المكي.
وفي الجواب نقول: القرآن المكي والمدني كلاهما من عند الله، وليس في أي جزء منه ما ينقص الجزء الآخر، بل تتكامل آياته المكية والمدنية في رفض مظاهر الشرك السياحية المتمثلة في عبادة المسيح عليه السلام والقول بالثالوث.
ولعله يحسن أن نبدأ بما جاء في السور المكية حول هذا الموضوع، ثم ننتقل إلى المدينة منها.
فقد الحبشة وقف المسلمون المتجهون إلى النجاشي بين يديه فسألهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له عيفر بن أبي طالب: تقول فيه الذي جاء به نبينا، هو عبد الله ورسله وروحه وكلمة ألقاها إلى مريم العذراء البنت "، وهذا القول مصدق وما أنزل الله: "فَأَلَّهُ الْعَلِيُّ الْعَلِيمُ وَجَعَلَنِي نِيَّةً".

(1) أخرجه أحمد ح (4386).
 Jenner كا أنى ما كنت وأوصائي بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا وبرًا باليدي، وليجعلني جبارًا عفنيًا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمتنون ما كان له أن يجذب من وليد سبعته إذا قضى أمرًا فإنها يقول له كن فيكون وإن الله ربى وربكم فاعبدوا هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب عن بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (مريم: 30-37)، فهذه الآيات المكية ناطقة بعبودية المسيح لله، وأنه مخلوق بكلمة (كن)، وأن الله متوعد بعدم الذين خالفوا الحقيقة وتنبئوها في شخص المسيح.

ومن أراد مزيد بيان فليصبه السمع إلى التقرع الذي ترتفع لقوته الأبداء وتتهز القلوب، تقرع يشع في القرآن المكي على من زعم أن الله ولداً وقالوا أعده الرحمن ولداً لقد جعلتم سبيلاً إذا تكاد السماوات يقتربن منه وتنحنق الأرض وتحجر الجبال هذا أن دعوا الرحمن ولداً وما يبتغى للمرحمن أن يبتغى ولداً إن كُل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا لقد أحباهم وغعلهم عداً وكُلهم آتيه يوم القيامة فرداً (مريم: 88-95).

لقد كان القرآن الكريم صريحا في التشريع على أقوال النصارى في المسيح، وإثبات عبوديته لله في الآيات المكية والمدنية على السواء، ففي المكي يقول: وَلَا ضُرِبَ ابن مَرْيَم مِثْلًا إِذًا كَوْمَكَ مِنْهُ يَصِدُون وَقَالُوا آُلِيًا خَيْرَ أم هو ما ضُرِبُوه لَكِ إِلَّا جَدَلُ بِهِمْ قُوَّمَ خَصَمُوْنَ إِنَّهُ إِلَّا عَبْدُ أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنْ سُهَّلٍ لِبَنِي إِسْرَائِيْل (الزخرف: 57-59).

ثم تمضي الآيات لتقول: وَقَالَ جَاء عِيسَى بِالسَّيَات قَالَ قَد جَتَّنَكُم بِالحُكْمَة وَلَا يُكَفِّنُكُم بعضُ اللَّدَيْن يَحْتَلُونَ فيهِ قَانُوكُم اللَّه وَأَطِيعُونَ إِن اللَّه هُوَ رَبٌّ وَرَكَمَ فَاعِبْذَوْه هَذَا صَرَاطًا مُسْتَقِيمًا فَاَخْتَلَفَ الأَحْزَاب مِن بَيْنِهِمْ فَوَّلُ لِلذِّينَ ظَلَّمُوا
عن دعاوى المبطلين

من عذاب يوم القيامة (الزخرف: 63-65).

وفي المندى يقول الله: "أن يُستنكِف المسحَّن أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المُقبرة ومن يُستنكف عن عبادته ويتّصرَف فسيُخشَعُهم إلى جمعاً" (النساء: 172)، وفي سورة المائدة: "وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم آنت قلْت للناس اتحذوني وأنت إلهي من دون الله قل شهادك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلْت فقد علمت ما في نفسك ولا أعلم ما في نفسك إناك أنت علامة الغيب ما قلت هم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنَّت عليكم شهيداً ما دمت فيهم فلأت توقيتتي كنت آنت الرقيب عليهم وانت على كل مسيء شهيد" (المائدة: 111-112)، فأي فرق يجد القرائي بين القرآن الملكي والمدني!

وكما كان القرآن الملكي صريحًا في اعتبار المسيح رسولًا من رسول الله الكرام "لي بني إسرائيل إني رسول الله إلَّهكم مِّصَادِقًا لما بين يدي من التّوراة ومبِّشرًا بِرسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد" (الصف: 6)، فإن القرآن المدني كان كذلك: "وقيقين على آثارهم بما يَعِيّب النّازلين من التّوراة وأنبئيهما الإنجيل فيه هدى ونصور ومصدقاً لما بين يديه من التّوراة وهدى وموعظة للملِّمين" (المائدة: 49)، وقوله: "أفلا يُؤْمِنون إلى الله ويهبغونه والله عفوٌ رائفٌ" (المائدة: 70-71). رجيم ما يَمْسِك ابن مريم إلا رسول قد حَلَّت من قبله الرسول وأفْطِر صديقة كاذباً يأكلان الطعام أنظر كيف يَبْنُهم هم الآيات ثم انظر آتى يفوقون للأنغُدون لسِنَانِهِم. فرَّوا عن الله ما لا يملك لكم صرراً ولا أنعموا والله هو السَّمِيع العليم" (المائدة: 67-68).

وهكذا تبين بطلان الدعوى باختلاف حديث القرآن الملكي عن المدني في المسيح عليه السلام، فالكل من عند الله علام الغيب.

وإذا كان كذلك، كيف يتوافق القرآن بعبودية المسيح مع القول بأنه كلمة
الله وروح منه؟

وبداية نبّه إلى أن هذا الاستدلال المغولط قديم، قاله نصارى نجران بين
يدي النبي ﷺ حين سألوه: "أمس تررم أن كلمة الله وروح منه؟ فقال: {بل}. قالوا: فحسناً. فأنزل الله عز وجل: {فأيما الذين في قلوبهم رجُع قبّيتّعون ما نشابة
يمنه ابنيphetamine وابناء تأويله} (آل عمران: 7)، فهذا القول من الفتنة لما فيه
من التليس اعتناً على التشابه من القول، أي ما يحمل معاني مختلفة.

ولو قرؤا الآية بتهمها لو رجعوا فيها بيان ما تشابه عليهم، ففي تعنى عليهم
غلومهم في شخص المسيح، قروهم بأنه ابن الله، وأنه مشترك مع الله في الثالوث
{يا أهلاً الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق كما أعطى الله المسيح عيسى
ابن مريم رسول الله وكملة الله وطاعة الله إذا مروا ورفعت يدها فأنمو بله ورسله ولا
تقولوا ثلاثة إنهم أهُرونا خيراً كم هذا المسيح إلا واجد سبحة أنا بيده ولد منه ما في
السماوات وما في الأرض وأنت على الله وكيله {لَن يُسَبَّحَ الْمُسْلِمُونَ بِعِبَادَتِه وَيُسَبَّحُ فِي شَعْرِهِمْ يَهُودًا} (النساء: 171-172)، فالمسلم عبد الله ورسوله، وهو أيضاً كلمته
روح منه.

فإذا يعني قولنا: المسيح كلمة الله؟ هل يعني أنه على السلام صفة الكلام
الأزلية لله؟ بالطبع: لا، فالمسلم كلمة الله المخلوقة، لا الكلمة التي يخلق الله بها
خلقه [كن]. وهذا صريح القرآن {إِذ قَالَ الْمَلَائِكَةُ بِأَنْ مَرَّمَ إِنَّ الْلَّهُ يَبْشَرُ بِكُلِّمَةٍ
يَثْبَتُهُ الْمُسْلِمُ عِيسَىً بْنِ مَرْيَمَ وَجِيهُ بِهَا فِي الْذِّنَىَّ وَالْأَخْرَىَّ وَمِنْ الْمُقْرِبِينَ} (اللّهَ يَسْتَفْحَلُهُ وَيُسَبَّحُ فِيهِ...} (ال
ناس في المهد وكهفولا ومن الصالحين {قَالَ رَبِّ أَنِّي بِكُنْ لِوَلَدٍ وَمِنْ مَسْنُونٍ}
بَشَّرَ قَالَ كَذَلِكَ الله يُجَلَّلُ مَا يَبْسَطُ إِذَا فَقَضَى أَنْ يَقُولُ لَهُ كُنَّ فِيْكَونَ} (ال
(1) أخرجه الطبري في تفسيره (3/177).}
عن دعاوى المبتليين

عمران: 45-47، فصرحت الآيات أن المسيح {كِلِمَةَ مِنْهُ}، وأكمل السياق القرآني فوصفه بأنه مخلوق {الله مُخْلَقُ مَا يُشْاءُ}. فكيف تكون كلمة الله مخلوقة مع بقيتنا بأن القرآن كلام الله المنزل غير المخلوق؟

والتقرب معنى "كلمة الله" نضرب مثلاً بعبارة "اضطهاد اليهود"، فهي تدل على معنيين متغابين صحيحين:

الأول: "اضطهاد النازحين لليهود"، أي أنها تدل على الفاعل.

الثاني: "اضطهاد اليهود للفلسطينيين"، أي أنها تدل على الفاعل.

وهكذا اختلفت دلالة العبارة بين هذين المعنيين.

ومثلها قولنا: "كلمة الله" فيمكن أن تدل على كلمة الله التي خلق بها الأشياء {إِنَّمَا أُمِرْتُ إِذَا أُرَاءَ شَيْئًا أَنْ يُقُولُ لَهُ كُنْ فَيْلُونَ} (يس: 82)، كما يمكن أن تدل على ما خلق بهذه الكلمة {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثْلِ آدمٍ خَلَقْهُ وَمَنْ ثَبَّتَ فِي رَمْضَانِ نَكَّالَهُ كَنْ فَيْلُونَ} (آل عمران: 59)، والباحث عن الحق يختار منها ما وافق السياق، وانسجم مع المعاني المحكمة؛ خلافاً لأصحاب القلوب المريضة الذين يختارون من المعاني ما يوافق أهواءهم، ولو خرج بالنصوص عن مساقها: {فَأَلَّا أَلْهَيْنِ فِي قَلْبِهِمْ رُكُنٌ فَيْلُونُ مَا نَتشابه مِنْهُ أَيْبَغَاءَ الْفَتْنَةِ وَأَيْبَغَاءَ تَأْوِيلِهِ} (آل عمران: 7).

وسبب اختصاص المسيح بهذا الاسم الشريف دون غيره من المخلوقين بكلمة الله؛ أنه خلق من غير تدخل أبي، خلق بأمر الله وكلمتة التكوينية (كن)، ولما لم يكن للمسيح سبب بشري قريب ينسب إليه من جهة أبيه كغيره من الناس؛ فقد نسب إلى السبب البعيد، وهو تخلق بكلمة الله، التي تخلق وفق إرادات الله.
تبارك وتعالى.

وأما قوله تعالى: {وَرَوحَ مِنْهُ} فلا يفيد أن المسيح روح الله أو حياته كما نطق بذلك فلاسفة المسيحية، لأن قوله: {مِنْهُ} ليست للتبعيض، بل لابتداء الغاية، بمعنى صادرة عنه، فهي كقوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَّكُمْ مَا فِي السَّماوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (الجاثية: 13)، أي خلقته منه. ويبدد هنا التنبؤ إلى أنه ليس من المسلمين أحد يعتقد أن الروح صفة من صفات الله القائمة بذاته، بل الروح جيّعاً خلقاته تبارك وتعالى، ونصبته إلهيه من باب نبعة الخلق إلى خالقه موجوداً، وهو من باب التشريف، كقولنا: بيوت الله، شعب الله، وأمثالها.

ولا يختص المسيح بأنه روح الله، فقد قال الله عن الصديقة البنت مريم: {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَهَا} (مريم: 17)، فالرُّوح يقال بالروح في الآية جبريل عليه الصلاة والسلام، كما ساء الله عز وجل في آية أخرى روح القدس: {قُلْ نُزُّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكُمْ} (الحلة: 2)، وفي آية أخرى: {قُلْ يَا الْرُوحُ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ إِلَيْهِمَا} (الشعراء: 193)، وسبب تسميته بالروح أنه خلقوه روحى غير مادي.

وقد تمثل جبريل (روح الله) للعذراء في صورة رجل {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَهَا}.

(1) أنظر: الورد الجميل للإلهية عيسى بتصريح الإنجيل، أبو حامد الغزالي، ص (166)، والدعاي إلى الإسلام، ابن الأثبار، ص (376).
(2) مصطلح لاهوتي مسيحي، يطلق على المسيح كلمة الله، بمعنى أنه عقل الله الناطق (logos)
على النصرانيين


ولكن هذا الحكم القرآني لا يسري على المسيح الذي تبرأ من هذه المعتقدات، وقال المسيح يني إسرائيل أعبدوا الله وربكم إلهي من يشرك بالله فقد حرموا الله عليه الجنة وثأروا النار ونفسي من أنصار» (المائدة: 47)، وكما لا يسري الحكم بالكافر والناير على أتباعه المخلصين المؤمنين الذين آمنوا بالله وحده.
وشهدوا للمسيح بالرسالة فحسب، وأتبعه ونصروه: قال الحوايريون: نحن أنصار الله أنتَ يَبْعَثُكَ بِنَايَتِكَ وَمَسْلِمُونَ ربنا أنتَ يَأْتِيَ الرسولُ فَأَكِبْتُنا مَعَ الْشَّاهِدِينَ (الأنصار 52-05)، وفي موضع آخر يقول الله تعالى: وَإِذْ أَوْحَيْتَ إِلَى الْحَوَارِيْنِ أَنَّهُمْ أَيْمَنًا بِي وَبَرَسُوْلِي قَالُوا أَنَاَ أَيْمَنًا وَأَشْهَدُ بِأَنَا مَسْلِمُونَ (المائدة 111)، فهؤلاء من خيرة الله في خلقه، وهم مؤمنون بالمسحى الرسول، وبرهون من معتقدات النصارى التي استقفاها المسيحيون من أقوال بولس والمجامع الكنسية من بعده.

إن هذه الثلة المؤمنة مدودة في القرآن ولا ريب، وقد وصفهم الله بقوله: أُنَصَّارِ اللهِ (الصف 14)، ومدحة الله لهم في القرآن تسري على كل مؤمن مشى على نهجهم إلى يوم الدين.

وأما بعث النبي، كان لمنهجهم بقايا على الأرض تمثل في أشخاص أحبهم الله؛ استقامتهم على التوحيد، وإعراضهم عن مذاهب التثنية والشرك التي كرها الله، يقول الله تعالى: وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمظنون عرهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب.

فهؤلاء ومن سلفهم من المؤمنين هم الذين أتى الله عليهم بقوله: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصاقرين من آمن بالله واليوم الآخر復 عمل صالحا فلهم أجَرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا لهم جرائم (البقرة 2: 62)، وقد ذكر في سبب نزولها أن سلائنا حدث النبي عن أصحاب النصارى الذين كانوا على

(1) يمتلى تاريخ المسيحية بها تسمية الكنيسة اليوم بفرق الهراطقة، كالأوروسية والنصطورية والأبيونية، وهي فرق تذكر ألوهية المسيح وتعلق بالتثنية، وكانت تثمل السواد الأعظم من النصارى حتى القرن الرابع الميلادي.

(2) أخرج ح مسلم (2865).
الإيام الخالص بالله عز وجل قبل معبت النبي ﷺ، فقال: كانوا يصومون ويصلى ويعبدون بك، ويشهدون أنك ستمتج نيًا. فلما فرغ سلما من ثانئه عليهم، قال له نبي الله ﷺ: يا سلما، هم من أهل النار. فأنزل الله هذه الآية: «إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصراني والصادقين من آمن بالله واليوم الآخر».

ومن هذا المعنى بين واضح من قراء الآية في سياقها فتدبير الآيات التي قبلها والتي بعدها، حيث تكثر الآيات قبلها اليهود والنصاري، وتنسب إليهم الإساءة إلى الله، وتوعدهم بالتكال والعذاب: «إذا جاء يوم يقتلوا آمنًا ويجعلوا دخلوا بالكرف وهم قد خرجوا إليه والله أعلم ما كأنوا يكذبون وترى كثيرة منهم يسارعون في الإثم والغذوان وأكلهم السجدة ليس ما كأنوا يعترفون. لولا ينهىهم الرأي وآخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السجدة ليس ما كأنوا يصفعون. وقيل الله بلى الله مغفولة على أبنائهم ولعنت يا قالوا» (المائدة: 41-61).

ويستمر السياق القرآني بعدها في تكريرهم مع استثناء المؤمنين منهم من كان على منهج الأنبياء قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا الضروة والإنجيل وما أنزل إليكم من رحمة ولنبيين كثيرين منهم ما أنزل إليكم من رحمة طفيعتكم وكرمو فأتئكم على القوم الكافرين إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابرون والنصراني من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلتأوهم ولا لهم جنون» (المائدة: 68-69).

فمن المحتمن أن الذين سهام الله في آخر الآية: «الكافرين» ليسوا الذين تحدث عنههم صدر الآية التالية: «إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابرون والنصراني»، فهؤلاء غير الأولين، هؤلاء من المؤمنين بدليل ما ذكر في الآية في (١) أخرجه الطبري في تفسيره بإسناد منقطع (٢/٥٤).
إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشتركون به الله فقعد حرم الله عليه الجنة وما أواء النار وما للطالبين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثلاث لثاني ومما من إله إلا إله وعند ولن ينتهوا عن يقولون ليس أن الذين كفروا بينهم غداب أبلى أفلا يبُوْنَ إلى الله ويستغفروهن ولله عُفُورٌ رَحِيمٌ  ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خُلِّت من قبله الرسل وأيام صدقيا كانا يا أكانُ الطَّعَام انظر كفَّنَّ هُم الآيات ثم انظر أني أؤفكون (المائدة: 72-75)، ويستمر السياق القرآني إلى آخر آيات السورة وهو يتحدث عن كفر النصارى، فلم أعرض القائلون بمدحة الله للنصاري عن هذا كله، وبثروا الآية من سياقها!.

ثالثاً: من أتباع المسيح؟ قالوا: وصف القرآن النصارى بأنهم أتباع المسيح الموعدون بالنظر على الكافرين إلى يوم القيامة: \( 
\text{إذ قَالَ اللهُ بِيَأِيُّضُي إِيَّيُّ مُتَوِّفِكَ وَمُفْتَكَرَ مِنَ الْذِّينَ كَفَّرُوا وَجَاءَلَ الْذِّينَ ابْتَعُوكَ فَوَقُوهُ الْذِّينَ كَفَّرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ نَسْيَ إِلَىٰ مَرْجَعُكُمْ قَاحَلٌ يَا بَنِي مَيْكَمُ فِي نَفْسِكُمْ كُنُّتمْ تَخْفَفُونَ } \) (آل عمران: 55)، وهذا كله يدل على صحة طريقتهم ودينهم؛ خلافاً لما يقوله المسلمون من تكيرهم، وأنهم من أهل النار.
عن دعاوى المبطلين

والجواب: قد سبق لنا بيان الموقف القرآني من النصارى القائلين بالمسيح والثنية.

وأما بخصوص هذه الآية فهي تتحدث أتباع المسيح عليه السلام، وهم المسلمين الذين يصدقون أقواله: "وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أميت قلتك للناس المجرمون. وأمتي الذين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلت فقد علمت ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إن كنت علاء الشروبين. ما كنت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي ورغمك وأتعمل عليهم شهيدا ما دمت فيهم فإنما توفيتم كنت أنتم الرقيب عليهم وأنت على كله شهيدا" (المائدة: 111-112)، والمسلمون هم الذين يقولون: ادعاء الألوهية للمسيح ليس بحق، في حين يزعم النصارى أنه إله معبوب بحق.

ووفق هذا فإن المسلمين هم أتباع المسيح، وقد قال تعالى: "أنا أول الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد".

إن الدلالة على أتباع المسلمين للمسيح ومفارقة النصارى له ليست من القرآن، فحسب، بل هي في كتابهم أيضاً؛ فإن قارئ العهد الجديد (الإنجيل) لن يجد فيه حرفًا واحدًا يتحدث فيه المسيح عن ألوهية نفسه، بل على العكس من ذلك تجد يصرح بها ينقضها، يقول عنه نفسه: "وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله" (يوحنا 8/40)، كما يجده على السلام يخبر عن كونه رسول الله فحسب، مما يقتضي التنديد بأهل التنثي؛ والحكم بحرمانهم من الحياة الأبدية، يقول مخطواً الله: "هذى هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحيدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا 17/2-3)، وهذا معنى صريح في أن الجنة مدخرة فقط لم يقول: (1) أخباره البخاري ح (443)، والإخوته لعلات هم الإخوته من أب واحد، وأمهاتهم مختلفات.
الله إلا إنه لله، المسح رسول الله)، وهذا بالحقيقة قول المسلمين؛ لا النصارى، فبين أتباعه على الصلاة والسلام الموعدون بالعلم على الكافرين إلى يوم القيامة، وقد علمناه بالحجة والدليل والبرهان بالأمس واليوم وغداً بإذن الله ومنتهه. ولقد غابت شمس المسلمين اليوم عن قيادة الخضرة الإنسانية المادبة (الروحية) فقد كان لهم شرف رياضتها زهاء ثمانية قرون، وإنها سُمح توشك أن تنبلج، لتشرق شمسنا من جديد، وما هذه الصحوة الإسلامية المباركة التي تهدف في عالم اليوم إلا طلائع هذا الفجر الآخر القريب بإذن الله.

رابعًا: سؤال أهل الكتاب

قالوا: طلب القرآن من النبي أن يسأل النصارى فيما يشكل عليه، وفياً يقع له من الرتبة في دينه يقوله: "إنا كنت في شك ما أرزننا إلينك فاستأسل النذرين يقرئون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من زينا لولا تكعون من الممتنين" (يونس: 94)، وكما طلب هذا من النبي فإنه طلبه من المسلمين حين أمرهم بسؤال أهل الذكر، أي الكتب السابقة في قوله: "وَمَا أُرْسِلْتُمْ مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجُالًا نَوْحِي إِلَيْهِمْ قَامَ أَوْلِ الْذُّكَرِ إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (النحل: 42).

الجواب: أن الآية الكريمة "إنا كنت في شك ما أرزننا إلينك النذرين يقرئون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من زينا لولا تكعون من الممتنين" (يونس: 94)، لا تتحدث عن مشركي النصارى المتكرمين لببوته، ولا تجعلهم مرجعًا للنبي، بل تتحدث عن الذين يشهدون له بأنه آنائه الحق من ربه. كما يلزم التوقيع أيضًا إلى أن النبي لم يشكي في شيء من نبوته، ولم يسأل أهل الكتاب ولا غيرهم، بل نقل عن بعض التابعين أن النبي قال: "لا أشك ولا أسأل". (1)

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (2010).
عن دعاوى المبتلرين

فلفظة (إنَّ) لا تفيد أي تحقيق لوقوع الشك من النبي ﷺ، إذ قد يعلق
المجال بـ (إنَّ) ، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلِكَ كَانَ لِلْجَهَّالِينَ وَلَدَّ فَأَنَا أُولُوا الْعَابِدِينَ﴾
(الزخرف: 81)، وقوله: ﴿وَإِنَّ كَانَ كَبِيرٌ عَلَىٰكَ إِغْرَاءُهُمْ فَإِنَّا إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَبْتَغُونَ نَفْقَاهَا فِي الأَرْضِ أَوْ سَلَامًا فِي السَّمَاءِ فَاتَّهِمُوهُمْ بِآيَةٍ﴾ (الأنعام: 32).

وقد فسر العلماء مقصود الآية بقولين يكمل أحدهما الآخر:
الأول: أن المقصود بالسؤال هم المؤمنون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وهو قول ابن عباس رضي الله عنها: (الذين أدركوا محمدًا ﷺ من أهل الكتاب فأمنوا به). فاسألهم إن كنت في شك بأنك مكتب عندهم.

الثاني: أن المقصود في الآية ليس أمر النبي ﷺ بالسؤال، بل الخطاب - في ظاهره - للنبي ﷺ، والمراد به غيره من المشركين، على عادة العرب في الخطاب:

"إياكم أنتم يا جاره".

ومثله في القرآن كثير، قال تعالى: ﴿يا أَبَا النَّبِيِّ أَنْتِ اللَّهُ وَلَا نُطِيعَ الْكَافُرِينَ وَالمُتَفَاقِينَ﴾ (الأحزاب: 1)، وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوْلِجَ اِلْبَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَمْ يُشْرَكْنَ عَلَيْهِ عَمَلُكَ وَلَكُنَّ نَمَّى عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ الْمُفَضَّلَةُ وَلَدْ أَهْلَ الْجَهَّازَةَ﴾ (الزمر: 16)، وقال:

"يا أَبَا النَّبِيِّ إِذَا طَلَقَتْ النَّسَاءَ فَتَوَلَّهُمْ لِيَعْدُونَهُ﴾ (الطلاق: 1).

وهذا الوجه صحيح الطبري، واستدل له الرأي بقول الله تعالى في آخر السورة: ﴿فَإِذَا أَبَا النَّاسِ إِنْ كَانَا فِي سَكَنٍ مِن دَينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (يوسف: 401)، وقال: "فبين أن المذكور في أول الآية على سبيل الرمز، هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح.. فثبت أن الحق هو أن الخطاب، وإن كان في الظاهر مع المسأله ﷺ، إلا أن المراك الأمة، ومثل هذا معتاد، فإن

(1) جامع البيان، الطبري (5/150).
(2) انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن تيمية، ص (270).
السلطان الكبير إذا كان له أمير، وكان تحت راية ذلك الأمير جميع، فإذا أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص، فإن له يوجه خطابه عليهم، بل يوجه ذلك الخطاب إلى ذلك الأمير الذي جعله أميراً عليهم. ليكون ذلك أقوى تأثيراً في قلوبهم.»

بقي أن نشير إلى أن الأمر بالسؤال ليس على ظاهره، فإن العرب يستخدمون طلب السؤال; بمعنى تأكيد الأمر، ولا تريد طلب السؤال حقيقة، ومنه قول الشاعر:

سلوا الليل عنى مذ تاءت دياركم
هل اكتشفت بالغمض لي فيه أجنان

وقول الآخر:

سلوا نسائم الريح كم قد تحملت
محبة ضيوفه ليس يكتم فهذان وأضرابهما لا يراد منه - في لغة العرب - حقيقة السؤال ؛ إذ كيف يسأل الليل أو نسائم الريح، إننا يراد تأكيد تلك المعاني التي طلب السؤال عنها.

ومثله في القرآن قوله تعالى: *سَلُوهُمْ أَيُّهَمُ بِذَلِكَ رُؤِيَمَُمْ* (القلم: 40).

وقوله: *وَأَسْأَلَ مِنْ أُرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا* (الزخرف: 45)، وقوله:

*وَأَسْأَلَمُهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ الَّذِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ* (الأعراف: 112)، ففي كل هذا لم يطلب الله من النبي ﷺ حقيقة السؤال، إنها قصد الإخبار وتأكيد صدق.

هذه المعاني والأخبار التي ذكرها الله تبارك وتعالى في القرآن.

وأما قوله تعالى: *وَمَا أُرْسِلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الْذَّكْرِ إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ* (النحل: 43)، فهو خطاب من الله للمشركون المتكبرين للندوة؛ المستغزين نزول الوحي على رجل، فقد نبههم الله إلى أن نزول الوحي على بشير أمر معهود تعرفه البشرية، ودعاه إلى سؤال أهل الكتاب للتأكد من حقيقته والوقوف على جلائه، يقول ابن القيم: "فبقاؤهم [أي أهل الكتاب]
من أقوى الحاجج على منكر النبوت والمعاد والتوحيد، وقد قال تعالى لنكر
ذالك ﴿فَأَسَأَلْوَاهُ أَهْلَ الذُّكَرِ إِنِّنَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. يعني ساو أهل الكتاب: هل
أرسلنا قبل محمد رجلاً يوحي إليهم أم كان محمد بدعاً من الرسول لم يتقدمه
رسول حتى يكون إرساله أمرًا منكرًا؟

وهكذا فانطلقية تجعل من شهادة أهل الكتاب دليلاً ناهاضاً للإحتجاج على
مشركي مكة في مسألة نبوة النبي ﷺ، وهو معنى تكرر في مواقف أخرى من
القرآن، كقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتُمْ مُرْسَلِيْنَ فَلَقُلُوا بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي
وَبِيَنِيُّمَ وَمِنْ عِنْدِهِ أَنْعَمَ اَلْكِتَابِ﴾ (الرعد: 43).

خامساً: التوثيق المزعوم لكتب أهل الكتاب في القرآن
قالوا: في حين أن المسلمين يرون كتب أهل الكتاب بالتحريف والتبدل
فإن القرآن عليه من شأن التوراة والإنجيل، ويفسخها بالهدى والنور ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا
الْتُوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُوُّرَ﴾ (المائدة: 44)، و﴿وَآتَيْنَا الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٍ﴾
(المائدة: 46).

وقالوا: ذكر القرآن أن التوراة والإنجيل موجودين عند أهل الكتاب
زمن النبي غير محرفين؛ بدلاً من ذلك إذا دعا إلى تحكيمهما ﴿وَلَوْ أَحَمِّلْهُمْ أَقَامَتْهُمَا التُوْرَاةُ
والإنجيل، وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولٍ مَّا لَكُلُّهُمْ لَا كُلُّهُمْ مِنْ فُوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾
(المائدة: 66)، وقال لهم: ﴿لَيْ أَهْلُ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عِلَىْ شَيْءٍ حَتَّى تَقَيَّمُوا التُوْرَاةُ
والإنجيل، وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْكُمْ مِّنْ زَيْكُمْ﴾ (المائدة: 8).

وقالوا: شهد القرآن والسنة أن كتبنا فيها حكم الله ﴿وَكِيفُ يَكْتَبُونَكَ
وَعِندَهُمُ التُوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ (المائدة: 67)، وعما أخذها النبي بيده نزع الوساطة

(1) أحكام أهل الذمة، ابن القيم (١٩٧/١).
من تحته، فوضع النسخة عليها، ثم قال: "أمّنت بيك وبمن أنزلك".

والجواب: امتدح الله في القرآن ما أنزله على أبنائه ورسله، وذكر أن هدى ونور،
فكل كتب الله تعالى كذلك، ولو أقام البشر في حياتهم ما أنزل الله إليهم; لسعدوا
ونجوا، لكن هذه الكتب المنزلة ضاعت وحُرفت وبدلت، فاضطرت النورة ولا الإنجيل
اللذين بين أيدي اليهود والنصارى بتوراة الله ولا إنجيله؛ وإن كان فيها بقية أثار
لا تزال على الأنبياء، يقول: "إنّي إسرائيل لما طال الأمد وقاست قلوبهم
اختبروا كتابًا من عند أنفسهم، استهلوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم، وكان الحق
يحمل بينهم وبين كثير من شهواتهم، حتى نبذوا كتاب الله ورأوا ظهورهم كأنهم لا
يعملون".

وإثبات تحريف الكتب الموجودة بين أيدي اليهود والنصارى باب يطول،
وليس هذا محلي"، ويكفي في هذا الموضع أن نؤكد أن النسخة والإنجيل
 الموجودين اليوم ليسا الكتابين اللذين أنزلهما الله عز وجل وامتدحهما القرآن.
وإثبات هذا ميسور، فقد نسب القرآن الكريم إلى توراة الله وإنجيله معاً
نفتقدها في الكتب الموجودة اليوم عن اليهود والنصارى، فقدّها دليل على أن هذه
الكتب قد غيروت وبدت، وأنه ضاع منها ما أشار القرآن الكريم إلى وجوده فيها.
قال الله تعالى: "إِنَّا أُنْزِلْنَاهُ مِنْ جَهَنَّمَاءِ وَأَمْرَوْاٰهُ بِبَلَاءٍ لِّلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَاتِلُونَ وَيُعَدُّونَ وَعَدًا عَلَيْهِ فَحَقًا فِي النُّورَةِ وَالْإِنجِيلِ
وَالْقُرْآنِ" (التوبة: 111)، فالآية صريحة في أن موعود الله بالجنة للمؤمنين

(1) أخرجه أبو داود (449).
(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيام (65/95)، وصحته الألباني في السلسلة الصحيحة ح
(2694).
(3) أفردته كتبنا، الأول: "هل العهد القديم كلمة الله?"، والثاني: "هل العهد الجديد كلمة الله؟".
عن دعاوى المبطلين

المجاهدين في سبيله مسطور في التوراة والإنجيل الذين أنزلها الله تعالى، ولا
وجود هذه المعاني في العهد القديم ولا الجديد [التوراة والإنجيل المحرفين].
ومثله قوله تعالى: «بل تؤثرون الحياة الدنيا والأخرة خيرًا وآبقى» إن هذين
لي في الصحف الأولين صحف إبراهيم وموسى» (الأعلى: 16-19)، فهذا
معنى لا وجود له في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام في العهد
القديم، والتي تخلو من الحديث عن الآخرة والقيامة، فضلاً عن المقارنة بينها وبين
الدنيا.
ومثله نفرد في الأسفار الحالية ما نسبه الله إلى توراة وإنجيله في سورة
الأعراف من حديث عن النبي الأمي الذي يبعثه الله فبأمر بالمعروف ونهى عن
المكر، ويحل الطيارات ويحرم الخبائث: «الذين يبغون الرسل النبي الأمي الذي
يجولون مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعرف وينهؤهم عن المكر،
ويحل لهم الطيارات ويحرم عليهم الحبائث ويضع عنهم إضرهم والأفعال التي
كانت عليةهم» (الأعراف: 197).
وهكذا نخلص إلى القول: أن التوراة والإنجيل الممدوحين بالقرآن ليسا
بالأسفار الموجودة اليوم؛ لفقد هذه المعاني منها.
والمقرآن شهد على الأسفار الموجودة بين يدي اليهود والنصارى بأنها مرفعة،
وقعت فيها الزيداء، كما وقع فيها النقص، فقد قال تعالى عن تحرف النقص:
»بأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بينكم لقوم كثيرة ما كنت لم تروا في الكتاب
ويعرفون عن كثير» (المائدة: 16)، فإلى جاء به محمد ﷺ، في بيان لبعض ما أخفاه
أهل الكتاب، وقد عفا عن الكثير مما أخفوه فلم يذكره، قال ابن كثير: "أي: يبين
ما بدلوه وحرفوه وأولوه، وافتراء على الله فيه، ويسكت عن كثير مما غيروه، ولا
فائدة في بيانه: 

كما أخبر القرآن الكريم عن وقوع الزيادة في هذه الكتاب: "فَوَيْلٌ لِلذين يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ فَمَنْ يَقُولُوْنَ هَذَا مِنْ عِنْدٍ عَلَى الْحِكْمَةِ وَهُمْ ذِي الْحَكْمَةِ فَهُمْ يُعْلَمُونَ" (البقرة: 119)، وقال: "وَإِنْ يَنْسِمُ الْقُرْآنُ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسُبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هَوْنَ مِنْ عِنْدِهَا وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِهَا يَقُولُونَ عَلَى الْحَقِّ الْحَكِيمِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" (آل عمران: 78). 

لكن وقوع الزيادة والنقص في الكتاب لا يعني - بالضرورة - أن التحرير قد طال كل سطر وكل كلمة في الكتاب، بل القرآن شهد لهذه الكتب أن فيها بقية من الحق الذي أنزله الله «يا أهل الكتاب لم تلمسوا الحقّ بالباطل وتكثمن الحكمة» (١٠١: وَأَنْتُمْ تَعْلُمُونَ) (آل عمران: ٧٨). 

ومن بقايا الحق الذي شهد القرآن بوجوده حكم الرجم للرجل والزانية، فهو موجود في سفر التثنية في الإصحاح الثاني والعشرين، لذا قال الله: "وكَيْفَ يَكْتَمِلُونَ وَعِينَاهُمْ النُّورَةَ فِي حُكْمِ اللَّهِ" (المائدة: ٤٣)، فكون حكم الله بشأن الزانيين موجودًا فيها لا يعني أن كل ما فيها هو حكم الله تعالى، فاسم التوراة باق عليها رغم تحريفها، فهي التوراة المحرفة; لا المنزلة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٦/٦٧).

(٢) ليس بالضرورة أن تكون العندية دليلاً على أن الخاطبين بالسياسة القرآنية المعاصرون للنبي ﷺ، فإن القرآن حين يطأطئ بني إسرائيل بخطابهم كامة وحيدة، ويجاوي في خطابه معهم حدود الزمان، فيقول لهم: "أَفَأَكَلُوكَ بِسُرُورِكَ يَا نَوْمًا أَخْلِصْتُكَ وَأَخْلَصْتُكَ وَأَخْلِصْتُكَ تَتِّقُنُونَ" (البقرة: ٢٧)، مع أن قتل الأبناء لم يقم به جيل واحد منهم، وفضله قولهم: "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسى أَنْ تُؤْمِنُنَّ لِلَّهِ" (البقرة: ٥٥)، والقاتل حقيقة أجدادهم، وفعل هذا كثير في القرآن يطول المقام بتبعته.

فمطالبه بالإيتام بها: إنها يريد به إقامة مزيد من الحجة عليهم من كتبهم (التوراة المحترفة), قال ابن حزم: "إنه هو في كتاب كتبوه, ونسبوه إلى التوراة على جاري عادتهم; زائد على الكذب الذي وضعه أسلافهم في توراتهم, فكتبهم عليه السلام في ذلك الكذب المحدث بإحضار التوراة إن كانوا صادقين, فظهر كذبهم.".

وقد دعا الله عز وجل أهل الكتاب إلى إقامة هذا الحق النبي, لأنه كفيلة بهدايتهم إلى الإسلام, قال ابن كثير: "إذا أقسموا حق الإقامة, وأنتم بها حق الإيان, وصدقتم ما فيها من الأخبار بنتج محمد ونعته وصفته والأمر باتباعه ونصره ومؤازرته, قادتم ذلك إلى الحق واتباع الخير في الدنيا والآخرة, كما قال تعالى: «الذين تطيعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عند أعدّهم في التوراة والإنجيل» (الأعراف: 157).»

وقال القرطبي: "إقامة التوراة والإنجيل; العمل بمقتضاهما وعدم تحريفهما.".

وقال ابن حزم: "أما قول الله عز وجل: «يا أهل الكتاب ليستم علّم شيء» حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم; فحق لا مبرة فيه, وهكذا نقول, ولا سبيل لهم إلى إقامتها أبداً, لرفع ما أسقطوا منها، فليسوا على شيء إلا بالإيتام بمحمد, فيكونون حينئذ مقيمين للTORATE والإنجيل, كلهم..."

(1) الفصل في المل والنحل, ابن حزم (188/1), (2) تفسير القرآن العظيم, ابن كثير (197/5), (3) الجامع لأحكام القرآن, القرطبي (241/7).
يتمنون حينئذ يا أنزل الله منها؛ وَجَدِ أوَّدُم ، ويذبحون بأي بدل فيها مما لم ينزله
الله تعالى فيها، وهذه هي إقامتها حقاً(1).

ووهذا الأسلوب في طلب المجال على سبيل التجربة أسلوب قرآني ونبي،
ومنه قول الله تعالى للمنافقين يوم القيامة: أَقِلِّ إِذْ جَعَلُوا ءَزْوَاجَكُمُ فَأَعْتِمَسُوا نُورًا
فَقَضِرَ بِيْنَهُم بِسُورِهِ بَابُ بَابًا فِي الرُّجْمَة وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبْلَيْهِ العَذَابُ (الخليد).

(13)، ومن المعدل أنهم لا يقدرون على الرجوع، ولو رجعوا لم يفدموا رجوعهم.
ومثله في التجربة قول النبي ﷺ: «من تحلم بحلم لم يره؛ كنت أن يعهد بين
شعيرتين ولن يفعل ... ومن صور صورة; عذب وكُلف أن ينفع فيها، وليس بنافذ»(2).

ويجدر هنا التنبيه على ضعف الحديث الذي رواه أبو داود في سنده، وفيه أنه
وضع النروة على وسادة وقال: «آمنت بك وبمن أنزلك»(3)، فالحديث ورد في
قصة رجم اليهود الذين، وهو مروي في الصحيحين وغيرهما، وليس فيه
هذه الزيادة(4)، وهذه الزيادة غير موجودة حتى في روايات أبو داود الأخرى
للقصة(5).

وقد ضعف هذه الرواية غير واحد من أهل العلم، منهم ابن حزم إذ يقول:
"قوله عليه السلام: 'آمنت يا فيك'؟ فإنه باطل لم يصح قط، وكله موافق لقولنا
في النروة والإنجيل بتبديلها، وليس شيء منه حجة لمن ادعى أنها بأيدي اليهود
والنصارى كما نزلت ... فخبر مكذوب موضوع، لم يأتي قط من طرق فيها خير،

(1) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (158/1).
(2) أخرجه البخاري ح (1037)، ومسلم ح (1110).
(3) أخرجه أبو داود ح (4449).
(4) أظاه عشر: صحيح البخاري ح (8136)، (8191)، والموطأ ح (1551)، وسنن الدارمي ح (2321).
(5) أظاه عشر: سنن أبي داود ح (4446)، (4450).
ولسنا نستحل الكلام في الباطل، لو صبح فهو من التكلف الذي نهينا عنه ك잠했 لا يجل توهين الحق ولا الاعتراض فيه.

وهذه الزيداء "آمنت بك وبمن أنزلك" مروية في إسناد ضعيف متهالك لا يصلح للاحتجاج، فهي من رواية هشام بن سعد القروي، وقد ضعفه العلماء، وترك التحديث عنه جملة من المحدثين، منهم يحيى القطان الذي كان لا يحدث عنه، وما قاله العلماء عنه:

قال النسائي: "ضعف"، وقال في موضع آخر: "ليس بالقوي".

وقال يحيى بن معين: "ليس بشيء"، وفي موضع آخر قال: "ليس بذلك القوي".

وأما أحمد بن حنبل فقال عنه: "ليس هو حكم الحديث". وفي موضع آخر قال: "لَم يَكِن بالحَافِظ".

قال أبو حاتم: "يكتب حديثه ولا يتحج به".

وقال ابن حبان: "كان من يقلب الأسانيد، وهو لا يفهم، ويسند الموافقات من حيث لا يعلم، فلأكثر خلافته الأئمة فيها يروى عن الثقات بطل الاحتجاج به، وإن اعتبر بإ وافق الثقات من حديثه فلا ضير".

وهكذا هذه الرواية التي تفرد بها هشام مردودة، ولا يتحج بها إلا الذين يتعلقون بخيوط أوقى من بيت العنكبوت.

كأ لن يفوتني تسجيل عجبي من اليهود والنصارى الذين يرومون توثيق كتبهم من القرآن والسنة; في حين أن كتبهم تشهد على نفسها بالتحريف في موضع...

---

(1) الفصل في الملل والتحل، ابن حزم (157-158).
(2) انظر: المجروحين، ابن حبان (89/3)، وال موضوعات، ابن الجوزي (366/1)، وال كامل، ابن عدي (108/7)، وتهذيب الكمال، المزري (11/37)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر (305/406)، والضعفاء والمروكين، النسائي (245/1).
كتيرة منها: قول النبي إرميا: "كيف تقولون: نحن حكياء، شريعة الله معنا حقاً، إنه إلى الكذب، حوالاً قلم الكتاب الكاذب" (إرميا 8: 8)، أي أن دعواكم بامتلاك شريعة الله كذب منكم، لأن هذه الشريعة غيرها وبدلاً الكتاب الكاذبة بأقلاعهم المحرفة.

ويؤكد النبي إرميا وقوع التحريف في الكتاب، ويتهادى بالعقوبة أولئك الذين مازالوا يتحدثون عن كلام الله، فنسبون ما في أيديهم إلى الله، ففيقول: "وإذا سألتك هذا الشعب أو نبي أو كاهن قائلًا: ما وحي الرعب؟ فقل لهم: أي وحي؟ إنك أرضضك هو قول الرعب، فالنبي أو الكاهن أو الشعب الذي يقول: وحي الرعب أعاقب ذلك الرجل وبيته. أما وحي الرعب فلا تذكروه بعد، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه، إذ قد حرفت كلام الله الحفيظ في رح الجنود" (إرميا 33/23-36).

سادساً: هل الذكر المحفوظ هو كتب أهل الكتاب؟ فالوا: سمى القرآن كتبنا ذكراً في قوله: "وما أرسلنا من قبلك إلا رجاءٌ" (النحل: 42)، فاعبطر الكتاب السابقة ذكراً، ثم أخبر أن الذكر محفوظ من التحريف والتبديل. "إنا نحن نزلنا الذكر وإننا له حافظون" (الحجر: 9)، فدل ذلك على سلامتها من التحريف والتبديل.

والجواب: أن كل ما ينزله الله تعالى من وحي هو ذكر، يذكر الله به عباده.

لكن الله لم يحفظ من الذكر إلا ذكره الأخير، أي القرآن، فهو الذي تكفل الله بحفظه بقوله: "إنا نحن ننزلنا الذكر وإننا له حافظون" (الحجر: 9)، بدلاً السياق الذي وردت فيه الآية، إذ يقول الله: "قالوا بيتاً النبي الذي نزل عليه الذكر إنك لمنحي وَلَوْ مَا كُتِبَتَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُتِبَ مِنْ الصَّدَائِقِ" ما ننزل الملايكة إلا
عن دعاوى المبطلين

إننا نحن نزلنا الذكر و إننا لى حافظون (الحجر: 6-9)، فالذكر المحفوظ هو الكتاب المنزل على النبيﷺ كى هو ظاهر في السياق. وهكذا يبين وضوح المعتقد الإسلامي بخصوص ما أنزله الله على الأنبياء، وكذلك يبين تحريف الكتب الحالية وتبديلها، وأنها ليست من عند الله.

***
على دعاوى المبطلين

الأخطاء المزعومة في القرآن الكريم

أولاً: العين الحميدة

استشكل البعض ما ورد في سورة الكهف، في سياق الحديث عن رؤية الملك ذي القرنين الشمس، وهو تغريب في عين حميدة، وذلك في قوله: «حنى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغريب في عين حميدة ووجد عندها فوماً قلنا يا دا القرينين إذا أن تعذب وإمآ أن تتخذ فيهم حبساً» (الكهف: 86)، فتساءلوا كيف تغريب الشمس في عين صغيرة على الأرض، وليست نجم عظيم يدور في السماء؟ لا ريب أن القول بغياب الشمس في عين أو بحر بعيد كل البعد عن أبسط معارفنا العلمية التي قررها القرآن منذ زمن بعيد، فقد ذكر القرآن أن الشمس والقمر والأرض كواكب أو نجوم تسحب في أفلاكها في السماوات وهى الذي حلق الليل والنهار والسماء والقمر كل في ذلك يسبحون (الأنبياء: 33)، فكل ذلك الخاص الذي لا يتداخل مع ذلك غيره، فكيف يسوغ - بعد ذلك - أن ينسب إليه القول بغروب الشمس في عين من عيون الأرض.

إن هذا القول أبعد ما يكون عن لفظ القرآن ومعناه، ولو كان هذا الفهم المغلوط مراداً؛ لوجب أن تشرق الشمس من نفس المخل وعلي نفس القوم الذين غربت عليهم، وهو ما لا يظهر عاقل، ولو صغرت سنة، وهو ما ينبغي القرآن في نفس السياق، إذ بعد غياب الشمس انطلق ذو القرنين نحوه مشاهدتهما «لم أعط سبباً حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغريب على قوم لم يجعل لهم من دونها يستراً» (الكهف: 89-90).

القرآن في هذه الآية وصف ما تبدو لذي القرنين ساعة الغروب، حيث وجدتها تغريب في عيني حميدة، ولم يقتل القرآن: إن الشمس تغريب في تلك العين.
ومثل هذا كمثل ما يراه الناظر من غروب الشمس في البحر أو خلف جبل،
فهو يٌجدُها كذلك فيما يتبدي له، وهي في حقيقتها ليست كذلك.
وقد يُرى الفهم لسياقها ليس تأولاً لها في عصر العلم، بل هو قول معرف تداوله
العلماء منذ قرون طويلة، فقد نقل القفال (ت ٢٧٧) عن العلماء قومهم في تفسير
هذه الآية: "ليست المراد أنه انتهى إلى الشمس مغبًا ومشرقًا حتى وصل إلى جرمها
ومسها، لأنها تدور مع السماوات حول الأرض، من غير أن تلتقي بالأرض، وهي
أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافًا
مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العصيرة من جهة المغرب ومن جهة الشرق،
فوجدناها في رؤي العين تغرب في عين حثة، كما نشاهدها في الأرض المساء
كأنها تدخل في الأرض، وهذا قال: "وَجَدَهَا تَطُورُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ يَجَعَّلُ هُمْ مَن
دُوِيَّيْتُا سِنَأًا، ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تمسهم وتلاصقهم".
وقال الرازي: "ثبت بالدليل أن الأرض كرة، وأن السماوات مختلة بها، ولا
شك أن الشمس في الفلك، وأيضاً قال: "وَجَدَهَا عَنْدُهَا قَوْمًا" وتعلوه أن
جِلوس قوم في قرب الشمس غير موجود، وأيضاً الشمس أكبر من الأرض
بتوات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض، إذا ثبت هذا فنقول:
تأويل قوله: "تَغْرَبُ بِعَيْنِ خَيْمَةِ" من وجهه:
الأول: أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب ولم يبق بعده شيء من
السماوات وفد الشمس كأنها تغرب في عين وحدة مظلمة، وإن لم تكن كذلك في
الحقيقة، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغرب في البحر إذا لم يسر الشط، وهي
في الحقيقة تغيظ يوم البحر، هذا هو التأويل الذي ذكره أبو علي الجبائي في تفسيره

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطي (١١١/٥٠).
عن دعاوى المبطلين

الثاني: أن للجانب الغربي من الأرض مساكن يحيط البحر بها، فانظر إلى الشمس تتخيل كأنها تغيب في تلك البحار "1"

وقال ابن كثير: "حتى إذا بلغ مغرب الشمس، أي: سلك طريقًا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب، وهو مغرب الأرض. وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السياق فماتبعد، وما يذكره أصحاب القصص والأحاديث من أنه سار في الأرض مدّة والشمس تغرب من ورائه فشيء لا حقيقي له. وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب، واختلاص زنادقهم وكذبهم. وقوله: "وَجَدَهَا تَغَرِّبُ فِي عَيْنٍ كَبِيرَةٍ" أي رأى الشمس في منظر تغرب في البحر المحلي، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحلة، يراها كأنها تغرب فيه، وهي لا تفارق الفلك الذي هي مثبتة فيه لا تفارقها"2".

وأما قول هذا المعنى مشهورًا عند العلماء في القديم والحديث، ومنه قول سيد قطب: "مغرب الشمس هو المكان الذي تغرب عنده وراء الأفق، وهو يختلف بالنسبة إلى المواضع، فبعض المواضع يرى الرائي فيها أن الشمس تغرب خلف الجبل، تغرب في الماء كما في المحيطات... والظاهرة من النص أن هذا القرنين غرب حتى وصل إلى نقطة على شاطئ المحيط الأطلسي... فرأى الشمس تغرب فيه، والأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار حيث تكثُر الأعشاب، ويجتمع حولها طين لزج هو الحمام، وتوجد البرك، وكأنها عيون الماء... عند هذه الحماة وجد ذو القرنين قوماً...").3"

ولكن كان الدعوي هذه الأبطولة يحدث عن غروب الشمس في عين؛ فإن

(1) التفسير الكبير، الرازي (116/21).
(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (191/3).
(3) في ظلال القرآن، سيد قطب (2291/3).
القرآن تحدث عن مغاري الشمس، وأراد بذلك - والله أعلم - ما نعرفه اليوم من دوام الغروب والشروق بدوام دوران الأرض حول محورها.

وتشكل على هذا المعنى ما روي عن النبي ﷺ من حديث أبي ذر: "يا أبا ذر، هل تدري أيّن تجيب هذه الشمس؟ إنّها تغرب في عين حمزة، تنطلق حتى تخطر لربنا ساحة تحت العرش، فإذا كان خروجها آدن الله لها، فإذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها".

لكن هذا الحديث لا يصح نسبته إلى النبي ﷺ، لأنه من رواية سفيان بن حسين الواسطي السلمي، وهو راوٍ ووحي حديثه أهل التحقيق والاختصاص.

فقد سأل المروزي الإمام أحمد عن سفيان بن حسين كيف هو؟ فقال:
"ليس بذلك، وضعته".

وقال ابن أبي شيبة: "كان ثقة، ولكنه كان مضطربًا في الحديث".

وقال محمد بن سعد: "ثقةٌ خطيئة في حديثه كثيرًا".

وقال يحيى بن معين عنه: "ليس بالحافظ".

وعلى فيه فلا اعتداد بروايته، فهي دون مرتبة الاحتجاج، واستبان براءة القرآن من الفهم السحيف بأن الشمس تغرب في بئر ماء.

(1) أخرجه البزار (4/10).
(2) تاريخ بغداد، الخطيب (149/9).
(3) مهذب الكمال، المزي (11/141).
(4) الصدر السابق (11/139).
(5) مهذب التهذيب (4/190).
عن دعاوى المبطلين

ثانياً: مريم أخت هارون


والجواب: أن هذه الأبطولة من أقدم الشهادات المطروحة على القرآن الكريم، وقد تولى الرد عليها وبيان أغلب وطئة قائلها النبي ﷺ، وما يزال أقوام يرددون هذه الشهية البائدة.

جاء في صحيح مسلم أن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقزون؟! يا أخت كارون!، وموسى قبل عبسي بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم».

فهذا البيان النبوي تبين أن هارون أخا البتلول مريم ليس بهارون أخی موسى، كما توهم نصارى نجران والمبطلون من بعدهم.

ولو فهموا لغة العرب وسعه ألفاظها لما قالوا ما قالوه، فالعرب تطلق كلمة الأخ على الشبهة وعلى قريب النسب؛ وإن لم يكن أخا فأما الشبهة، فكقول الله عز وجل: «إن المبذرين كانوا أخوان السبائين» (الإسراء: 27)، فالمبذر بمثابة أخ للشياطين، لشبهه بهم.

وأما أخوة القرابة فكقوله تعالى: «وألي تعود أخاهم صالحًا» (الآعفا: 73).

(1) أخرجه مسلم ح (2135).
ثالثًا: هل القلب العاقل مسؤول عن القلب؟
قالوا: يعرف علماء التشريح اليوم أن القلب عضلة ضخمة للدم فحسب، وأن مراكز الإحساس والتفكير في الدماغ، بينما القرآن يؤكد أن القلب الذي في الصدر هو مركز التفكير. إن القلب يأتي في الأزمات، فقلوب الناس يعيدون إليها أولاً أو آخرون يعطفون عليها فإنها لا تعود الأضرار ولكن تعود القلب التي في الصدر. (الحج: 46).
والجواب: أنما يتعلق بمسألة علاقة القلب بالفلك، مسألة علمية ما زالت العلامة والأطباء يراوحون فيها بين مثبت ومنكر، وهي مسائل ظنية لم ترق إلى كونها حقيقة علمية، ومن كان هذا حاله لا ينهض للاحتجاج به إزاء الحق الذي أوجاه الله تعالى بقوله: "ألا يعلمون من حلق وحُوْلُ اللَّطِيفِ الحَبِيرِ" (الملك: 4). ثم إن القرآن تحدث عن الأعين والاذان والقلب المادي، وتحدث أيضاً عن العيون والاذان والقلب الوعائي، وهذه الأعضاء في حال دلالتها على الهوى تكون أعضاء عامة، وحين تتذكر للحق وترفضه فإنها تكون في حكم العلم، ولذلك وصف الله الذين لا يعلمون الحق ولا يسعونهم بهم: "فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ" (الأبرار: 18)، فهم صم عن الحق، لا عن السماع، وهم بكم وعمى. وعمى هذه المثابة أيضًا.
وهو هذا مثله في القرآن كثيراً: "وَمَثَّلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَّلٍ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَيَدْعُو صَمًّا بَعْضُهُمْ عَمَّيْ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" (الأبرار: 171)، وقوله: "وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا صَمًّا وَبَكَّمَ في الظُّلُمَاتِ" (الأنعام: 39).
وهكذا فحين يتحدث القرآن عن العيون والاذان والألسنس لا يقصد الجوارح المحوسية، وإنما يقصد ما وراءهما من العقل والإدراك الإبصاري، ومنه قول الله: "تُؤْلِيَ الْرُّوحُ الْأَمِينَ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ" (الشعراء: 200).
وهو هذا المذكور عن هذه الجوارح ينطبق على القلب تماماً، فالقلب التي يتحدث عنها القرآن هي القلب المعنوية، لا المضغة الحسية، ومثاله في القرآن كثير، كقوله: «وَلَكِنْ قَسَّسَ قُلُوبُهُمْ وَرَزَّبَ هُمَّ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الأنعام: 43)، وكقوله: «لَا تَفْخَمِ النَّاسَ وَتَعْمَلُنَّ قُلُوبُهُمْ يَذَّكَّرُ الله أَلَا بِذَٰلِكَ اللَّهُ» (الرعد: 28).

والمقصود في كل هذا القلب العائلا، لا المضغة الصنوبرية التي في الجسم، كأنما يشار إلى الأرض من قلب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعني الأفكار، ولكن تعني القلوب التي في الصدور (الحج: 40).

ومثله في كلام النبي ﷺ: «يا مقلب القلوب»، فالمقصود تقليب القلوب المعنوية من الكفر إلى الإسلام، وليس المقصود تقليب القلوب المادية.

ووهذا الفهم ليس بعيدًا عن العالما المسلمين، بل هو قديم نقله الرازي في تفسيره عن بعض السلفين، وعزاء ابن أمير الحاج المتوفى سنة 879هـ إلى عامة أهل السنة والجماعة بقوله: "وعلها أي القوة التي هي العقل: الدماغ للفلاسفة وخصوصاً الأطباء، وأحمد في رواية، وأبي المعين النسفي، وعزاء صدر الإسلام إلى عامة أهل السنة والجماعة، فقال: وهو جسم يعتني به رضوان عند عامة أهل السنة والجماعة، وأثره يقع على القلب، فيصير القلب مدركاً بنور العقل الأشياء، كالعينون: تصير مدركة بنور الشمس وبنور السراج الأشياء".

وأما قناله عن القلب والعيون والآذان المعنوية الإبداعية ينطبق تماماً على الصدور، فتقرأ في القرآن والسنة حديثًا متكرراً عن انشرحاء الصدر وانقباضه.

(1) أخرجه الترمذي ح (1403)، وأحمد ح (1197).
(2) التقرير والتحبير، ابن أمير الحاج (737/8).
وضيقته وظلمته، وليس المراد الصدر الجسدي، بل المراد الصدر المعنوي َوَيُقْسِمُ صَدْرُهُ وَلَا يَنطِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى مَارُونَ (الشعراء: 13)، {أَفْسَنُ شَرْحِ اللَّه صَدْرِهِ لِلإِسْلَامِ} (الزمر: 22)، {أَلَّا تَسْحَرْ لَكَ صَدْرُكَ} (الشرح: 1)، {وَقَرْنِ هُنَا مَا فِي صُدْورِهِمْ} (الأعراف: 43)، {قُولُوا حَجَارَةٌ أَوْ حُجَارَةٌ أَوْ حَجَارَةٌ} (الإسراء: 49-50)، {وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تَكْنُ صُدْورُهُمْ وَمَا يُعْلَنُونَ} (النمل: 47)، فكل هذا حديث عن الصدر المعنوي لا التجويف المسمى بالقصص الصدري.

وجاءت نصوص قرآنية ونبوية تجمع بين الصدر المعنوي والقلب المعنوي، منها قول الله: {مَن كَفَرْ بِاللَّهِ مِن بَعْدٍ إِبْتِيَانَهُ إِلَّا مَنْ أَكْرَهُ وَقُلْتُهُ مُطْمِئِنًا بِالْإِيَانَ} (النحل: 106).

ومثله قوله: {وَلَيَصَلِّوا مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمُ بُدْنَاتِ الصُّدُورِ} (آل عمران: 154)، ومثله قوله النبي ﷺ: {وَالإِنْثَامُ ما حَالَكُ في الْقَلْبِ وَتَرَدْ بِالصَّدْرِ}.

وهكذا تبين أن القرآن حين تحدث عن حواس الإنسان فإنها قصد العيد الإياني المعنوي لها، وكذلك نسب التحكم فيها إلى القلب والصدر الإياني المعنوي، لا الحسي، فثبت بذلك صدق القرآن، وتبين فساد هذه الأبطولة من أباطيل المرجفين.

(1) أخرجه أحمد ح (17540).
رابعاً: النجوم التي تترجم بها الشياطين

قال تعالى: القرآن يتحدث عن النجوم السارة المحيئة في حجمها، والتي يكبر حجم بعضها الأرض آلاف المرات، وأن الله خلقها ليترجم بها الشياطين، وأنها تتحرك في السماء خلف هذه الشياطين، وهذا المعنى الغريب - ورد حسب اعتقادهم - في قوله تعالى: "ولقد زِنِّيت السَّماَءُ الدُّنْيَا بِمَصِيبَاتِهِ وَجَعَلَناهَا رَجُومًا للشَّيَاطِينَ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرَ" (الملك: 5).

والجواب: إن القرآن لم يقل: خلق الله النجوم لأجل هذا، ولم يقل أن النجوم السارة تتبع الشياطين، بل أخبر تعالى أنه خلق في السماء مصائب، أي أجساماً منيرة مضيئة تحرق الشياطين.

وهذه المضيقات قد تكون نجوماً، وقد تكون شهباً، فالأمر محتمل للمعنى.

لولا أن الآيات القرآنية تبين أن المقصود من المصائب الشهب ؟ لا النجوم، قال تعالى: "وَأُنَّا كَانَتْ مَنَأَذَٰٓ أُمَّةٌ مَّقَاعِدَ لِلسَّمَٰعِ مَنْ يَسْمِعُ الْأَنَّى يُجَذِّبُهُ شَهَاباً رَّضِيَ اللهُ عَنْهُ (الجن: 9)، وقال: "وَحَفَظْنَاهَا مِن كُلِّ شِيَاطِينِ رَجُمِ" إلاَّ مِنْ أَسْتَرَقَ السَّمَعُ فَأَتَبَعَهَا شَهَابٌ مُّيِّنٌ (الحجر: 17-18)، وقال: "إِلَّا مِنْ حُذُفَ الحُذْفَةٍ فَأَتَبَعَهَا شَهَابٌ تَأْقِبُ " (الصافات: 10)، فالشهب هي الأجسام المضيئة التي تحرق الشياطين، وهذه الشهب منها الكبيرة، ومنها الصغيرة، وهي نجوم أو كواكب مفتوحة تسحي في الكون الفسح، فإذا شاء الله عقوبة واحد من الشياطين سلط عليه واحداً من هذه الشهب، فجعله به، إذا الذي يستنكره العاقل في عقوبة الله لهذه المخلوقات بحرقها به شهب السماء؟
хранا هل القرآن يشجع على فعل المعاصي?
قالوا: القرآن يشجع على المعاصي من غير الكبائر يقول: "وَلَا تَقْتُلْ عَلَى فُخُورٍ شَخْصٍ إِلَّا مَنْ فَهَّلَ عَلَيْهِ الْمَالُ وَهُوَ لَا يَرَى الْمَلَك". وقد على الموت في الأرض. وكان معاصي الذين أصابوا بغيلاً عُجلوا وتمهداً الذين أحسسوا
بِالْحُسْنِ لَهُمْ كَبَائِرُ الْإِنْجِيْلِ وَالْفُواحِشِ إِلَّا الْلْهَمَمَ إِنْ رَبُّكَ وَإِسْعَ الْمُغْفَرَةِ (النجم: ۶۳-۶۴)، فإذا هذا الوعد الإلهي باللممة لأصحاب المغفرة
يغري بها.
والجواب: أن العلماء اختلفوا في اللملمة المعفو عنه على أقوال ذكرها الطبري
في تفسيره: "أ. أنها ذنوب الجاهلية يغفرها الله في الإسلام، قال الطبري: "معنى الكلام:
الذين يجتربون كبار الإثم والفواحش، إلا اللملمة الذي ألمعوا به من الإثم
والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام، فإن الله قد عفا عنهم، فلا يؤاخذهم به".
ب. أنهما يلم به المرء، أي يصيبه من ذنب صغير أو كبير من غير إصرار
عليه، ثم ينتوب منه، قال أبو هريرة: (اللممة من الزنى، ثم ينتوب ولا يعود،
واللممة من السرقة، ثم ينتوب ولا يعود؛ واللممة من شرب الحمر، ثم ينتوب ولا
يعود، فتلك الإسلام)، وهذا المعنى مروي عن عامة أصحاب النبي ﷺ، قال
الحسن: (كان أصحاب النبي ﷺ يقولون: هذا الرجل يصيب اللملمة من الزنا,
واللممة من شرب الحمر، فيخفيها فيتوب منها).
ج. أنها صغار الذنوب مما لا يوجب حداً في الدنيا ولا توعد بعقابه في
الآخرة، وقد رجحه الطبري مسندلاً بقوله تعالى: "إِنْ تَجَبَّرَتْكُمْ سِيَتَاتٌ كَمْ وَتَنْخَلُّكُمْ مَذْهَلًا كَرِيَاءً" (النساء: ۶۳)، فاجتناب الكبائر
سبب في مغفرة الصغير، لكن هذا أيضاً متعلق بالتوبة وعدم الاسترسال في
(1) جامع البيان، الطبري (۲۲/۵۳۲).
التوبة الصغيرة، حتى لا تتحول باستمرارها إلى كبرى، فقد سأل رجل ابن عباس: كم الكبيرة؟ سباعاً هي؟ قال: (هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، وإنها لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار).

ولذا حذر القرآن الكريم من الصغائر، وأخبر أن الله يكتب على العبد الصغير من عمله والكبر، فإذا قامت القيامة وجد العبد الجمع بين يديه ووضع الكتب فترى المحرمين مشفيين مهما فيه ويقولون يا وليلتنا ما هذا الكتب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أخصائهما ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلمون ربكم أحماً (الكهف 46)، وهم يعممون متقال دُروَّة شراً شرٌّ (الزلزلة 8)، وسوف يحاسب الله العبد المؤمن على هذه الصغائر فأما من أوثى كتابة بينهم فسُوَّفُ يحاسب جُنُّباً تَبِيراً (الإتنافق 7-8).

كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الصغائر في مواضع كثيرة، منها قوله: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»، وقوله: «إياكم ومحرات الذنوب، فإنها مثل محرات الموت كقوم نزلوا في بطن واد، فجاجة ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبيزتهم، وإن محرات الذنوب لم تأخذ بها صاحبها تهلكه»، وقال: «يا عائشة إياك ومحرات الأعمال، فإن لها من الله طالباً».

قالوا: إذا كان الله لا يجعل المحرمون جزاء للمؤمنين، فما باله جعل الخمر جزاء لهم؟!

والجواب: حرم الله الخمر لما فيها من تعبيلة لموهبة العقل التي منحها الله للإنسان، والتي ميزه بها عن الحيوان، فقد بعث الله الأنبياء وأنزل الشرائع لحراسته هذا المقصد النبيل، فحرم قليل الخمر وكثيرها (ما أسكر كثيره فقليله حرام)

ولعن رسول الله ﷺ في الخمر كل مساهم فيها في شيوع فسادها، يقول آنس ﷺ: «العن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصراها ومعتصرها وشاربها، وحاملها ومحملها إليه، وسائقيها وبائعها وآكل ثمنها، والمشتري لها والمشترأ له».

فإذا عرفت علة التحريم في الدنيا؛ عرف علة كونها حلالاً في جزاء للمؤمنين في الآخرة، فخمر الجنة ليس فيها واحدة من المزرات الموجودة في خمر الدنيا، وكما قال ابن عباس رضي الله عنها: (ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأشياء).

ولقد وصف الله خمر الجنة بأنصح الوصف، وزندها عياً عيتي خمر الدنيا من الفساد، فلنكن خمر الدنيا لما يستحق طعمه؛ فإن خمر الجنة لذة للشامرين: 

"مثل الجبنة التي وعده المتقون فيها أنهار غير آسية، وأنهار من لبجين لم يتفجر، طعمة وأنهار من خمر لذة للشامرين، وأنهار من عسل مصيف" (الإسراء 15).

ولكن كانت خمر الدنيا المحرمة تذهب العقل؛ فإن خمر الجنة ليست كذلك:

(1) أخرجه الترمذي (1865)، والناساني (620)، وأبو داود (7381)، وأبي ماجه (1379، 3393).
(2) أخرجه الترمذي (1195)، وأبي ماجه (3781، 3781)، وأحمد (4772، 4772).
(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسیره (76).
عن دعاوى المبطلين

«يطَافُ عَلَيْهِم بَكاَسٍ مِن مَعيِنٍ يَبْضَاءَ لَنَّهَا للشَّارِيَّينَ لَا فيَهَا غَوْلُ وَلَا هُمُ عَنْهَا يُطَفُّونَ» (الصافات: 45-46)، فاختلاف الأحكام لاختلاف الخواص والصفات.

ولكن كانت خمر الدنيا تصدع رؤوس أصحابها وتعرضهم؛ فإن خمر الجنة منزهة عن ذلك، فالولدان المخلدون يطوفون عليهم "يَأَكَوْبُ وَأَبْرَارُ وَكَأْسُ مَعِينٍ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُطَفُّونَ" (الواقعة: 18-19).

قال الطبري: "لا في هذه الخمار غول، وهو أن تغتال عقولهم، يقول: لا تذهب هذه الخمار بعقول شاربيها كا تذهب بها خمور أهل الدنيا إذا شربوها فأكثروا منها، قال الشاعر:

وما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول الأول

وأكد الله هذه الخصاصة لخمر الجنة بقوله: "وَلَا هُمُ عَنْهَا يُطَفُّونَ" (الصافات: 47)، قال الطبري: "من الإنزاف بمعنى: ذهاب العقل من السكر، ومنه قول الأبيز:"

لعمري لزن أنزفتموا أو صحتم لبس الندامى كتمن آل أبجرا"

وهكذا يستبين للمنصف خطأٌ وحجي أصحاب الفهوم المعوزة أو المنكوبة على القرآن الكريم الذي أرسله فضائل الأخلاق ومعالي الآداب، وأقام حضارة ذخرت بالقيم التي لم تعرفها من قبل ولا من بعد أمة من أمم العالمين.

***

(1) جامع البيان، الطبري (37/367).
(2) جامع البيان، الطبري (40/421).
الأخطاء اللغوية المزعومة في القرآن الكريم

أولاً: الأخطاء النحوية المزعومة في القرآن

قال بعض من يزعم أن من أبناء العبرية: إن في القرآن أخطاء نحوية خالف فيها قواعد اللغة العربية، وهذا يدل على أنه ليس من كلام الله، لأن الله لا يخطئ، قالوا هذا حين استشكلوا بعض آيات القرآن؛ ورأوا على خلاف ما تعلموه في دراستهم لقواعد النحو في المرحلة الابتدائية، فظفروا أن في هذه الآيات خطأً فات الأولين، وأنهم تنبؤوها - بعقريتهم - بعد مر القرون.

وقبل أن تعرض لأهم الآيات التي استشكلوها، نجيب بأجوبة إجمالية بين

يدي البحث:

أولاً: أن العرب الذين نزل فيهم القرآن كانوا أفصح الناس، وكان فيهم أصحاب المعالقات كليب بن ربيعة الذي ترك نظم الشعر بعد ساعته للقرآن، ولم يستشكل ما استشكله أعاجم العرب اليوم، كما لم يستشكله مشركو قريش وغيرهم، رغم عداوتهم القرآن وحرفهم النبي وحورصلهم على معاداة دينه ونثيروا قوماً لدنا (مر: 97)، لكنهم كانوا أربعاً أقحاماً، فعرفوا ما جهلوه أهل العجمة من العرب اليوم.

ثانياً: أن اللغة في أصلها سياسية، لا قاعدية، فالعبري حين كان ينطق بالفاعل مرفوعاً، لا لأن آباءه علموه أن الفاعل مرفوع، بل لسلبيته العربية التي نشأ عليها منذ طفولته.

لكن في القرن الثاني من بعثة النبي دخلت الفرس والروم والترك وغيرهم في الإسلام، وتكلموا بالعربية، فظهر اللحن، وضعامة السليقة، مما دعا العلماء المسلمين لوضع قواعد اللغة المعروفة عندنا اليوم، وقد وضعوها اعتيادًا على مصادرين أساسيين: الأول: القرآن الكريم، والثاني: ما ورد عن العرب في
أشعاراتهم، وكلامهم، فالقرآن هو المصدر الأول والأساسي لقواعد العربية.
لكن العرب الفصحاء قبل وضع هذه القواعد لم يكونوا على نسق واحد في الإعراب والأساليب اللغوية، فكل قبيلة خصوصيتها اللغوية وقصائدها وشعرها وأدبها وإثراؤها للغة الضاد، فعمد مقعدل اللغة إلى الشائع عند عموم العرب، وأهملوا غيره ما هو فصيح تنطق به بعض قبائل العرب.
ولو شئنا أن نضرب مثلاً لقنا: الشائع في قواعد اللغة حذف ضمير الفاعل من الجملة إذا جاء الفاعل اسياً ظاهراً، فيقول عموم العرب: (جاء المسلمون)، ولا يقولون: (جازوا المسلمون)، لكن قبيلة طيء تحيز إثبات ضمير الفاعل، مع وجود الاسم ظاهر، وهي اللغة المشهورة عند النحاة بـ (أكلوني الفريغيث).
ومنه قول أبي فراس الحمداني:

\[ \text{فَإِذَا قَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ أُمَيَّةَ} \]

القَحْنَهَا غَرْبُ السُّحَبَاءَ
وقد قال محمد بن أمية:

\[ \text{رَأَيْنَ الغَوَائِيَ الشَّيْبَ لَاحٍ بِعَارِضِي} \]

فَأَعْرَضَ عَنِيَ الْخَطْوَدِ النَّوْاصِرِ
فالشاعران ذكرا ضمير الفاعل (نون النسوة) في قولهم: (القَحْنَهَا)، (رأين).
مع ذكر الفاعل الظاهر بعده، وهو قولها: (غرُبَ)، (الغواي).
فلأ يصح أن يقال عن قوله: (رآين الغواي) بأنه لحن، وأن صحيحة حذف الضمير: رآت الغواي، فقد نطق به الفصحاء من العرب؛ وإن جاء على خلاف قواعد المتأخرة منهم، أو بالأحرى على خلاف الشائع عند الكثير من قبائل العرب.

والمثل شاعر اليوم عندنا استخدام كلمة (الذين) فيمعنى الوصل، وهي لغة فصيحة عند العرب، ومثلها في الفصحاء ما يقوله بنو عقيل وغيرهم من العرب.

(1) شرح شذور الذهب، ابن هشام، ص (229)، وفقه اللغة، التعالبي (2/529).
الذين يستعدين عنها بكلمة (الذون)، وكذلك (الذو)، كما في قول الشاعر:

قوني الذو بعكاظ طبروا شرأ
من روس قومك ضرباً بالمصافيل

وقول الآخر:

نحن الذون صبحوا الصباحا
يوم النخيل غاره ملححا

ومثله قول الشاعر الهمالي:

هم اللاونون فكوا الغل عنى
بمرو الشاهجان الى الجناح

فهل سيقال عن قبيلة هذيل أنها تلحن لقوهم (اللاون)، في حين أن غيرهم من العرب يقول (اللائي)؟

ومثله حذف بعض العرب نون النسوة من الفعل المرفع، في حين أن القواعد التي وضعها المتفقون بعد ذلك تعتبر إثبات النون علامة على رفع الفعل، بينما حذفها يعني جزمه أو نصبه، فهل سيقول أعمام العرب اليوم أن هؤلاء العرب الأخناح يلحون؟

وهل سيتهمون الشاعر المدعو بشار بن برد باللحن والجهل لأنه حذف نون النسوة في قوله:

فلقد كان ما أكابدها
ومن القلب يتركاني وحيدا

ثالثاً: القرآن نزل بلسان عربي مبين (قرآناً عرية غريblingyriج (الزمر: 28)، والعرب لم تعرف قواعد اللغة إلا بعد الإسلام، وقد وضعها المسلمون كأخيلين بن أحمد وسبيويه وابن نفطيه وأمثالهم، واستبطوها من القرآن أولاً ثم

---

(1) شرح الرضي على الكافية، الأسترابادي (3/30).
(2) شرح ابن عقيل (1/144)، ومعجم القواعد العربية، الدقر (24/328).
(3) مغني اللبيب عن كتاب الأعازب، ابن هشام الأنصاري، ص (153). 
(4) انظر: بشار بن برد – شخصيته وفقه، إبراهيم عوض، ص (392).
من أشعار العرب ومأثوراتها ثانياً، فكيف يحاكم القرآن إلى قواعد وجدت بعده، بل أخذت منه.

إن تقريرنا لهذه القواعد العامة كاف في الرد على كل الأباطيل المتعلقة بال نحو، لكن كفايتها لن تمنعنا من الرد التفصيلي على ما استشهد عليه أصحاب الشبهات والأباطيل:

المسألة الأولى: رفع اسم (إن).

قالوا: أخطأ القرآن في قوله تعالى - حسب قراءة نافع وابن عامر وهمزة والكشافي وأبي بكر عن عاصم - إن هذان لساحران فقالوا: رفع القرآن اسم إن بالألف، وكان المفروض أن ينصبه بالباء، يقول: (إن هذين لساحران).

والجواب من وجهين:

الأول: أن قوله تبارك وتعالى: إن هذان لساحران جاء على لغة بلحارث بن كعب وزبيد وخمثم وهمدان ومن وليهم من قبائل اليمن، حيث يلزمون المنتهى الأولف مهما كان موقعه من الإعراب، قال ابن جني: "من العرب من لا يخفف اللبس، ويجري البيبة على أصل قياسه، فيبدع الألف ثابتة في الأحوال، يقول: قام الزيدان، وضربت الزيدان، ومrerت بالزيدان، وهم بنو الحارث وбитن من ربيعة".

ومن صور ذلك قول شاعره هوير الحارثي:

تزود منا بين أذناء ضربة دعته إلى هابي الترب عقيم

(1) سر صناعة الإعراب، ابن جني (2/104)، وانظر: نكت الانتصار لنقل القرآن، الباقلازي، ص (130).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (11/217)، وانظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني (2/705).
فألزم المنى الألف في قوله: (بين أدنه)، ولم يقل (بين أذنيه) كما هو معهود في قواعد اللغة التي كتبها النحاة بعدة حسب الشاعر عند غير قليلهم من قبائل العرب.

ومثلاً قول جرير بن عبد العزيز الخرثي:

فأطرقت إطراق الشجاع وَلَوْ رأى مساجاً لِلذِّنابَة الشجاع لصَمَّهَا.

فألزم المنى الألف في قوله: (ذناباه)، مع أنه محرر باللام، فهذه لغة قومه، وهم من هم في الفصحاء والبلاغة.

ومثلاً قول الآخر:

أعرف منها الجيد والعينان ومنخران أشبها ظبياناً.

وفيما من شواهد مسألتنا ثلاث كلمات (العينان) و (منخران) و (ظبياناً)، فهي جميعاً مثنا منصوب بالذروة: خلافاً لما تقعده العلماء بعد ذلك رفقاً للمشهور في لغة العرب من نصب المنى بالباء.

الوجه الثاني: أن من العرب الألفاظ القصيرة من يقلب كل ياء ساكنة.

انفتح ما قبلها إلى (ألف).

وبمثل هذا قال أبو النجم العجلي:

وهاها لسالمي ثم واهوا واهوا
යالت عيناها لنا وفناها
إن أباه وأبا أباه قد بلغا في المجد غايتهما.

فقد أبدل الشاعر اللب الساكنة المفتوح ما قبلها بالذروة في قوله: (عيناهما).

بدلاً من عينيها) وكذلك (غايتهما بدلاً من غايتيها).

(1) انظر: المصدر السابق (11/172)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (2/404).
(2) شرح ابن عقيل (11/172)، وانظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني (2/705).
ومثله قول الشاعر:

أي قلصوا راكب تراها
ناجية وناجيًا أباها
طاروا علاهن قطير علاها

قال ابن الحاجب: "القياس: علیهن وعلىها، لكن لغة أهل اليمن قلب الياء

الساقنة المفتوحة ما قبلها، هذا الشعر من كلامهم".(1)

المسألة الثانية: نصب الفاعل

قالوا: القرآن نصب الفاعل (الظلمين) في قوله: ﴿وَإِذَا أَبْصَرْنَا إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بَكْثَارَةً فَأَقْتَلْنَاهُ إِلَّاٰ جَابِلَهُ لِيُحَاسِبَهُ إِنَّا تَمَتَّعْنَاهُ وَهُمْ ذَرَّةٌ قَالَ لا يَسَالُ عَهْدِي الظلمين﴾ (البقرة: 24). قالوا: والصحيح أن يقول (الظلمون)، فالظلمون لا ينالون العهد. فجعل القرآن الفاعل منصوبًا!

الجواب: أن القرآن الكريم رفع الفاعل في مواضع لا تحصى لكثرةهما، ورفع الفاعل أمر يدركه صغار طلب الكتاتيب، ولا يحتاج في معرفته إلى خبر في اللغة العربية، فإذا علم ذلك فإن الخصيف إذا ما وجد أمرًا استغربه - في كتاب ما لوروده على خلاف المعهود فإنه لن يسارع إلى تجهيل المؤلف أو تغليطه، إذ مثل هذا لا يغلط به أحد.

والحق أن الخطأ وقع فيه المتقذرون الذين ظنوا أن الفاعل في الآية هو (الظلمون)، والصحيح أن (العهد) هو الفاعل، قوله: (الظلمين) مفعول به، والمعنى: لا يشمل عهدي واستخلقي الظلمين.

وهو مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخْطَأُوا الْيَوْمَ الْيَوْمِ عَذَابَهُمْ غَضِبَبُ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (الأعراف: 152)، والمعنى: سينال غضب الله الظلمين، ومثله في قوله تعالى:

(1) شرح شافية ابن الحاجب، الأسترابادي (4/65).
عن دعاوى المبطلين

(1) أنظر: الكشاف، الزغشري (196/1).
تنزيه القرآن الكريم

تفعاله العرب لفتًا لنظر القارئ أو السامع إلى أهمية ما بعده وخصوصيته، وتفعله بقصد المدح كما في هذه الآية، أو بقصد اللمد كما في قوله تعالى: "وأمرتُهُم حالتَة (المستد: 4)، أي أعني حالة الخطب، فنصب حالتاً على الاختصاص باللُّغة.

والنصب على الاختصاص سائغ ومعروف في كلام العرب، ولم يستنكره إلا أعاجم العربية اليوم، وقد كثر في أشعار العرب وأدابها، ومنه قول الجرّندق:

بنت بدر بن هَفَّان وهي ترشي زوجه بشير بن عمرو الضبيعي:

لا يعدن قومي الذين هم سم العادة وأفَّة الجُر

والنازلين بكل معتَرَك والطيبين معاَقَد الأُذُن.

فقولها: (التنازلين) منصب على الاختصاص، وليس صفة أو معطوفًا على:

(اسم العادة) و(أفَّة الجُر).

ومثله قول أمية بن أبي عائذ:

وَيَاوَي إِلَى نَسُوهِ عَطْلٍ وَشُعُثَا مُرَاضِيَّ عِمَّالٍ

فنصب شُعُثَا على الاختصاص، مع أنه معطوف على مجرد.

وهي فالأقران الكريم نصب قوله تعالى: "والِقَيِّمَيْنَ" على الاختصاص، والواو هي واو الاعتراس ؛ لا العطف.

المسألة الرابعة: عطف المرفوع على منصب عليه (والصابّان)

قالاً: المعطوف على المنصب حقه في لغة العرب النصب، والقرآن رفعه خالفة قواعد العربية في قوله: "إِنَّ الَّذِينَ آتَنَا وَالَّذِينَ هَادَوْا وَالصَّابِحِنَ (المائدة: 19)، والصحيح حسب حذاقتهم - أن ينصب المعطوف على اسم إن، فيقول: (والصابّان) كما في سورة البقرة "إِنَّ الَّذِينَ آتَنَا وَالَّذِينَ هَادَوْا.

(1) معجم القواعد العربية، الدقر (204/10).
وَالْمَصَّارِيُّ وَالْصَّابِئِينَ مِنْ آمَنَ بِاللهِ (البقرة: ۲۷)، وسورة الحج: (۶۷) إنَّ الْذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالْصَّابِئِينَ وَالْمَصَّارِيُّ (الحج: ۱۷).

وَالجَوَابَ: أنَّ الْمَوَافِقِينَ فِي الآيَتَينَ الأخَرينَ لِلْعِتْف، وَالْمَعْطَوُفُ عَلَى الْمَنْصُوبِ مِنْهُمْ. وَبَيْنَهَا الْأَمْرُ مُخْتَلِفٌ فِي قُوْهُ: "إِنَّ الْذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالْصَّابِئِينَ وَالْمَصَّارِيُّ". فَهُمْ صِيَامُ وَفَاعِلُهُ صِيَامُ، وَخَبَرُ مَنْ عَدَّ، وَقَالَ سَيِبِيهُ، وَمَلَكَ بِهِ إِنَّ الْذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالْصَّابِئِينَ كَذَٰلِكَ، وَوَقَالَهُ "الْمَرْفَعُ عَلَى الْتَقْدِيمِ، وَالْتَخْرِيجِ، وَالْتَقْدِيرِ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالْصَّابِئِينَ كَذَٰلِكَ"، وَمَثَّلَهُ سَيِبِيهُ بِقُولِ الشَّاعِرِ: "وَمَثْلُهُ قُوْلِ ضَابِعِ الْبَرْجِيِّ: "فَمَنْ يَكُونُ أَمْسِىً مِّنْ الْمِدْنَةِ رَحْلُهُ فَإِنَّوُ فَقِيرًاٌ بِهَا لِغَرِيبٍ". "فَرْفَعَ الشَّاعِرُ الْأَسْمَاءَ فِي قُوْهٍ (قِيَار)، وَهُوَ فِي يَوْمِ يُظْهِرُ مَعْطَوُفًا عَلَى مَنْصُوبٍ (يَيَاء). "فَرْفَعَ الشَّاعِرُ (قِيَار) عَلَى الْبَدْنِوْةِ، وَمَعْنَى: إِنِّي غَرِيبُ، وَقَرَّاكَ لَكَ غَرِيبٌ، وَمَثْلُهُ سَوْاءً بِسَوْاءَ رَفْعِ "الْمَصَّارِيُّ" فِي الْآيَةِ الْمُشْتَكِلَةِ. لَكِنْ يُشْكِلُ عَلَى هَذَا التَّخْرِيجِ مَا أُورِدَهُ أَبُو عِيَبَةَ فِي "فَضَائلِ الْقُرْآن" مِنْ خَبَرِ يُرِيدُ أَبُو مَعَاوِيَةَ الْمَضِرِّيَّ مِنْ طِريِّقِ هَشَامِ بِنِ عِرْوَةِ بِسَنَدِهِ إِلَى أمِّ المؤْمِنِينِ عَائِشَةُ بُنتِ اللهِ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتُ لِعَرْوَةَ بِنِ الزَّبَيْرِ فِي أَنَّهَا أَخْطَرَهَا فِي الْكِتَابِ. "فَهَذَا الخَبَرُ لَا يَصْحُ بَسَنَادًا، وَهُوَ مَنْكَرٌ مَنْتَأً. فَأَمَّا ضَعْفُ إِسْنَادِهِ فِي سَبِيبِ أَبُو مَعَاوِيَةَ الْمَضِرِّيَّ، فَقَالَ عَنْهُ المُرْيَ: "رُوِىٓ أُبُو* (1) انظر: "الْجَامِعُ لَأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، الْقَرَطِيَّ" (۲۴۶/۶).
(2) انظر: "تَأْوِيلٌ مَشْكُولِ الْقُرْآنِ، بَنِ تِبْتِيَّةُ، صِحِّبَةُ (۳۰–۵۲)، وَالْمَدْخُلُ لِدِرَاسَةِ الْقُرْآنِ العَظِيمِ"، مَهْدِيَّ مُحَمَّدُ بْنُ سُهَيْبِ، صِحِّبَةُ (۳۳۶).
(۳) أَخْرِيَّهُ أَبُو عِيَبَةَ فِي "فَضَائلِ الْقُرْآنِ حَجَّ (۴۶۹)."
معاوية عن عبد الله بن عمر أحاديث مناكر ، قال ابن خراش: صدوق، وهو في الأعمش ثقة، وفي غيره فيه الاضطراب .

وأما الذبيهي في ميزان الاعتدال فنقل عن الإمام أحمد قوله عنه: "هو في غير الأعمش مضطرب، لا يحفظها حفظاً جيداً، علي بن مسهر أحب إلي منه في الحديث ."

ثم قال الذبيهي: "وقد اشتهر عنه الغلو، أي غلو التشيع ."

وقال أبو داود: "أبو معاوية إذا جاز حديث الأعمش كثير خطأه، يخطئ على هشام بن عروة، وإلي بن إسحاق، وإلي عبد الله بن عمر ."

وأعطى يعقوب بن شيبة أبا معاوية بمثل أخرى هي التلميس، فقال عنه: "ثقة ريا دلس، وكان يرى الإرجاء" . ومن المعلوم في قواعد الرواية أن المدرسة يقبل حديث إذا صرح بالتحديث، [أي قال: حديثي فلان]، ويتوقف فيه إذا عتنعه [أي قال: عن فلان]، وقد عتنع أبو معاوية في هذه الرواية، وهو يتقلع عن هشام بن عروة.

فهذه العلل ظلال بعضها فوق بعض، وكلها تضعف الرواية من جهة إسنادها، ولا تشفع لها ولا تقف بها رواية ابن شيبة" التي يرويها عن أحمد بن إبراهيم الموصلي عن علي بن مسهر، لضعف الموصلي أحمد بن إبراهيم، فقد وصفه أحمد بن حنبل وبيحي بن معين بأنه "لا بأس به"، وهي عند علماء الجرح لا تفيد توقيفاً.

---

(1) تذكيب الكمال، المزي (35) (254).
(2) ميزان الاعتدال، الذبيهي (4) (575).
(3) سؤالات الأجري (1) (147).
(4) ميزان الاعتدال، الذبيهي (4) (575).
(5) تاريخ المدينة المنورة، ابن شيبة (3) (101).
لروايته، كِا لا تفيد جرحاً.
وأما شيخه في هذه الرواية، ابن مسهر فقال عنه ابن حجر: "فاضي الموصل، ثقة
له غرائب بعد أن أضر"، فمن كان هذا حالة ترد عليه غرائه، وتطوي ولا تروى.
ولو فرض المحقق صحة الإسناد فإن في المنذ ما يقتضي رده، إذ ينسب إلى
عائشة رضي الله عنها جهالها بما ذكرناه من أوجه الإعراب التي لا تخفي على العرب
زمن النبي ﷺ، وقد بين ذلك الإمام أبو عمرو الداني حين أعل الرواية لأنها جعلت
"أم المؤمنين رضي الله عنها مع عظيم محلها وقليل قدرها واتسع علمها ومعرفتها
بلغة قومها؛ حتّى الصحابة وخطّات الكتبة، وموضعهم من الفصاحة والعلم
باللغة، وموضعهم الذي لا يجهل ولا ينكرو، هذا لا يسوغ ولا يجوز.
وقد تأوَّل بعض أهلنا قول أم المؤمنين: (أخطؤوا في الكتاب)
أي "أخطؤوا في اختيار الأول من الأحرف السبعة بجمع الناس عليه، لا أن الذين
كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز، لأن ما لا يجوز مرهود بإجماع، وإن طالت مدة وقوعه
وعظم قدر موقعه، وتتآوِل اللحن أنه القراءة واللغة".
وأكد على هذامعنى الزمخشري: "ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه خلّاً
في خط المصحف، وربما النفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب
العرب، وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتان، وعُبِّي عليه أن
السابقين الأولين - الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل - كانوا أبعد همة
في الغيرة على الإسلام وذِبّ المطعان عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلّة ليسدها
من بعدهم، وخرقاً يرفوه من يلحن بهم".

(1) تقرير التدبير، ابن حجر، ص (505).
(2) المقطع في رسم مصاحف الأنصار، أبو عمر الداني، ص (45).
(3) الكشاف، الزمخشري (196/11).
السأله الخامسة: الجمع بين فاعلٍ وفاعل
قالوا: العرب لا يتأتي بضمير فعل مع وجود الفاعل (اسم ظاهر)، حتى لا يكون في الجملة فاعلاءً، بينما القرآن جعل للفعل فاعلًا في قوله: "وأَسْرُوا النَّجُوَا الَّذينَ ظَلَّمُوا"، ورأى المحدثون من أعمام العرب أن الأولي أن يقول: (وأَسْرُوا النَّجُوَا الَّذينَ ظَلَّمُوا)، أي حذف ضمير الفاعل (الواو) في (أسروا)
لوجود الفاعل ظاهرًا وهو قوله: "الذين".
الجواب: سبقت الإشارة إليه في مقدمة هذا البحث، فهذا الأسلوب جائز على لغة طيء وأرد شنوة، وهم من العرب الفصحاء، ويضرب اليوم لهذه اللغة مثلاً، وهو قولهم لغة (أكليوني البراغيث).
والعرب تعرف هذا في آدابها وأشعارها، كما قال الشاعر:
نصروك قومي فاعترضت بنصرهم ولو أنتم خذلوك كنت ذللاً فقد ألقح الشعراء الواو بالفعل في قوله: (نصروك)، مع أن الفعل مسند إلى فاعل ظاهر بعده، وهو قوله: (قومي).
فوقاه كان حسن بن حسن في رثاء مصعب بن الزبير:
تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلاه مبعد وحيم
فقد وصل الشعراء ألف التثنية بالفعل؛ مع أن الفاعل اسم ظاهر (مبعد)، وكان القياس على القاعدة أن يقول: (وقد أسلاه مبعد وحيم).
فوقاه كان حسن بن حسن في رثاء مصعب بن الزبير:
ف sprintf اجل، فأدركه خالاته فخذلته ألا
فلحق نون النسوة بالفعل في قوله: (فأدركته)، مع وجود اسم الفاعل ظاهرًا (خالاته).

(1) انظر الشواهد الشعرية الآتية وغيرها في شرح ابن عقيل (199/1).
وقد تكرر مثل هذا النسق الإعرابي في آيات قرآنية وأحاديث نبوية، منها قوله تعالى: "مَعَمَّواً وَصَمُّواً كَيْرِ مَنْهُمْ" (المائدة: 71)، فقد أُخذ علامة جمع الذكور (الواو) بالفعل في قوله: "مَعَمَّواً وَصَمُّواً" مع أن هذا الفعل مسند إلى فاعل ظاهر بعده، وهو قوله: "كُثِيرُ"، ومنه قوله تعالى: "يُعَافَقُونَ فِي كُلِّ مَلَائِكَةٍ بَاللّهِ وَمَلَائِكَةٍ بِالنَّهَارِ".

فهل تراه بقي لطاعن ما يتكلم به وقد عرف أصالته في لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم.

المسألة السادسة: رفع الفعل المضارع بعد (حتى)
قالوا: أخطأ القرآن حين رفع الفعل المضارع بعد (حتى) في قراءة ورش في حَتْى يُقُولُ وَالرُّسُولُ وَاللَّذينَ آمَنُوا مَعَهُمْ (البقرة: 414)، ورأوا أنه لا يصح فيها إلا الفتح، وهو الوجه المشهور عند بقية القراء.
والجواب: إن (حتى) من أغرب كلام العرب لكثرتهم صور اعرابها، وما تدبر عليه في استعمالاتها، فمنها ما هو للعطف، ومنها ما هو للابتداء، ومنها ما هو لغير ذلك، ولكثر معاييرها واستخداماتها في لغة العرب قال أبو زكريا الفراء: "أموت وفي نفسي شيء من حتى".

وعلى الفعل المضارع بعد (حتى) ثلاث حالات:
1- الفعل المضارع الدال على الاستقبال، ويتبعين نصبه، كقوله تعالى: حَتَّى
تَقَبَّلَهُ إِلَيَّ أَمِّي اللَّهُ (الحجرات: 9).
2- المضارع الدال على الحال، ويتبعين رفعه، ومثل العرب له بقولهم: "شرب
الأبل حتا يجيء البقر يبر بطنه".

(1) أخرجه البخاري ح (555)، ومسلم ح (632).
(2) تاج العروس، الزبيدي ح (127).
3- المضارع الدال على الماضي في معاناه، ويجوز فيه الوجهان: الرفع والنصب، فأما الرفع فلكونه ماضي في معاناه، وأما النصب لكونه صيغة مستقبل، وقد جمعها الراجٌز بقوله: رفعك حالاً بعدها إذا أنتي تلخيص مسألة حتى يأتى في ما مضى معنى فخذ بياني ونصب ما استقبل والوجهان كشريت حتى تحزن الإبل وما تلا (فقاتلوا) (وزلزلوا) وعليه فيجوز الوجهان (الرفع والنصب) في قوله تعالى: ﴿حتى يقول الرسل والذين آمنوا معله﴾ (البقرة: 41)، لأنه ماضي في معاناه.
ثانياً: الأخطاء البينانية المزعومة.
وإذا كان القرآن قد تحدى العرب ببلاغته زمن جزالة اللغة وحجية الناطقين بها، فإن بعض أعلام العرب اليوم يزعمون أن في أساليب القرآن ما لا تفيه العرب في كلماتها، وكان يهم لم يطلعوا على خبر لب الله بن ربيعة العامري صاحب إحدى الملوكات السبعة، وهو من فحول شعراء العرب، فقد سأله عمر بن الخطاب يوماً: أنت من شعرك. فقرأ له لبيد سورة البقرة، فقال: إنما سألك عن شعرك، فقال: كنت لأقول بيتاً من الشعر بعد إذ علمني الله البقرة وأل عمران.
وقد ترك قول الشعر إعجاباً بالقرآن، حتى قبل أنه لم يقل بعد الإسلام إلا بيتاً واحداً، وهو قوله:
ما عاتب الأمر الكريم كنفسه، والمرء يصلحه القرآن الصالح.
وقبل بل قال:
الحمد الله إذ لم يأتيي أجلي، حتى اكتسبت من الإسلام سراً.
إن عظمة البيان القرآني دعت المستشرق بلاشير إلى الإشادة والإعجاب ببلاغة القرآن، وهو الذي لم يسأل جهداً في الطعن في القرآن ومعاداته في كتابه "القرآن الكريم"، لكنه قال: "إذا كان القرآن ليس مرجعًا في بدلاً وتعليمه فقط، إنه أيضًا يمكنه أن يكون قبلاً شارياً أخرى رائعة، تسمى على جميع ما أفرته الإنسانية وجلته من التحف".
وإذا كان الأمر كذلك فلسوف نتوقف مع أهم ما استشكله عبارة البيان في هذا العصر، من لا يفرق بين المرفع والنصوب، والمشبه والمشبه به:
(1) الجامع لأحكام القرآن، القرظي (153/11)، وتاريخ المدينة المنورة، ابن شبة (2/169).
(2) قالوا عن الإسلام، عاد الذين خيليل، ص (52).
المسألة الأولى: عود الضياء في قوله: "وَتَعَزَّرَوَهَّ وَتوَقَّرَوْهَ وَتَسبِحَوْهَ" إلى رسول الله ﷺ.

قالوا: أتى القرآن بترتيب يؤدي إلى اضطراب المعنى، وذلك في قوله:
"إِنَّا أَرَسَلْنَاكَ شاهِداً وَمُبَيِّناً وَنَذِيرَناً لَنَوْمَنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّزَوْهُ وَتَوَقَّرَوْهُ وَتَسْبِحُوْهُ بِكَتَباً وأَصِيلًا" (الفتح: 8-9)، فقالوا: الأصل في الضمير عودة على آخر مذكور، بينما نجد أن الضمير في قوله: "تَعَزَّرَوْهَ وَتوَقَّرَوْهَ" عائد على الرسول المذكور آخراً.

وأما قوله: "تَسْبِحُوْهُ" عائد على اسم الجلالية المذكور أولاً.

وقد أجاب العلماء عن هذا الإشكال بطرقين صحيحين: 

الأول: اعتبار ابن الجوزي جمع شئين مختلفين في سياق واحد من صور بلاغة العرب، فيرد كل واحد منها إلى ما يليق به، وضرب له أمثلة، منها هذه الآية، وأمثلة أخرى، منها قوله تعالى: "حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَنْ تَضَرَّعُ اللَّهُ أَلَّا إِنْ تَضَرَّعَ اللَّهُ قَرِيبٌ" (البقرة: 214). فالمعنى يقول المؤمنون:
"مَنْ تَضَرَّعَ اللَّهُ فَيَقُولُ الرَّسُولُ: أَلَّا إِنْ تَضَرَّعَ اللَّهُ قَرِيبٌ". 

ومن أمثلته أيضاً قوله تعالى: "وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لْكُمُ اللَّيْلَ وَالَّيْلِهَا يَسْكُنُوهَا فِيهَا وَلِبَّنَتُوهَا مِنْ فَضْلِهِ" (القصص: 33)، فالأسمن بالليل، وابتعاد الفضل بالنهر، لكنه جاء بالسمن بعد ذكر النهر، لأن السامع يعلم اختصاص الليل بالسمن، والنهر بالبحث عن الرزق، ميتابه فضل الله فيه. 

وبمثله يمكن فهم آية سورة البقرة، فالمعنى: "لَنَوْمَنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَعَزَّرَوْهَ وَتوَقَّرَوْهَ، فهذان من حق الرسول، ثم شرعت الآية في الحديث عن حق الله يقول: وَتَسْبِحُوْهُ. وأهل الفصول لأنه مستغني عن ذكره لكونه معلوماً عند أهل العلم والبيان، ومن المعيب في البيان ذكر ما يستغني عنه."
وعلى هذا المعنى جب القرطبي الوقوف على قوله: "كلهاء ونعمر" ثم الابتداء بقوله: "وسبخة بكرة وأصيلة".

الثاني: أنه ليس ما يمكن أن تعود الضيائة كلها على الله، أي لنؤمنوا بالله وتعزروه أي تصرحو، وتوبقوه وسبحوه، فتعزير الله هو نصره تبارك وتعالى بنصر دنه، وهو كقوله: "إنه تنصرونا الله ينصركم" (الحمد: 7)، وكتبله: "الدين النصيحة، فلنا من يأي رسول الله، فقال: الله ورسوله ولكتابه".

المسألة الثانية: ورود ضمير المفرد في سياق اللثنية قالاوا: أتينا القرآن بضمير المفرد في حديثه عن المثنى، وذلك في قوله: "والله ورسوله أحق ان يرضوه" (النور: 26)، وقالاوا مستنكرين: لماذا لم يثنى الضمير العائد على اثين (اسم الجلالة ورسوله) فالأولى تثبتها، وأن يكون السياق: "أحق أن يرضوه".

وقد أجاب العلماء عن هذا بأجوبة:

أ- إفراد الضمير ليختص بالحديث عن الله، وليدل بذلك على أن إرضاء الله هو عين إرضاء الرسول، فمن أرضى الله فلا ريب أنه أرضى الرسول، ومثله قول الله: "من يطع الرسول فقد أطاع الله" (النساء: 80)، فأفرد الضمير لتلازم الرضائيان.

كما أهل عود الضمير على الرسول لمعنى آخر: وهو التفريق بين الرضائيين (رضاء الله ورضاء رسوله)، وإرضاء الله مقصود لذاته، بينما إرضاء الرسول تبع لرضاه الله، لا يستقل، ولو استقل رضاه عن رضا الله -وحاشى- لما صبح أن يطلب رضاه.

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (16/267).
(2) أخرجه مسلم ح (55).
ب- الأول أن لا يذكر مع اسم الله أحد، فلا يُنثى مع اسم الله ملَّك ولا رسول، ولا يذكر الله تعالى مع غيره في صيغة تشرك معه غيره، بل يفرد بالذكر تعظيماً له، ففي صحيح مسلم أن خطيب قام عند النبي ﷺ فقال في خطبته: "من يطع الله ورسوله فقد رشده، ومن يصوّب واحدة فقد غوى". فقال النبي ﷺ عليه السلام: "يَسْتَحْيِبُ الْحَضَبُ أَنْ تَقْلِ، وَمَنْ يَعْصِيُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ "). فكره النبي ﷺ أن يجمع مع الله غيره في ضمير واحد.

ج- وذهب سيبويه في فهم الآية على وجود خبر مخزوف للعلم به ضرورة، فالمعنى: (الله أحق أن يرضوه، ورسوله كذلك)، فيكون الكلام جملتين حذف خبر إحداها لدلالة الثاني عليه، والتقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ")، قال أبو عيبدة: "والعرب إذا أشتكوا بين اثنين فضروا، فحبروا عن أحدهما استغناه بذلك، وتحقيقاً لمعرفة السامع أن الآخر قد شاركه، ودخل معه في ذلك الخبر، وأنشد:

فمن يك أمسى بالمدينة رحلته فإني وقياز بالغرب "
ولم يقّل (لغربيان)، فالمعنى: (إني لغرب، وقياز كذلك)
ومثله كثير في أشعار العرب) كقول الفوزوق:
إني صممتينن لي نأتي ما جني وأبي فكان وكنْتُ غير غدور
ولم يقل: (غدورين)، والمعنى: (فكنْت غدور، وأبي كذلك).

(1) أخرجه مسلم (870).
(2) إعراب القرآن، ابن سيدة (5/290).
(3) مجاز القرآن، أبو عيبدة (1/257-258).
(4) انظر المصدر السابق، وزاد المسير، ابن الجوزي (3/430)، والمدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة، ص (336).
عن دعاوى المبطنين

ومثله قول عمرو بن أمير الباهلي:

"رماني بأمر كنت منه ووالدي برئاً ومن أجل الطواي رماني ولم يقل: (برئاً) والمعنى: (من أجل شجارنا عند بذر الطواي رماني بها أنا بريء منه، وكذلك والدي)."

وهذا الذي عرفته العرب من الاكتفاء بأحد المذكورين، والاستغناء بذكره عن الآخر لشرف الأول أو لغيرة من الأسباب البيانية تكرر كثيراً في القرآن:

"كقول الله تعالى: (وإذا رأوا غياباً أو هؤلاء انقضوا، إلى إلهها) (الجمع: 11)، لم يقل: (إليها)، بل أعاد الضمير إلى التجارة؛ لأنها الأهم.

ومثله قوله تعالى: (ومن يكسب حَطْيَةٌ أو إلا شيء يزم بيه برئاً) (النساء: 112)، أي يرمي بالاثم، ولم يقل: (به)، بل أعاد الضمير على الإثم دون الحطية، لأنه أعظم منها.

المسألة الثالثة: خطاب المثنى بصيغة الجمع قاموا: أتي القرآن بالمعيب عند أهل البيان حين ذكر المثنى بصيغة الجمع، في قوله تعالى: (إني تنبوا إلى الله فقد صفت قلوبكم) (التحرير: 4)، فالخطاب موجه لمفيدة وعائشة. فلذا إذا لم يقل: (صqua قلباهاكى)، إذ أنه ليس للاثنين أكثر من قلبين؟

وفي الجواب ذكر عليه اللغة أجوبة، أهمها:

أ- أن الله قد أتميز بالجمع في قوله: (قلوبكم،) لأنه يسوغ في لغة العرب؛

إضافة إلى مثنى، وهو ضمير هما.والجمع في مثل هذا أكثر استعمالاً من المثنى.

فإن العرب تكره اجتماع تثنينين، فيعدلون إلى صيغة الجمع؛ لأن التثنية جمع في المعنى والأفراد.

(1) انظر: فقه اللغة، التعالي (2/569-570).
بن- أن الكثير من العرب يجعل أقل الجمع أثنيين، والقرآن وافق العرب في أساليبها في هذا الموضوع وفي غيره، فعِبر عن النفس بالجمع، ومنه قول الله: "هَمۡهُمْ يُبۡصِرُونَ غَيۡبَهُمۡ كَذَٰلِكَ نَجۡعَلُ ذٰلِكَ لِيَعْلَمُوا (البقرة: 16)"، ووافق أسلوب غيرهم من يجعل أقل الجمع ثلاثة في سورة طه، فقال: "قُلَ اهۡمِلُوا مِنْهَا جَعِيۡا (بُعۡضُكَمۡ لِبُعۡضٍ غَدُوٍّ) (طه: 1)."

ومثله قول الله لموسى وهارون: "قُلَ كَلَا فَاذۡهِبِي بِآيَاتِنَا إِنَّا تَعِينُونَ (طه: 15)"، ووافق أسلوب الآخرين في سورة طه: "إِنِّي مُعَلِّمُكُمَا أَسْتَعْمَرُ أُوْرَى (طه: 46)."

أمثاله في كلام العرب أكثر من أن يقصى، ومنه قول الأخفش:

ما أَتَنَا المَرَأَةُ بِالنَّبِيٍّ فَقُلْ إِنَّ الْأَمَرَ فِي نَتَأَدُّ شَهْرٍ

وقال أبو سعيد الزيدي:

يُجَبِّيّ بِالسَّلَامِ غَنِيّ قَوْمٍ وَيُبَحُّ بِالسَّلَامِ عَلَى الْفَقِيرٍ

أَلِيسَ النَّورُ بِشَيْءٍ سَوَّاءٍ إِذَا مَاتَتِ فَصَعَّامُ وَصَعَّامُ فِي الْقُبُورِ

فَقَالَ (مَا نَتَى، وَلَمْ يَقْلَ (مَا نَتَى، مِنْ أَنْ وَأَنَّ الْجَمَاعَةَ تَتَلُّقَ بُهَٰثَنِينَ، وَهُمَا

الْغَنِيَّةِ وَالْفَقِيرَةِ.

المسألة الرابعة: تذكير المؤثّث

قالوا: أخطأ القرآن حين ذَكَر المؤثّث في قوله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الكِتَابَ بِلَحْقٍ وَلِالبَرُّ وَمَا يَدْرِيكَ لِللّٰلْسَاعَةِ قُرُبٍ" (الشورى: 17) ، فقال في سياق حديثه عن (الساعة)، وهي مؤثّثة: "قُرُبٍ" ولم يقل: (قريبة).

ومثله في قوله: "وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصَلاَحِهَا وَادْعُوهُ حُوَّانًا

وَطَمَّعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قُرُبٍ مِنْ المُحْمِمِينَ (الأعفف: 6) ، ولم يقل: (قريبة)

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبة (5/23)، وفقه اللغة، الثعابي (5/570).
عن دعاوى المبطلين

مع أنه يتحدث عن رحمة الله، وهي مؤنثة.

والجواب: أن المعترض يجهل أن العرب تجزي التسوية بين الذكر والمؤنث في

مواضع، أمها خمسة أوزان، وهي: (فعول) كرجل شكور وامرأة شكور،

(مفعول) كرجل مقدم وأميرة مقدم، (مفعول) كرجل مسكون وامرأة مسكون،

(مفعول) كرجل مغشم وامرأة مغشم، (فعيل) كرجل جريح وامرأة جريح.

وقوله تعالى: «قرب» على وزن (فعيل)، فيه إلا بين الذكر والأنثى.

ومنه قول أمير القيس

له قول: إن أنسى ولا أُمُ هاشم.

ومنه قول قيس بن الخطيم:

فليت أهلي وأهل أثلة في الـ

دار قريب من حيث نختلف.

ومنه قول وضحاء:

حين تسني أن هنداً قريب

ومنه قول عبد الله بن الحجاج:

وأنت ترجي الوصل منها وقد ناتت

وتبخل بالوجود وهي قريب.

وقد جمع بين الوجهين (بعيدة، قريب) الشاعر بقوله:

bashSHA naa'a 'anaa xasa'ma xawla Dzabba bi 'anib探寻 ولا عذراء منك قريب.

المسألة الخامسة: ضمير الجمع والإفراد

قالوا: القرآن يخلط بين المفرد والجمع، وذلك في قوله: «كُفُّوا الَّذِي

استَوَقِدَ نَارًا فَلَنَّا أَضَاءَةَ مَا حَوَّلَهُ ذَهِبَ اللهُ بَنُورهُمُ» (البقرة 17)، فصدر الآية

يتحدث عن مفرد (الذي استَوَقِدَ)، لكنه في آخر الآية استخدم ضمير الجمع

(1) وانظر بيانه في صحيح الأعشى، القلقشندي (11/61).

(2) انظر: لسان العرب، ابن منظور (1/663).
تنزيه القرآن الكريم

 لأنه، وهو تشبه الجئاعة بالواحد، وإنما شبه قصتهم بقصة المستودع، فالمعنى: مثال استضاءة المنافقين بيا أظهروه بليساهم وهم به مكذبون اعتقاداً؛ كمثال استضاءة المولد ناراً.

ولن يعترض معترض على قولنا: (كمال استضاءة)، فالخذف في الكلام معروف عند العرب، إذا فهم المعنى من السياق، كما قال نابعُ بني جُفَادة:

وَكِيَّفْ تَوَاصلُ مِن أَصْبَحْتَ خِلَالُهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ

أي: كخلاله أبو مرحب. فأسقط (خلاله)، لأنها مفهومة من السياق.

وأما تميل الجئاعة بالواحد فجائز، ومثاله كثير في القرآن ولغة العرب، كقوله: "مثل الذين خُلِّلوا النوراً لم يَجِلُوهَا كمثال الجيَّار (الجامعة: 5)

ثم يصح أن يقال: إن الآية تتحدث عن مستورد واحد أضاء لمجموع، فصار هذا الضوء لهم جميعاً، لأنهم جميعاً منتمون به.

وجوه آخر لم يعرفه أعاجم العرب الطائعون في القرآن، وهو أن العرب تأتي بـ (الذي) بمعنى (الذين)، كما قال الأشخيب بن رميلة:

وإن الذي حانت بفَّلَج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد ومثله قول الشاعر:

رب عبَّس لا تبارك في أخدد في قائم منهم ولا فيمن قَعَد

بإلا الذي فاموا بأطراف المسند"

(1) انظر: جامع البيان، الطبري (1/4). (167)
(2) انظر المصدر السابق (1/14)، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (84)، وصر الصناعة الإعراب، ابن جني (2/537).
وعينا تبين جهل الطاعنين في بلاغة القرآن وأسلوبه، لقد جهلوا لغة العرب وبلاغة القرآن التي عرفها أعداؤه زمن بلاغة العرب وجزالة اللغة، فقال قاتلهم (الوليد بن المغيرة): "أوَلَّدُ إِنَّ لَقُولِهِ الَّذِي يَقُولُ لَخَلَاوَة، إِنَّ عَلَيْهِ لِطَلَاوَة، إِنَّهُ لَمَثْمُرٌ أَعْلَاهُ، مَغَدَّقٌ أَسْفَلُهُ، إِنَّهُ لِيَعْلُو وَمَا يَعْلُو، إِنَّهُ لِيْحَظِّمُ مَا تحته".(1)

***

(1) السيرة النبوية، ابن كثير (٤٤٩/١).
المناقشات المزعومة في القرآن الكريم

المناقشة الداخلية للنص شرط لا غنى عنه في الكتاب حين ينسب إلى كاتب
حصيف، وهو من باب أولى شرط في الكتاب حين ينسب إلى الله عز وجل؛ لذا
يستحيل أن يوجد المناقش في كلام الله ﷺ: »أَقُلْ إِنِّي نَذَّرُكُمْ وَلَوْ كَانَ مِنَ ٤٨٢
غَيْرِ اللّهِ لَوْ جَدُّوا فِيهِ أَخْيَالًا كثِيرًا« (النساء: ٨٢).

وما ذكره البعض عن المناقشات المزعومة في القرآن لا يبدو أن يكون سوء
فهم منهم لآياته أو جهلًا بلغة العرب ومساقات كلامها، وهذا بين لم ينص
هؤلاء المواضيع التي استشكلواها:

الأشكال الأول: هل أقسم الله بمكة أم لم يقسم؟
قالوا: مناقش القرآن في مسألة قسم الله بمكة، فهو أقسم بها في قوله:
»وَهَذَا الْبَلَدُ الْآمِينَ (التين: ٣)، وفي موضع آخر ينكر هذا القسم بمكة،
فقول: »لَا أَقُيمُ ٌهَذَا الْبَلَدِ« (البلد: ١).

والجواب: لقد أقسم الله بالبلد الآمنة (مكة) كما في آية سورة التين.
وما فهمه المعتزلون من آية سورة البلد خطأ قادهم إليه جهلهم بلغة
العرب وطرائفها في البيان، ففي قوله: »لَا أَقُيمُ« (١). (لا) ليست (لا) النافية التي
تعني نفي القسم، بل هي (لا) الصلاة، ويسميها بعض النيحويين (لا) الزائدة، فهي
زائدة نحوية، وإن كانت غير زائدة بلاغية، لأنها تفيد التأكيد.
قال الزجاج: "لا اختلاف بين الناس أن معنى قوله تعالى: »لَا أَقُيمُ يَوْمِ
١) انظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٨٤٩)، والأصول في النحو، ابن السراج
البغدادي (٢٥٩).
الْقِيَامَةِ وَأَشكاله في القرآن معناه: أقسام (1).
والعرب ما زالت تستخدمها في كلامها من القديم، فهي كقولنا: لا أوصيك بفلان، أي لا أحتاج إلى وصاتك به، فهي نوع من التأكيد على الوصاة، وليس طلبًا للإهمال.
ومن طريق الأخبار أن رجلاً سأل أبا العباس بن سريج عن هاتين الآيتين، فقال ابن سريج: أي الأمر بين أحب إليك؟ أجيبك ثم أقطعك، أو أقطعك ثم أجيبك؟ فقال الرجل: بل اقطعني ثم أجيبي.
فقال: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال، وبين ظهرى قوم كانوا أحصروا الخلق على أن يجدوا فيه مغزوةً وعليه مطعناً، فلو كان هذا عندهم مناقصةً تتعلقوا به، وصرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجِهْطًا، فلم ينكروا منه ما أنكرت.
إن العرب قد تدخل (2) في أشياء كلامها وتبلغ معناها، وآتشد فيه أبباتاً (3).
ومثله كثير في أشعار العرب (4)، ومثله قول القيامة (5).
قال: وَلَحْقُ الَّذِي مَسَّحْتَ كُعْبَةٌ وَمَا هُمْ يَقِنُ عَلَى الأَنْسَابِ مِنْ جَسَدٍ.
أي: فولحق الذي...
وقول الآخر:
تذكَّر ليل فاعترُنتي صبايَة
وكاد صميم القلب لا يتصدع

(1) ناج العروض، المرتضى الزيدي (400/470)، وانظر: دُمان العرب، ابن منظور (15/164).
(2) وهذا الكلام النفيس ينطبق على الكثير ما ينظه أصحاب الأباطيل –اليوم- عن القرآن الكريم.
(3) البيرهان في علوم القرآن، الزركشي (47/2)، وانظر مغني النبي سعد بن كثب الأعريب، ابن هشام، ص (319).
(4) انظر: تأويل مسألة القرآن، ابن قتيبة، ص (244-246)، والجامع لأحكام القرآن، الشرطي، (5/220)، ودفع إيهام الاضطراب عن آن الكتب، الشنقيطي، ص (271-269).
عن دعاوى المبطلين

(235)

أي: يتصدع.
ومثله قول الشاعر:
فَلَآ أَيُّهَا الرَّبِّ لَيْقَـٰفُ الْأَيْبَى
وَلَا يَهْمِ ابْنَا دَوَاءٍ
أي: فوالله.
ومثله قول طرفة:
فَلَآ أَيْبَكَ إِبْنَةَ الْعَالِمِي
لا يَدْعِي الْقُومُ أَيْ أَفْرَ
أي: وأَيْبَكَ.

وَهذَا الْأَسْلَوَلُ فِي الْقُسْمِ يَفْيدُ تَعَظِيمَ الْمُقْسَمِ بِهِ، كَأَنَّهُ فِي سُورَةِ الْبَلَدِ، وَكَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَلَآ أَقِيمُ الْبَجْوُهَ ﻟَوْ تَعَلَّمُنَّ غَيْبَالِ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (الْبَقَرَةَ: 76-77)، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَآ أَقِيمُ الْبَجْوُهَ ﻟَوْ تَعَلَّمُنَّ غَيْبَالِ﴾ (الْقَيْمَةَ: 1-2).

وَقَدْ وُرَدَتْ (لا) الْصَّلَاةُ فِي مَوَاضِعٍ كَثِيرَةٍ فِي الْقُرَآنِ الَّذِي نَزَّلَ بَلْغَةُ الْعَرَبِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَلَكِيْلُوٰ نُحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ (آَلِ الْعَمَّارَهَ: 53-54)، أي: (لَنْ تَحَزَّنُوا)، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَّكَذَرَ إِذْ رَآيتَهُمْ صَلَوْا أَلَّا تَكِفَّعِن﴾ (طَهَّ: 92-93)، أي: (أَلَّا تَكِفَّعِنَّ)، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَآ أَوْزِبَكَ لَوْ كَرَمْتَهُمْ حَتَّى يُجَّمَّعُوكَ فِي نَجْحِ شَجَرٍ بَيْنَهُمْ﴾ (الْبَغْرَاءَ: 65)، أي: (فَوْرُكَ), وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَآ يُعَلَّمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقِدُروْنَ عَلَى شَيْءٍ مَّنْ فَضِلَّ اللَّهُ﴾ (الْهَيْدَرِ: 29)، أي: (لَيْيَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ).

وَقَدْ وَرَدَّ فِي سَيَاقِ قَصِّةِ آدَمٍ إِثْبَاتَ (لا) الْصَّلَاةِ فِي مَوْضِعٍ، وَحِذْفَهَا فِي أَخْرَى، لَجَوَازَ الْوَهْجِينَ وَتَكْمِيلِ معْنِيَهَا، فَأَمَّا إِثْبَاتُهَا فَقَدْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَا مَنَّكَذَرَ أٓلْفَ تَسْجُدٍ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (الأَعْرَافِ: 12)، وَقَدْ حَذَفَتْ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَّكَذَرَ أٓلْفَ تَسْجُدٍ﴾ (صِ: 75)، وَالْمَعْنَىَ فِيهَا وَاحِدٌ، وَهُوَ: مَا الَّذِي مَنَّكَذَرَ أَلْفَ تَسْجُدٍ؟
الإشكال الثاني: حكم عدد الملائكة الذين نزلوا يوم بدر؟
قالوا: اختلقت الآيات في عدد الملائكة النازلين في غزوة بدر، ففي سورة الأنفال أ вып: "إِذْ تَسْتَجِبُونَ رَبِّيُّمُ فَأَصْلَحُوكُمْ لَكُمْ أَنْ يُمِدْكُمْ بِإِلَيْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْتَفِئٍ" (الأنفال: 9)، وفي سورة آل عمران أ نهم ثلاثة آلاف: "إِذْ نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَئِكُمْ يَكْفُيَكُمْ أَنْ يُمِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِبَلاَكَةِ آلاَفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُمْرَزِلٍ" (آل عمران: 24)، وفي الآية التي بعدها أصبحوا خمسة آلاف: "بَلَىٰ إِنْ تَصَرَّفُواْ وَتَنْتَقَوْاْ وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُؤَارِيمِهِمْ هَذَا يُمِيدْكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسْتَقِرِّينَ" (آل عمران: 115).
والجواب: أما الخمسة آلاف فجاء ذكرها في تعزية المسلمين في هزيمتهم في غزوة أحد، فعند الله على الصحابة بذكر مدد ملاكية بدر، وذكروا أن المسلمين لا يعودوا إليهم فإن الله سيدهم بخمسة آلاف من الملائكة إذا صبروا على ما فيهم من الجراحات وثبوا لقتالهم: "بَلَىٰ إِنْ تَصَرَّفُواْ وَتَنْتَقَوْاْ وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُؤَارِيمِهِمْ هَذَا يُمِيدْكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسْتَقِرِّينَ" (آل عمران: 115)، بل الله من عليه المسلمين بعد أن أظهروا النباهة وتجهزوا للقتال، فصرف عليهم المسلمين، فلم يعودوا لقتالهم، ولم تنزل الملائكة في أحد لفوات الشطر.
وقال بعض أهل العلم: بل كان هذا الوعد في بدر حين بلغ المسلمين أن كرز بن جابر الفهري يمد المسلمين، فشق عليهم، فأنزل الله: "أَلَئِكُمْ يَكْفُيَكُمْ أَنْ يُمِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِبَلاَكَةِ آلاَفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُمْرَزِلٍ" (آل عمران: 24)، وقال الشهبي: فبلغت كرز المزيمة فلم يمد المسلمين، ولم يمد الله
المسلمين بالخمسة آلاف، فهذا خبر الخمسة آلاف.
والحق أن الله أنزل من الملائكة يوم بدر ثلاثة آلاف، كنا قال النبي ﷺ لأصحابه قبل المعركة: "إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكُفُّكُمْ أَنْ يُبَيِّنَكُمْ رَبُّكُمُ الْكَالِمُ ﰲ الْأَلَٰٓئَةِ أَلَّا يَكُونُ أَيْنَ مِنْ الْالَٰٓئَةِ مُسْتَقِيمًا؟" (آل عمران: 124)، وقد نزل هؤلاء الملائكة بالترافل ألفاً بعد ألف، كما قال الله: "إِذْ تَسَيَّقُونَ رَبُّكُمْ قَاصِدِيَاتٌ لَّكُمْ أَيْنَ مِنْ الْالَٰٓئَةِ مُسْتَقِيمًا؟" (الأنفال: 9)، فقوله: "مُرْدِفٌ" تعني: ردهم غيرهم وتبنيهم ألوه أخر مثلهم، فالترافل هو التتابع، والتراف: المتاخر، والمردف: المتقدم الذي أردف غيره.

الأشكال الثالث: أيهما خلق أولًا: السماوات أم الأرض؟
قالوا: نناقش القرآن حين تحدث عن ترتيب وجود المخلوقات، فتارة يجعل الأرض مخلوقه قبل السماوات هو الذي خلق لكم ما في الأرض جمعاً نعم استوى إلى السماوات فسواه من سبع سماوات وهو بكل شيء عليهم (البقرة: 29)، وأكد هذا في سورة فصلت: "قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ لَكَفْرُونَ بَلْ الْحَقُّ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي بُوْمِينَ وَجَعَلْنَاهُ آنَفَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلْنَاهُ رَوَاسِيَ مِنْ فَوْهَاهُ وَبَارَكْنَا فِيهَا وَقَدْرَ فِيهَا أَقْوَاتُهَا فِي أَرْبَيْنِ أَيَامَ سَوَاءَ لِلنَّاسِ مَثَلًا اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ وَهُوَ ذَا ذِكْانٌ فَقَدْرَ فِيهَا أَقْوَاتُهَا فِي أَرْبَيْنِ أَيَامَ سَوَاءَ لِلنَّاسِ" (فصلت: 9-12)، فهذه الآيات تجعل خلق الأرض قبل خلق السماوات، بلدليل قوله "ثم استوى إلى السماوات" في المتضمن.

(1) جامع البيان الطبري (3/422).
(2) نظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (15/532، والبحر المحيط، ابن حيان (8/507-508).
(3) ومفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص (193).
وترة يجعل القرآن خلق السما قبل خلق الأرض {السمم أشد خلقاً أَمَّ السما بناها، ورفع سمنها قسوهاً} {أُمْرَاً} {أَوْ غَطَّىَ لَبِّهَا وأخْرَجَ صُخْحَاحاً} وخلق الأرض بعد ذلك دخاهما {أُخْرِجَ مِنْهَا مَاءِهَا وَمَرْعَاها} {وَالجَبَالِ أَرْسٌاها} {مُتَعَاً لِكُمْ وَالنُّجُومُ} (النازعة: 27-33).

وفي الجواب: عن هذه الشبهة وجهة ثلاثة:

الأول: وهو الذي مال إليه جهور المفسرين في القدم، ويقوم على أن مادة الأرض خلق في اليوم الأولين، ثم خلق السماوات في اليومين الثالث والرابع، ثم دحبت الأرض وجهزت لاستقرار حياة الإنسان في اليومين الأخيرين.

وهذا الوجه أخرجه البخاري معلقاً عن ابن عباس رضي الله عنها، وفيه أن رجلاً استشكل مسألة ترتيب الخلق بين السماوات والأرض، فسأله عنها: فأجابه ابن عباس: (وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السما، ثم مستوى إلى السما)

(1) قبل المفي في جواب هذه الشبهة أود الحمس في آذان مثيري هذه الأبطول، وأوراهم، وأقول بأن لغة العرب أوسع بكثير من فهمهم الكلية، يقول العرب (بعد هذا) أو (بعد ذلك) لا يفيد بالضرورة التراخي والتزام الزمني، بل قد تأتي بمعنى (إضافة إلى ذلك)، وهو تأويل ذكره بعض المفسرين لقوله تعالى: {وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَخاهَا} (النازعة: 30)، أي إضافة إلى خلقه السماوات فإنه دحى الأرض.

وهذا المعنى لـ (بعد) مشهور عند العرب، وقد تكرر في القرآن في مواضيع، منها قوله: {فَمَثَّلَنَا عَلَيْكُمْ نَادِئًا لَحِيَامٌ} {مَتَاعُ الْخَيْرِ عَلَى مَعْتَدِيٍّ أَيْمَ} {عَلَيْ بَعْدَ ذَلِكَ زِيْم} (القلم: 13)، أي هو ملحق في قومه وليس منهم; إضافة إلى اتصافه بتلك الصفات الدقيقة، ومن المعلومات أن كونه دعياً في قومه متقدم في التاريخ على اتصافه بهذه الصفات، فهو كذلك من قبل。

ومثله قوله: {قَلِلَّ اللهُ هُوَ مُولِئَةُ جَبَرِيلٍ وَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرُوهَا} (الترقيم: 4)، أي أن الله يتولى النبيه وجريل والمؤمن، وينضاف إليهم تأييد الملائكة.
فسواهين في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجبال والأكام وما بينها في يومين آخرين. (1) وشهرة هذا الوجه عند المفسرين تغني عن تفصيله.

الثاني: وهو الذي ذكره بعض المتأخرين من أهل العلم، وهو ما يتوجب لي، وأجمله بالقول أن السواوات والأرض خلقتا معاً في اليومين الأولين، ثم تكامل خلق الأرض وإعدادها للإنسان في الأربعة الأخيرة من الأيام الستة.

وتفصيله: أن الله خلق السماوات والأرض معاً معاً معاً في أيام الستين، كفرّوا أن السواوات والأرض كانتا رهناً فقنتاها (الأنبياء: 9)، والرد ضد الفتن: أي كانتا متضمنتين، بعضها إلى بعض، ثم فتحها الله، فحدث ما يسمى عند علماء الجيولوجيا والملك بالانفجار الكبير.

وقد وضح هذا المعنى الآيات القرآنية كما في قوله تعالى عن يوم القيامة:

"بَوْهَ نَطْوِي السَّمَاوَاتِ كَمَّ الْسَحْلِ لِلْكَحْلِ كَمَا بَدَا أَوْلُ حَلْقٍ يُنْبِدُ وَعُدَّاً عَلِيْتًا إِنَّا كُنَّا كَافِلِينَ" (الأنبياء: 51)، فخلق يعود إلى حالته الأولى، فيطوى من جديد وَجَعَلَ النَّسْمَةَ وَالْقَمْرِ (القيامة: 9).

وأما كون الخلق للسواوات والأرض في يومين فهي لقول الله عن السواوات:

"فَقَضَاهُمْ سَبَعَ سَمَائَاتٍ فِي بَعْضِهَا" (الأنبياء: 46)، وعند الأرض: "حَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمِينَ"، فهذان هما اليومان الأولان، ثم دحب الأرض وامتد إعدادها لصلاح معيشة الإنسان عليها في أربعة أيام أخرى وَجَعَلَ فِي هَٰذَا رَوْاِيَّةً مِّنْ نَّفَقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَامٍ سَوَاءً لِّلْسَائِلِينَ.

وقد يشكل على البعض - من قَلَّ عَلَمَه بِلْغَةِ العَرَبِ وَدِلَالَاتِ الأَلْفَافِ فيها - أن آيات سورة فصلت تحدثت عن خلق الأرض في يومين، ثم تحدثت عنها

(1) انظر: باب تفسير القرآن في صحيح البخاري.
خلق الله فيها في أربعة أيام، ثم قال الله بعد ذكر هذا وذا: "قد استوى إلى السماه"
وهي دُخانٍ، فاعتقدوا أن "قد" تفيد التأخر والتراخي، ومتنه فهموه من قوله تعالى: "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جياعاً، ثم استوى إلى السماه"
فسواهم سبع سماواتٍ (البقرة: 29).

وهكذا ينحصر الإشكال في دلالة كلمة "ثم" على التراخي والترتيب.
لكن أهل البلاغة يعرفون أن "ثم" لا تفيد بالضرورة الترتيب الوجودي الذي نعرفه في المبادئ إلى الذهن، بل لها دلالة أخرى، وهو ما تسمي العرب (الترتيب اللفظي).

ولبيان هذا النوع من الدلالة لـ "ثم" نقرأ قول الشاعر:
قال المثأر بين ساد ثم ساد أبوه
ثم قد ساد قبل ذلك جده
والمعنى: اذكر واحترب من ساد، ثم اذكر وأخبر من ساد أبوه، ثم اذكر وأخبر من ساد جده، وليس المعنى أن الرجل يسود ثم يسود أبوه ثم يسود جده، بل العكس هو الصحيح، فالمرء يسود بعد يؤدجده وأباه.
ويشهد لصحة هذا الفهم قول الشاعر: "ثم ساد قبل ذلك"، فـ "ثم"

للترتيب اللفظي، لا الوجودي.

ومثله قول طريقة بن العبد وهو يصف راحله:
جَنُوت دِفَاقٍ عَنْدَلَ ثم أُفْرَعَتْ، فَما كَتَبَهَا في مَعاليٍ مَصَاعَدٍ.
فإنه ذكر جملة من مجازها، ثم نبه على وصف آخر أهم في صفائف عتقها، وهو طول قامتها (ثم أفرعت)، ولا يقصد أن قامتها طالت بعد اتصافها بهذه.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1/201)، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ص (159) وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (1/211).
الصفات

وهذه الدلالة لـ "ثم" موجودة في القرآن الكريم في مواضع، منها قوله تعالى:

»الذي أحسن كل شيء حلقة وبدأ حلول الإنسان من طين ثم جعل نسلة من سلالة من ماء تمييز ثم سواه ونفخ فيه من روح وجعل لكم السمع والأبصر والأفتياء قليلاً ما تم تشكرون» (السجدة: 7-9)، ومن المعلوم أن التسوية تكون قبل إنجاب النسل، فهذا لا يخفى، ومع ذلك قال القرآن: »جعل نسلة من سلالة من ماء تمييز ثم سواه ف(ثم) هنا للترتيب الذكري لا الوجدي، والمغني: ثم اذكر كيف سواه الله.

ونحو هذا ما جاء في سياق وصايا الله لنبيه محمد ﷺ: »قل تضلوا أتلون ما حرم ربكم» وفي آخرها يقول: »ذلكم وصاكم به لم تقمون ثم أتيت موسى الكتب» (الأنعام: 154)، ومن المعلوم أن موسى كان قبل وصية الله لنبياً، لكن الترتيب الوجدي غير مراد في قوله: »ثم أنينا موسى«.

ومثله أمره تبارك وتعالى للمؤمنين بالإفاضة من عرفات بعد حديثه عن المشهر الحرام: »فأذكروا الله عند أشهر الأحرام وأذكروه كما هذاك وإن كنت من قبل لين الفلاحين» (البقرة: 7). ثم عادت الآية التي ابتعد عنها للحديث عن مسألة الإفاضة من عرفات ووجوب خلافة المشتركون فيها، وصدرت الآية بـ(ثم)، فقال الله: »ثم أفبعوا من حيث أين أقام آله آمن واستمعوا ألا إن الله غفور رحيم» (البقرة: 199)، ومن المعلوم أن الوقوف بعرفات سابق على الوقوف بالمشهر الحرام (مذدلفة).

ومثله قول الله تعالى: »ثم لتزوّروه عينين البعيدين ثم لتشعلن يومناً بيني عن النعيم» (التكاثر: 7-8)، والسؤال يكون يوم القيامة قبل رؤية الجحيم وأمثال

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (1076-177).
هذا الاستخدام لـ "(ثم) كثير في القرآن".

وإذا تبين ما تقيده (ثم) عند العرب، فلنقرأ الآيات مع أبي حيان الأندلسي:

وفق هذا المفهوم: "(ثم) لترتيب الأخبار لا لترتيب الزمان والمخلة، كأنه قال: فالذي أخبركم أنه خلق الأرض وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، ثم أخبركم أنه استوى إلى السماوات، فلا تعرض في الآية لترتيب..اً فصار كقوله: "قد كان من الذين آمنوا" (البلد: 17) بعد قوله: "فلأفتحنكم الجَبَّارُ" (العقبة) (البلد: 11)، ومن ترتيب الإخبار "قد آتينا موسى الكتاب" (الأنعام: 154) بعد قوله: "قل تعالوا أتَلُون" (الأنعام: 151).

ويديل على أنه المقصود; الإخبار بوقوع هذه الأشياء من غير ترتيب زمني
قوله في الرعد: "اللَّهُ الَّذِي زَرَعَ السَّابَاتَ يُقِرَّ عَمَدَ تَروُنَّهَا" (الرعد: 2) الآية،
ثم قال بعد: "وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَايَاتٍ وَأَنتَارَا" (الرعد: 3)
الآية. وظهر الآية التي نحن فيها جعل الرواسي، وتقدير الأقوات قبل الاستواء
إلى السماوات وخلقيها، ولكن المقصود في الآتي الأخبار بصدور ذلك منه تعالى من
غير تعرض لترتيب زمني".

وهكذا يستبين معنى آيات سورة فصلت التي قد ورد فيها الأشكال، فقد
بدأ القرآن بالحديث عن خلق الأرض، لأنها القريب المباشر للإنسان، ثم انتقل
للحديث عن البعيد، وهو السماوات، من غير أن يكون ذلك مقتضاً خلق
الأرض قبل السماوات.

وهكذا، فهذان الوجهان مذكوران عند العلماء في القديم والجديد، قد أشار
ابن جزيء في تفسيره إلى صحتها بقوله: "الجواب من وجهين: أحدهما: أن

(1) انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (2/116-118).
(2) البحر المحيط، أبو حيان (5/354).
الارض خلقته قبل السفاه، ودحيت بعد ذلك، فلا تعارض، والآخر: تكون (ثم) لترتيب الأخبار "(1)"

الوجه الثالث: أن الخلق على نوعين: خلق إيجاد، وخلق تقدير، فأما خلق الإيجاد فهو الخلق المعلوم، وأما خلق التقدير فكَّا في قول زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبنص القوم يخلق ثم لا يفري وضرب الرواذي لهذه الخاتمة مثلاً بقول الله: "إِنَّ مَّلَّا عَيْسَى عِندَكَ مَّا كَمَّلَ أَدَمَ خَلَقَهُ مِنَ الرَّاْبِ ۚ قَالَ أَنَّكَ جَنَّ فَيَكُونَ" (آل عمران: 59)، إذ "لا يقال للشيء الذي وجد: كن، بل الخلق عبارة عن التقدير، وهو في حقه تعالى; حكمه أن سيوجد، وقضاءً بذلك بمعنى خلق الأرض في يومين، وقضاءه بحدود كذا، أي مدة كذا، لا يقضي حدوثه ذلك في الحال، فلا يلزم تقديم إحداث الأرض على إحداث الساءة".

فهذه أوجه ثلاثة من تدبرها استبان له المعنى، وعلم براءة القرآن من الاختلاف والتناقض، وعلم سعة لغة العرب وجهل أعاجم العرب المتحدثين بالسوى عن القرآن العظيم.

الأشكال الرابع: أحوال الناس في يوم القيامة.

قالوا: تناقض القرآن وهو يقضي أحوال الناس في يوم القيامة، فتارة يقول: إنهم لا ينطقون: "هَذَا يُوَّمَ لا يَنْتَظُنَّوٓ وَلَا يُؤْتُونَ هَمَّ يُنْتَظِرُونَ" (المرسلات: 35-36)، وتارة كذلك، إنهم ينطقون ويعتبرون: "وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كَثَّرَ مُسْرِكِينَ" (الانعام: 32)، وأنهم يقولون: "فَمَا كَانَ تَعْمَلُ مِن شَوَّمٍ" (النحل: 28).

(1) التسهيل في علوم التنزيل، ابن جزي (42/1)، وانظر الجواهر الحسان، الثعالبي (1/42).
(2) التفسير الكبير، الرازي (28/7).
(3) المحرر الوجيز، ابن عطية (1/223).
للمجนะ: 4)، وفيه مواقف متباينة، لكل منها ما يخصه من الأحكام والأحوال، ففيه حذر وترقب، وفرج وبشارة، وفيه حزن وهلاك، وأمن وأمان، والناس يتنقلون بين هذه المواقف، بل لربما تنقل المرء فيه من حال إلى حال، ففي حديث عائشة أنها ذكرت النار فبتكلم، فقال رسول الله ﷺ: "ما يكيك؟"، قالت: "ذكرت النار فبتكلم، فهل تذرون أهلكم يوم القيامة؟" فقال رسول الله ﷺ: "أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً: عند القرآن حتى يعلم: أخُذ ميزانه وأيَنَّهُ؟ وعند الكتاب حين يقال: "هَأَوَّمَ أَرْوَأُوا كِتَابَتِهَا؟" حتى يعلم أمين يقع كتابه، أي بعينه أم في شبه؟ أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط: إذا وضع بين ظهره جهنم"، هذا لا يتعارض مع قوله: "لِكُلِّ أمْرٍٰ مِّنْهُمْ يُؤْمِنُونِمِّنْهُمْ يُؤْمِنُونِ (يعس: 72)", فهذا الدخول لا يستغرق يوم القيامة، بل هو متعلق ببعض مواقعه، وهو لكل بحسب عمله وقواه.

وهكذا فإذا يذكر من اختلاف الأحوال لاختلاف المواقف، ولقول ذلك اليوم وعظم شأنه عبر القرآن عن كل واحد منها بكلمة "يوم" أو "يومٌ سيِّدٌ"، ممن غير أن تعني استغراق الفعل لكل ذلك اليوم الطويل.

ويجب لذلك قول الله تعالى: "فإذا جاءت الصَّاحِبَةُ يوم يَغْرُبُ الزَّرْعُ من أخبَى وَأَمَّهُ وَأَبِيهِ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ أمَّرٍ مِّنْهُمْ يَوْمٌ سِيِّدٌ مِّنْهُمْ يُؤْمِنُونِ وَرَجُوبُهُمْ عَلَيْهَا غَرَّةٌ يَوْمِ مِّنْهُمْ مَسْتَبْرِئٌ وَرَجُوبُهُمْ عَلَيْهَا غَرَّةٌ تَرْهَقُهَا قَرْةٌ أُوْلِيَّ الْكُفْرِ الفَجَرَةَ" (يعس: 33-42)، فذكرت الآيات في نفس السياق حاليين للمؤمنين (الخوف ثم الفرح) وحالين للكافرين (الخوف والكتابة)، وكل هذه الأحوال في يوم القيامة، فالإشارة إلى حدوثها في يوم القيامة لا يعني

(1) أَخَرِّجَهُ أَبُو دَاوُدُ (65750)، وأَحَمْدُ (341667) واللَفظُ لَأيْ داوَد.
عن دعاوي المبطلين

245

دوام الحال الواحد واستغراقه لكل ذلك اليوم الطويل، فقوله: ﴿كَلَّ الْمُرَيِّمٍ مَّهْمََٰٰ يَتَّبِعُونَ شَأْنَ ۖ يَعْقِبُهُمْ﴾ (عبس: 37)، لا يستطيع كل يوم القيامة لوجود أوقات يأمن فيها المرء على نفسه، حين يعلم صلاح مآله ونجاته من النار، كما قال ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورَ قَاتِلَةُ ۖ وَلَاتْ يَتَّبِعُونَ﴾ (المؤمنون: 101) فهذا الوقت عصيب وهو وقت ذرع وخوف ﴿وَيَتَّبِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنْفُسٍ دَخَّلَهُ﴾ (النمل: 87)، مثله في قوله تعالى ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَفَقَضَ مَنْ فِي السَّبِئَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾. فهما إيا الناس ألقوا زيف إن رزقة الساعية شيء عظيم، يوم ترونهدا تذهله كل ما مرضعة عتب أوضعت وفَضَعُ كل ذائج مخلّخ لها وترى الناس سكاكا وचما هُمّ.
писать: وَلَكَنَّ عَذَابَ اللهِ الشَّدِيدُ (الحج: 1-2)، ثم يفيق العباد من حول المطلع
فيكون بعد ذلك التلاوم والتساؤل.

الثاني: أن القرآن نزل بسان العرب، موافقاً لما عهدوه في أساليبهم
ورتاقهم في البيان، والعرب تعتبر الفعل الذي لا فائدة منه كالعدم، ولأجل هذا
سمى القرآن المنافقين: ۚ قُمْ بَكُمْ عَلَيِّ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ (البقرة: 18)، وهم
في الحقيقة يسمعون وينطقون ويصرون وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وآتيناً فنآ
أغنى عنهم سمعهم ولا أبصرهم ولا أفيدهم من شيء، إذ كانوا يجحدون منياته
الله وحاق بهم ما كانوا ينهروون (الأحقاف: 29)، لكنهم صم عن سقاء
الحق، وعمي عن رؤيته، وبكم عن النطق به لهم فلُوب لا يفهون بها وهم
أغنى لا يصيرون بها وهم آذان لا يسمعون بها أو ليكِب كالأعماق بل لهم أصل
أولِيكِب هم الغافلون (الأعراف: 179)، ويمتل هذا نقول: إن النظر مع عدم
الإفادة منه هو كعدم النظر حكياً، فصاحبه أعمى، وإن كان يرى ما يراه ذو
العينين.

ومثل هذا قال الله تعالى: ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَشْرَكُونَ بِعِيْنِ اللهِ وَأَيْبَاءِهِمْ نَمَائِنَ قَلِيلًا
أو ليكِب له خلاص له في الآخرة ولا يكلمون الله ولا ينظرون إليهم يوم القيامة ولا
يركُبهم وهم عذاب أميم (آل عمران: 77)، فليس المصعود منه نفي نظر الله
إليهم، فالله لا يغيب عنه أحد، وليس المصعود أنه تبارك وتعالى لن يكلمهم،
فكلمه لهم ثابت في عشرات الآيات التي تحكي عن نبوخ الله للبشرتين وتقريعه
هم، لكن المصوصد أنه لا يكلمهم كلاماً يفعله، لا يكلمهم بها إليه رحمة لهم، ولا
ينظر إليهم نظرة تفديهم وتنجيه من عذابهم وخوفهم، فلا لم يكن لها فائدة
كانت بمنزلة العدم.

ومثله قول الله تعالى عن الكافر: ۚ فَإِنَّ اللَّهَ جَهَّالٌ لا يُمْوتُ فِيهَا وَلَا يَجِيِّبُ
عن دعاوى المبطلين

(ط: 47)، أي لا يجي فيها حياة طيبة هائمة، وإلا فهو - على الحقيقة - حي فيها لا يموت أبدًا.

ومثله كذلك قول النبي ﷺ لن صلى على الحقيقة؛ غير أنه أساء في صلاته:

«ارفع فصل فإنك لم تصل» فضلته في حكم العدم لعدم إقامته ركوعها وسجودها.

ومثله قوله تعالى وهو يصف حال الناس في كربات يوم القيامة: «فإذا تفخ في الصحراء فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» (المؤمنون: 101)، فليس معناه أن تقف الأنساب بينهم، فلا يكون الابن أباً لابنه، فإن القرآن أثبت النسب بين الناس في يوم القيامة ونفي الانتفاع به: يَوْمَ يُقَبِّلُ الْمَرْءُ مِنْ أَخيه وآخِيه وأبِيه وصَاحِبِهِ وَبَيْنَهُ لِكُلٌّ اِمْرَأٌ مِنْهُمْ يَوْمَ يُؤْمِنُ شَأْنُ يُغْنِيهِ» (عبس: 34-37)، فلما كان النسب لا ينفع يومئذ قال الله: «فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ» (المؤمنون: 101)، أي لا ينفعهم النسب حينذاك، كما لا ينفعهم التساؤل.

وإلا فإن السؤال بينهم من غير منفعة واقع، وقد ذكره القرآن في غير آية:

«وَأَقْلِ بَعْضُهُمۡ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّكُمْ كَنْتُمْ تَأوَلُونَا عَنَّ الْيَمِينِ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بِلَنْ كَنْتُمْ قَوَامًا طَاغِينَ فَقَطَنَا عَلَیْكُمْ قَالُوا إِنَّا لَذَاتُونَ فَأَفْغِنِيَتْنَا إِفَّانَا كَنَّا غَاوِلِينَ» (فاطمته: 48) في العذاب المشترك» (الصفات: 32-33)، لكونه تساؤل التلامود الذي لا فائدة فيه ولا نفع، فوجوده عديم بالنسبة لهم سواء، لذا قال الله: «فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يومئذ ولا يَتَسَاءَلُونَ».

(1) أخرجه البخاري ح (151)، ومسلم (397).
(2) نكت الانتصار لنقل القرآن الباقلاني، ص (201).
قال الشنقيطي: "المراد بنفي الأنساب انقطاع فوائدها وآثارها التي كانت مترتبة عليها في الدنيا من العواطف والنفع والصلات والتفاخر بالآباء، لا نفي حقيقتها".

الإشكال السادس: هل يسأل الله عن الذنوب أم لا يسأل؟
قالوا: تناقض القرآن في مسألة السؤال عن ذنوب المجرمين، فنفاه في قوله: (ولَيۡ سَأَلَ عَنِ ذَٰلِكَ الْمُجِرِّمُونَ) (القصص: 78)، وقوله: (فَيُؤْتُوهُمْ فَيُسَأَلَ عَنۡ ذَٰلِكَ الْمُجِرِّمُونَ) (الرحمن: 36)، وأثبته في مواضع أخرى فذكر أنه يسألهم: (فَلَسْتُنَا الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ إِلَّهُنَا وَلَسْتُنَا الرَّسُلُونَ) (الأعراف: 1) فهذه الآية تدل على سؤال الجميع يوم القيامة، ومثلها قوله تعالى: (فَوَبَيْضُكَ لَنَسَأَلُهُمْ أَجْمَعِينَ) (المغفرة: 92-93).

وفي الجواب نقول: السؤال على أنواع، فبعضه للاستفسار والتعليم، وبعضه للتقرير والتوبيخ، وبين هذا وذاه بون شامع، فالأول متنف في حق الله تعالى علام الغيوب، فهو لن يسأل أحداً عن ذنوب سوأه تعرف واستخار، بل يعاقب الله تعالى العباد بما عرف من ذنوبهم ومعاصيه. (يوم يبعثهم الله جمعاً فتبهثهم بسما) (المغفرة: 6)، كما صنع مع قارون والجبارية من قبلهم، حين فجاجهم بإلهانهما ويهلاكوهم (أَوَلَ يَسۡأَلَ عَنِ اللَّهِ قَدْ أَهۡلَكۡنَا مِنْ قِبۡلَتِنَا مَنْ هُوَ أَشَدَّ مِنۡهُ فُوۡىَةً أَوۡ كَثِيرَ جَعَّالٌ وَلَسۡأَلَ عَنۡ ذَٰلِكَ الْمُجِرِّمُونَ) (القصص: 78)، فالله لا يسأل المجرمين ولا يستفسر منهم عن ذنوبهم حين يريد عقوبتهم.

وذلك فإن الملاءكة حين تنزل بالعذاب فإنها لا تسأل المجرمين ولا تسأل عنهم، لأنها تعرفهم بسياههم (فَيُؤْتُوهُمْ فَيُسَأَلَ عَنۡ ذَٰلِكَ الْمُجِرِّمُونَ) (الفراء).
قال الربيع بن بناء: "قوله: "ولأ يسأل عن ذنوبهم المجرمون": لا يسألون عن إحسائائها، يقول: هاتوا فينها لنا، ولكن أعطوها في كتب فلم يشكو الظلم يومذه، ولكن شكوا الإحصاء".

والحليمي: "لا يسألون سؤال التعرف لتميز المؤمن عن الكافر، أي إن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحداً يوم القيامة، فقال: لما كان ذنبك، وما كنت تصنع في الدنيا حتى يثبت له بإخباره عن نفسه أنه كان مؤمناً أو كافراً، لكن المؤمنين يكونون ناصرين من الوجه مشروحي الصدور، والمشاركون يكونون سورد الوجه زرقاً مكرونين، فهم إذا كلفوا سوق المجرمين إلى النار، وظيفهم في الموقف عن المؤمنين كفتهم مناظرهم عن تعرف ذنوبهم".

وأما سؤال الحساب والتوبيخ والتقريع فهذا نوع آخر من السؤال، يسأله الله تبارك وتعالى المجرمين، بل ويسأل الأحياء ليقرو المجرمين ويقيم عليهم الشهود.

"قلِّ شَخْصُ الَّذِينَ أُرِسِلْ إِلَيْهِمْ وَلَشَخْصُ الْمُرْسَلِينَ" (الأعراف: 6).

وقد ذكر القرآن في مواضع عديدة صوراً من هذه الأسئلة التقريعية التوبية التي سيسألها الله للمجرمين على سبيل التوبية، كما في قوله: "وَقَضَوْهُمْ إِنَّمَا تُسَاءَلُونَ ظَنَّكُمْ لَا تُتَعَصِّرُونَ" (الصافات: 25)، وقوله: "أَفْسَخَرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبصِّرُونَ" (الطور: 10)، وقوله: "أَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مَنْ كَنَّا" (الأنعام: 130)، وقوله: "أَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ" (الملك: 8)، فهذا كله مثبت معلوم.

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (4/12/2012).
(2) شعب الإيام، البيهقي (2/500).
الإشكال السابع: ألف سنة أم خمسون ألف سنة؟
قالوا: ناقض القرآن في حديثه عن طول يوم القيامة، فذكر في موضع أنه ألف سنة ٢٠٠٠٠٠ (السجدة: ٥)، وذكر في آخر أنه خمسون ألف سنة ٢٥٠٠٠٠٠ (المعارج: ٤). والجواب: إن القارئ للأيتين يدرك أن التباين بينهما م sede اختيار موضوعهما، فالخمسون ألف سنة هي مقدار يوم القيامة، فقد نصت عليه الآيات بعدها (٤١٨٠) و (٤١٨١) و (٤١٨٢) يوم تكون السهاء كالنهل (المعارج: ٧٤-٧٥)، وقد أكد النبي ﷺ هذا التطول ليوم القيامة، وهو يحكى عن عذاب تارك الزكاة: "كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فرء سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار".(١)
وأما الألف سنة فلا علاقة لها يوم القيامة، وإنما وردت في سياق الحديث عن مدة نزول الأمر من الله ثم عروجه إليه، وهو منطوق الآية وصريحها، لأن الله يقول: "يُنذِرُ الأَمْرَ مِنَ السَّهَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ" (السجدة: ٥). ومصادفة في قول النبي ﷺ: "والذي نفسي بيده إن ارتفاعها كأبين السهاء والأرض، وإن ما بين السهاء والأرض لسيرة خمس مائة سنة"، فنزل الأمر "يُنذِرَ الأَمْرَ مِنَ السَّهَاءِ إِلَى الأَرْضِ" في خمسين عام، ومثلها في صوعده "ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ"، فهذه الألف سنة.
قال ابن عباس: "المعنى ينذل الله ما قضاه السوء وإنامي مقداره لسيير فيه السير المعروف من البشر إلى خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا مقداره لا سيّر فيه السير المعروف من البشر.

(١) أخرجه مسلم ح (٨٧).
(٢) نكت الانتصار لنقل القرآن، الباقلي، ص (١٤).
 ألف سنة لأن ما بين الساء والأرض خسابة عام، فالآلف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى الساء (1). بقي لنا أن نفهم في آذان أصحاب هذه الشبهة، فنقول: الحديث في مسألة الزمن نسبي، فحين نتحدث عن أعاران البشر فإننا نتحدث عن أيام وسنين أرضية؛ لأن البشر يعيشون على الأرض، ولكن لو فرضنا أن خلوقاً عيش على القمر فإن حساب سنى عمره يكون بالسنين القمرية لا الأرضية، فيختلف عمره القمري عن الأرضي باختلاف السنين القمرية عن الأرضية.

وهكذا يكون الحال حين نبتعد أكثر، فنتحدث عن عروج الملائكة في السياوات أو نزولهم فيها، فآيهم ليست أياً أرضية، ولا قمرية، ولا شمسية، والآلف منها باعتبار قد يعدل الألفين أو العشرة باعتبارات أخرى، فيكون الإخبار عن هذا كله صحيحاً رغم اختلاف الأرقام.

الإشكال الثامن: هل تتبدل كلمات الله؟

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزيء (129/3).
الجواب: أن الله سبحانه وتعالى لا يقتصر على حفظ النصوص وتخريجها من مساقها، ومحفوظتها وتخريفها معناها لتدل على غير ما تحدث عنه، فإن القرآن ذكر تحريف أهل الكتاب لمكتاب الله، وتلاعبههم به زيادة ونقصاً، وليس هذا موضوع بسطه.

وفي مقابله ذكر القرآن نوعين من كليات الله لا تبدل:

النوع الأول: القرآن، وهو وإن كان من جنس ما نزل على أهل الكتاب؛ إلا أن الله خصه بالحفظ دون سائر كتبه "وما أوحي إلّي مِن كِتَابٍ رَبِّكَ لَأَمُسْتَدِلَّ إِلَّا هُوَ (الكِفَافِ: 27)، والكلام الذي لا يبدل هو " مَا أوحي إلّي مِن كِتَابٍ "، أي القرآن الذي قال الله عنه: "وَإِنَّكَ لَكِتَابَ عَرْيْزٍ لَا بَالِغُهُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حُكْمِ خَيْرٍ " (فصلت: 41-42).

وأما قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُصَافَّةً وَالْأَذِينَ آتِيْتُمُوهُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ رَبِّكَ بَالْحَقِّ فَلاَ تَكُونُونَ مِنَ المُمْرِئِينَ وَمَتَّعْ كُلُّ مَآءٍ مِّنْهُ صَدِيقًا وَعَزِيدًا لَا مِبَالِغُهُ لِكِلَاتِهِ وَهُوَ الصَّدِيدُ الْعَلِيمُ " (الأعدام: 14-15)، فقد اختالف العلماء في المراذ بـ "لَا مِبَالِغُهُ لِكِلَاتِهِ " فقال بعضهم: هو القرآن، وقال بعضهم: المصدر نواعيه الكونية، والسياق محتمل للمعنيين، وكلا الأمورين لا يبدله أحد، ولا يقر على تبديله.

(11) كثيراً ما يستنكر أهل الكتاب معتقد المسلمين بسلامة القرآن من التحريف، ونسبته ذلك إلى كتبهم، فيساؤون: أما كان الله قدراً على حفظ هذه الكتب من التبديل والضياع، كيف قد ي�

البشر على تحريفها؟!

والحق أن الله على كل شيء قدير، ولو تعلقت مشتته بحفظ كتبه حافظها؛ ولا استطاع تحريفها إنس ولا جان، وأيضاً لم أر أن يفعل حفظ أبنائه من القتل والاضطهاد؛ لفعله، لكنه لم يشا ذلك، فتعرض لهم السفهاء بالقتل والتنكيل.

ومسألة تحريف كتب الله لا تختلف عن مسألة قتل الأبناء، فكما أقر الله عهانة بن إسرائيل على قتل أبنائه؛ فإنه أقرهم على تحريف كتبهم، من غير ضعف منه تبارك وتعالى، فهو فعل ما يريد.
وقد جمع بين المعنيين أبو جعفر الطبري بقوله: "يقول تعالى ذكره: وكمت كلمته ربك، يعني القرآن، لا مبدل لكتابه، يقول: لا مغير لما أخبر في كتبه أنه كائن من وقوعه في حين وأجله الذي أخبر الله أنه واقع فيه، وذلك نظير قوله جل ثناؤه: "يريدون أن يبدؤوا كلام الله قل ل أن تتبعونا كذلككم قال الله من قبل" (الفتح: 15)، فكانت إرادتهم تبديل كلمة الله، مسألتهم نبي الله أن يتركهم يحضرون الحرب معه"."}

الثاني: موعود الله وقضاوته، فلا لا يختلف المعداد، ولا يقوى أحد على تغيير قضائه وموعودة تبارك وتحال، وذلك قوله تعالى: "والقد كُلِّبَت رُسُل مُن قِبَل كَفَّارٍ أَعْلَى مَن كَبِّيْبُوا وَاوْدَأوا حَتَّى أَنَا هُمَّ نَضْرَبُهُمْ وَلا مَبَدَّل لِكُلِّيَّاتِ اللهَ وَلَقَدْ جَاء كَنَّا مِنْ نَعْمَانِ الْمُرْسَلِينَ" (الأنعام: 42)، فما لا يجدل هو موعود الله لأبيبائه بالنصر، ومله في موعود الله للمؤمنين بالجنة "الذين آمنوا و كانوا يتقون همُّ البشري في الحياة الدنيا وفي الآخِرَة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الحور العظيم " (يونس: 62-64)، فالحديث في الآيات المذكورة من تبديل كلام الله يتعلق بالقرآن أو بموعود الله لعباده، ولا يتحدث عن الكتاب المقدس الذي توعيد الله مرحفيه ومديله بالويل والثبور: "فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ثم يقولون هؤلاء من يشهد الله ليُشرئب به رمتنا قليلا فويل له ممّا كتبته أسديهم وويل لهم ممّا يكتسبون" (البقرة: 79).

الإشكال التاسع: عروبة القرآن مع عُجمة بعض كلماته قالوا: تنقض القرآن في قوله بأنه نزل "بيلسان غريب مبين" (الشعراء: 195)، في حين أننا نجد فيه كلمات أعجمية كأسماء بعض الأعلام (إبراهيم، إسحاق، إسحاق)، أو اسماء بعض الأشياء مستعارة من لغات أخرى كالسربانية.

(1) جامع البيان، الطبري (12/26).
والعبرية والنبطية، وأوصولاً إلى ما يقرب من أربعين كلمة، منها (القرآن - سكينة
والجواب: نزل القرآن بلسان عربي مبين، لذا لا يوجد في سطر من سطوره
جملة واحدة غير عربية، ولا يوجد جملة واحدة مركبة بها يخالف أساليب العرب
وطرقتها في البيان.
إن وجود كلمات فرنسية مترفة في كتاب مكتوب بالإنجليزية، لن تجعل
الكتاب فرنسياً، ولن تشکل في إنجليزية الكتاب ولا الكاتب، وبخاصة حين
تكون هذه الكلمات أسيا أو أعاجم، فهذه الكلمات تنقل كما هي من لغة إلى أخرى
من غير ترجمة معانيها.
ثم إن كثيراً من هذه الكلمات - التي استعملوها - عربية في جذورها
واشتقاقاتها، وجعل البعض بها لغة استخدامها أو غيرها لعجل أهميتها، ومن
ذلك كلمة (قرآن - سكينة - حور)، فكلمة (قرآن) ليست من الكلمة العربية
(قإأ) كرا، ولا من السريانية (فرأ)، بل هي من الجذر العربي (قرأ)، وهذا
التشابه في جذور كلمات اللغات السامية كبير ومعروف عند علماء اللغات,
وصوره أكثر من أن تختص في اللغات السامية، ويسببه أخطأ البعض في نسبة
بعض الكلمات العربية الأصلية إلى لغات أخرى.
ولو ضربنا لذلك مثلًا بكلمة (قرآن)، فإننا نقول بأنها مشتقة عربية على وزن

(1) القرآن ولغة السريان، أحمد محمد علي الجمل، (كتاب إلكتروني)، وقد بين الدكتور الجمل أمثلة
هذا التشابه، ومنه لفظة (الحور)، فتندور معانيها في العربية والعربي والسريانية على البياض
والصفاء، لكنها كلمة عربية أصلية استخدمها العرب، ووردت في أشعارهم، ومن ذلك قول
عمرو بن قميتة:

هَٰمَا عَقِينُ حُورَاءٍ يَمُرَّتْ ٍٍ ٍّ ُّوَ تَقَزُّرُ مَعَ النَّبِيّ أَرْطَى طُوَاءٍ
وقول خليفة بن بشير:

حتى أضاء مراجٍ دونه حَجَّلٌ حُورَ العيونِ ملاحَ طرفُها ساجي
عن دعاوى المبطلين

(فعلان) من (قرأ، قرآن)، ومثل هذا الاشتاقاق كثير في لغة العرب (رحمين-
فرحان - رضوان - حيوان - حيران - غضبان).

وكلمة (قرآن) مصدر آخر من الفعل (قرأ)، وهو يختلف في معاناه عن المصدر
(قراءة)، كما يفترق (رحمين) عن رحیم، وفرحان عن فرح، ورضوان عن رضا،
وحيوان عن حياة، وحيران عن حائر، فالمصدر (فعلان) يفيد معنى زائداً، فالقراءة
في أي كتاب هي صورة للقراءة، أما القرآن فهو حقيقة القراءة، وكذلك (الحياة) تدل
على أي صورة من صور الحياة، بينما (الحيوان) تدل على الحياة الحقيقية، لذلك قال
الله عن الآخرة: ﴿وَإِنَّ الْذَّارِ الأُخْرَى فِي الْحُيُوَانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ۴۲)، وكذلك الفرق بين الرضى والرضوان، وبين الفرق والفرقان.

لكن العرب أيضاً استخدمت كليات وفدت إلى العربية من لغات أخرى،
وهي في غالبها تتعلق بمسامع وافية على العرب، فاستوردها العرب في
رحلاتهم إلى الشام وفارس مع أسبابها كـ (سندس، إسترق، زنجبيل)،
فأصبحت عربية بالتعبير واستخدام العرب لها، ويشبه هذا استخدامنا اليوم
لبعض الكليات المتعلقة بمصنوعات وفدت إليها من الغرب، كـ (التلفزيون،
الفيديو، الراديو).

واستعمال العرب ثم القرآن لأمثال هذه الكلمات لن يقلل من عروبة القرآن,
فعروبة أساليبه وفصاحته كلياته لم يتكررها حتى عرب الجاهلية، وهم من هم في
الفصاحية والجزالة، وكذلك في الخص على الوقوف على زلزل في القرآن أو خطأ.

***

(1) انظر: صيغ النسب في اللغتين العربية والسريانية، د.أحمد الجمل، مجلة كلية اللغات والترجمة،
جامعة الأزهر، العدد 32 لسنة 2001 م، ص (242-244)، نقلًا عن كتاب القرآن ولغة
السريان، أحمد محمد علي الجمل.
ألفاظ قرآنية غير لائقة بزعمهم

قالوا: القرآن يستخدم الكلمات لا تليق وتشذب الحياة، مثل كلمة (النكاف) أو (الغائط) أو (الفرج)، ومفهوم كلمة النكاف عندهم (الجهاز)، وأما (الغائط) فرأوهم اسياً صريحاً لا يخرج في الخلاء، وكذلك الحال في (الفرج) الذي اعتبروه لفظاً صريحاً في الدلالة على ملح الحياة.

والجواب: لعل من نافلة القول أن نقرر أن الباحث في كتب أهل الأديان اليوم لن يجد كتاباً مثل القرآن في عنايته بالأداب وانتقائه لأجود الكلمات والأنواع، لأنه كتاب الرحب الحكيم العليم، تعالى عن كل نقيصة ومثلبة. لذا في الألفاظ لا يخلو عن التطرق إليها كتاب يتناول توجه المناضث الإنسانية، بيد أن عظمة القرآن عرضت ما يتعلق بهذه المعاني في قالب أبي رضى لا مثيل له، فذكراها بطريقة الاستعارة والكتابة استعلاها وتهى بفروع نعمة الصريح المستقبلي.

ومن ذلك أن تبارك وتعال عن الملاحظة والتسليم عن الجمع، كما في قوله تعالى:

وَالذِينَ يَظاهِرُونَ مِن نَسائِهِم مَثْلَ نَسائِهم تُغَيِّبُونَهَا وَيُقِيمُونَ رَجَابًا مَّن قَبْلٍ أَن يِتَّنَاكَهَا ذَلِكُمْ نَعْمَانُهَا وَاللهُ يَوَّضِعُهَا بِأَيْدِيهِ يَسَاءُكُمْ مَن قَبْلَ أَن يِتَّنَاكَهَا (العناد: 3-4)، ومثله قوله: وَإِن تَلْقَبَ مُحَاشَرًا مَّن قَبْلَ أَن يِتَّنَاكَهَا (التكوير: 27)، وقوله: أو لَأَسْتَمِعَ الْبَنِيَّةُ (النساء: 42).

وفي مواضع أخرى استعاضت الآيات عن ذكر الجواهر بالفاظ عامة كالرثاء والأقسام والباشر والإكرام والمعافاة، ومن ذلك قوله عز وجل: أَجَلِّ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيْامِ الْرَّفِيعُ إِلَى يَسَاءُكُمْ (البقرة: 78)، قال ابن عباس: "الرثاء، اليوم، ولكن الله كريم يكفي "(1)، وأصل الرثاء كما قال أبو عبيده هو: "اللها من الكلام، وأنشد:

(1) جامع البيان، الطبري (387/2).
ورب أسراب حجيج كظم، عن الله ورفث التكلم:
وأخلاقي كنواية، فإن للإنساء: 
ففي نساء: (النساء: 21)، وفي آية أخرى كنواية الله تعالى عنه
بالمباشرة، ما فيه من التنقيب البشريين: (الأنفال: 187) 
وأما لفظة (النكاح) فهي في لغة العرب بمعنى الاختلاط والتضام، كما تستعمل العرب (النكاح) بمعنى مجازين: أولهما: للدلالة على عقد النكاح.
والثاني: هو الجامع.
قال الفيومي: "تناحكِ الأشجار إذا انضمت بعضها إلى بعض، أو من نكح
الماء الأرض إذا اختلط باراً، وعلى هذا يكون (النكاح) مجازاً في العقد
والوقعط جميعًا، لأنه مأخوذ من غيره، فلا يستقيم القول بأنه حقيقة، لا فيهما، ولا
في أحدهما، ويعيد أنه لا يفهم العقد إلا بقريبة نحو (نَكِحُ) في بني فلان ولا
يفهم الوطء إلا بقريبة نحو (نَكِحَ) زوجته، وذلك من علامات المجاز".

و حين استخدم القرآن هذه اللفظة (النكاح) أراد المعنى المجازي الأول
(عقد النكاح)، ولم يرد (الجاء)، وهذا يبين أن تأمل الآيات القرآنية، كمثل قوله
 تعالى: (وأنكحوا الأيتام منكم والصالحين من عباديكم) (النور: 32)، فالمعنى:
زوجهم، ومثله في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ نَمَّ طَلَقُّوهُنَّ مِنْ قَبْلَ أَنْ تُصْحِفُنَّ فَإِلَّا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ يَمْنُوعُ مِنْ عَبْدِكُمَّ نَفْسَكُمْ وَسَرُّ حَوْهُنَّ)
(الأحزاب: 49)، فالآية صريحة في طلاق الزوجة بعد العقد عليها
وجمل الدخول فيها، فقوله: (نَكِحُمُ) أي عقدت.
ومثله قوله تعالى: (تنكح المرأة لأربع: لماها ولحمسها وجمالها ولدينها، فاظفر

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (2/767).
(2) المصباح القیرینی في غريب الشرح الكبير (2/124).
عن دعاوى المبطلين

بذاك الدين تبت، أي تخليب المرأة ويتطلب الزواج منها لهذه الأمور، وكذلك كتب القرآن عن محل الجمع بالحرث والتغشسي، فأما الحرث ففي قوله تعالى: ﴿نساؤكم خزى لقوم فأتوا خزىكم أن يشتموا﴾ (البقرة: 223)، والتغشسي في قوله: ﴿كلٌّ نفّسًا خلت حملة خفيفًا﴾ (الأعراف: 189).

كذلك كتب القرآن عن مقدمات الجمع بالمراودة، كما في قوله تعالى: ﴿وَزَاوَدَتْ النُّبّأَي هُوَ إِن يَبِينَهَا﴾ (بوبس: 23)، فهو كتابة عما تطلب المرأة من الرجل وما يطلب الرجل من المرأة.

ويمثل هذا الأدب كتب القرآن عن محل الجمع بـ (الفرج)، في قوله: ﴿وَلَاتُنَّ أَحْصَنَتْ فَرَجِّهَا﴾ (الأنبياء: 91)، وهو لفظ كتابة، وليس بلفظ صريح، كما توهم الجهلة من أعاجم العربية، فالفرج عند العرب يراد به أصلاً فرج القميص، أي شقه، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا لَهُ مِن فَرْجٍ﴾ (ق: 26)، والتعبير به عن موضع العفة من ألفاظ الكتابات وأحسنها.

قال الخرджاني: "فرج بالسكن، والفرجة الشق بين الشيئين، والفرج ما بين الرجلين.

وقال بعضهم أصله الشق، وكني به عن السوأة، وكثر حتى صار كالصريح"

وحين تحديت القرآن عن البول والغلوط لم يصرح بهما، بل ذكر لازمهما، وهو الطعام والشراب، فقال عن المسيح وأمه: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسول وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كتب نبيٍّ هم الآيات ثم انظر أنى يوفكون﴾ (المائدة: 75).

وأما لفظة (الغائط) فهي أيضاً من ألفاظ الكتابة، وهي صورة أخرى من صور الأدب القرآني، لأن الغائط في لغة العرب ليس إسياً للعبارة التي تخرج من

(1) أخرجه البخاري ح (600)، ومسلم ح (1466).
(2) التعريفات، الجرحنى، ص (553).
الإنسان، بل هو المكان المنخفض من الأرض، ولا كانوا يقضون حوائجهم فيها؟
فقد استعملوه للدلالة على العذرة، لكراهية العرب للتصريح بسماها.
قال عمرو بن معدي كرب الزبيري:
فكم من خائط من دون سلمي
قليل الآنس ليس به كتب
ومراده كثرة الوديان التي تفصله عن سلمي.
وفي مقابل هذا الأدب القرآني الجميل، فإننا نذكر المردين لهذه الشبيهة ببعض
ما في كتبهم مما تستفيق ذكره الطباخ: فقد ورد ذكر (الخمر) في سفر حزقيال حين
زعموا أن الله قال لبنيه حزقيال: "وتأكل كعكة من الشعير، على الخمر الذي يخرج
من الإنسان تخبئ أمام عيونهم" (حزقيال 4/12).
ورودت المضايقة صريحة في كتبهم في مواضيع لا تحصى، لكنها، بل ورد
ذكر تفاصيل فاضحة عن العلاقة الجنسية، ومنه قول النبوة: "وزننا بمصر في
صاحبنا زنتها. هناك دغدت ثديها، وهنالك تزغعت تراب عذرتها" (حزقيال
33/15)، ومثله في قولها: "حبيبتي لي، بين ثديي بيبس" (نشيد 1/15)، وأمثال
هذا كثير، يطول المقام بتبعه.
وهكذا فإن أدب العبارة القرآنية لا يبارى ولا يتجاوز، لأنه كتاب الله
وكلمه، وما وقع فيه الآخرون من اتهام القرآن بذكر القبيح؛ إننا كان لعدم فهم
هذه الألفاظ، فقد قتلهم أنها ألفاظ كنية تستعملها العرب لنوري بها عن
الصريح المستقبلي، فإن غلب استعمالها على ما أطلقت عليه كنية؛ فإنها الجاهلون
بلغة العرب من ألفاظ الفحش والقباحة وما لا يليق.

***
المرأة في القرآن

قالوا: القرآن يمتهن المرأة، ويجب من منزلتها بالعديد من تشريعاته التي قدمت الرجل على المرأة، فالقرآن جعل التوامرة في الأسرة للرجل: «الرَّجَالُ قُوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِأَيْضَاءِ فَضْلِ اللَّهِ عَسُلُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» (النساء: 42)، وأصر على تقديم الرجل عليها بقوله: «وَهُمُّ يَتْلُوُونَ الْذِّي عَلَيْهِنَّ مَعْرُوفٌ وَلِلرَّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» (البقرة: 228).

وتوجه إن المتفوّه به هذا جاهل بالتكريم الذي خص الله به النساء في شريعته وسنة نبيه.

ولعل من المناسب قبل الخوض في تفاصيله أن نلقى نظرة على وضع المرأة عند الأديان التي سبقت الإسلام، فهي سفر الجامعة، وهو من الأسفار المقدسة عند اليهود والنصارى نقراً: "فوجدت أمرًا من الموت: المرأة التي هي شباك، وقلبها أشرار، وبداه قيود، الصالح قدم الله ينجز منها. أما الخاطئ ف يؤخذ بها... رجلاً واحدًا بين ألق وجدت، أما امرأة فين كل أولئك لم يجد" (الجامع: 7/6).

وفي سفر اللاويين حديث مسيب في غاية القسوة على المرأة حال حيضتها؛ حتى أن مجرد مسها ينجز الناس إلى النساء، كا ينجز كل من مس فراشها أو شيئاً من مثوعها (انظر اللاويين 15).

وأما سفر الخروج فيجز للأب بعث ابنه "و إذا باع رجل ابنه أمة لا تخرج كما يخرج العبد" (الخروج 21/7)، وطبق هذا الحكم بوعظ في عهد القضاة؛ حين اشترى جميع أملاك أليالك و محلولون، ومن ضمن ما اشترى راعوث المؤبدية.
امرأة مخلوّة (انظر رافوث 4).  

وفي المسيحية كانت المرأة على موعد مع إساءة أكبر، فقد حمل بولس المرأة خطيئة آدم، ولأجل ذلك يأمرها فقوله: "لتنعلم المرأة بسكون في كل خضوع، ولكن لست آدن للمرأة أن تعلّم، ولا تسطر على الرجل، بل تكون في سكون لأن المرأة أضو، فحصلت في التدوي" (تيموثاوس 2/11-14) ، نسب العَّابة وقوَّعةٍ على الرِّجَل في إعْ沙发上 الطيَّط.

وفي سفر حكمة يشوع بن سيراخ يؤكد على دور المرأة في خروج الجنس البشري من الناقة: "من المرأة نشأت الخطيئة، وبسببها نموت جميع" (ابن سيراخ 25/4).

وقد ترد هذا الاتهام للمرأة أثراً بالغاً في الحياة المسيحية، عبر عن الأب تريليان في القرن الميلادي الثالث يقوله عن المرأة: "إنا دخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ناقصة لتواميس الله، مشوهة لصورة الله (الرجل).".

ويقول أيضاً مخاطباً النساء بعد حديثه عن دور حواء في الخطيئة الأولى: "أفسنت تعلّمن أن كل واحدة منك هي حواء؟! أنت المندخل الذي يلجه الشيطان، لقد دمرت الرجل صورة الله.".

ويقول الأب سوستاس عن المرأة: "إنها شر لا بد منه، وآفة مغروبة فيها، وخطر على الأسرة والبيت، محبوبة فتاكة، ومصيبه مطلقة موعدها".

وفي الغرب عقدت مؤتمرات غريبة لبحث أمر هذا الكائن (المرأة) ، فقد عقدت مؤتمر في مدينة ماسونا الفرنسي 585 م للنظر هل للمرأة روح أم لا؟ وقرر المؤتمر به حتى عام 1938 م.

1 وتبعة لذلك فإن القانون الإنجليزي حتى عام 1805 م أباح للرجل أن يبيع امرأته بسنت بنات، في حين أن قانون الثورة الفرنسية اعتبار المرأة قاصرة كالصبي والمجنون، واستمر العمل به حتى عام 1938 م.
أن المرأة إنسان، ولكنها مخلوقة خدمة الرجل، وأنها خلو عن الروح الناجية، واستمرت هذه النظرية السلبية إلى المرأة حتى عهد قريب.

لكن أبشع ما تعرضت له المرأة من الاضطهاد حدث في ظل سيطرة الكنيسة على أوروبا في القرن السادس عشر والسابع عشر، حيث انعكس الصورة السوداوية التي تنظر بها الكنيسة إلى المرأة بظهور فكرة اجتاحت أوروبا، وهي وجود نساء متشيئات، أي تلبسهن روح شيطانية، فهن يعاديون الله، ويعادين المجتمع، تقول كارن ارمسترونغ في كتابها "إنجيل المرأة": "لقد كان تعقب المتشيئات بدعة مسيحية، وكان ينظر إليها على أنها واحدة من أخطر أنواع الهرطقة... ومن الصعب الآن معرفة عدد النساء اللائي قتلن خلال الجنون الذي استمر مائتي عام، وإن كان بعض العلماء يؤكد أنه مات في موجات تعقب المتشيئات بقدر ما مات في جميع الحروب الأوروبية حتى عام 1914 م... يبدو أن الأعداد كانت كبيرة بدرجة مفزعه".

أما إذا علنا إلى حال المرأة عند عرب الجاهلية؛ فإننا سنجد أن حالها لم يكن أفضل بكثير مما عند الأمم الأخرى، فقد انتشر في بعض قبائليهم وأد البنات ومنعهن من المراث، ويدعون لنا عمر بن الخطاب - بكلمات جامعة - حال المرأة عند العرب قبل الإسلام، يقول: (واللهم إن كنت في الجاهلية ما تعد للنساء أمرًا؛ حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لن ما قسم).

(1) انظر: تنوع نساء الأنباء، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، ص (23-33)، ولخص تاريخ الكنيسة، ملء ص (377).
(2) انظر: تنوع نساء الأنباء، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، ص (232-247).
(3) أخرجه البخاري ح (4912).
لقد قرر الإسلام تساوي الذكر بالأنثى في إنسانيتها وكافة الأمور العقدية، ولم يميز بينها في شيء إلا حال التعاضد مع الطبيعة التكوينية والنفسية والوظيفية للذكر أو الأنثى.

فأما تساويها في الإنسانية، فقد قرر النبي ﷺ بقوله: "إنها النساء شفائق الرجال"، كيف لا تساويان، وهمًا معاً أصل الجنس البشري (الحبازات 12)، ويشملها جميعاً تكريم الله للجنس البشري و"ولقد كرمنا نبي أدوم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ووفقناهم على كثير ممن خلقنا فتغياً" (الإسراء 70).

ويقرر القرآن أهليته المرأة للإبان والتكليف والعبادة، ومن ثم المحاسبة والجزاء من عجل صالح من ذكر أو أنثى وهم مولمون فلتستحيه حياء طيبة ولتجهرهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (النحل 97)، فهي كالرجل سواء سواء، وهذا التساوي يسري في المسؤولية الشرعية فاستجاب لهم وهم أيّن لا أضيع عمل عامٍ مكن من ذكر أو أنثى بغضكم ممن بعضاً (آل عمران 195)، حيث إن الله يساوي بين الرجال والنساء في شواب وعقاب أفعال الإنسان، فلا تميز جنس أو لون إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانين والغالبات والصادقين والصوابين والصوابات والحاشعين والخاضعين والمتصدقين والمتصدقات والمتصادفين والمتصادفات والمحافظين فرّوجهم والحافظات والذّاكرين الله كثيرًا والذّاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً (الأحزاب 35).

(1) أخرجه أحمد (25663)، وأبو داود ح (236)، والترمذي ح (113)، وحسن الألباني في صحيح أبي داود ح (234).
ویرأ الإسلام من تفضيل الذكر على الأنثى، وبعد النبي ﷺ بالجنة من أكرمها ولم يفضل الذكور عليها: «من كانت له أئتي فلم يشدها ولم يندها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة»(1).

وما زال يوصي بحق المرأة ويحذر الرجل من الاعترار بقوته وظلمها، فيشهد الله على تأكيده على حقها: «اللهم: إن أخرج (أي أشهد) حق الضعيفين: الينيم والمرأة»(2)، فمثل هذا يتناقض مع القول بظلم الإسلام للمرأة. ولسوف نعرض تفصيلاً لأهم ما يثار حول المرأة في الإسلام وما زعمه المبطلون من انتقاص الإسلام كرامتها وأنه ظلمها.

---

(1) أخرجه أبو داود (5146)، وأحمد (1958).
(2) أخرجه ابن ماجه (3678)، وأحمد (9374).
أولاً: القدامة وظلم الزوجة
قالوا: القرآن ظلم المرأة حين جعل القدامة في المجتمع للرجل دون المرأة:

» الرَّجُلُ قَوَامٌ عَلَى النَّسَاءِ فَقَضَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبَيْنَهُمْ أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَاهُمْ "(النساء: 43).

والجواب: إن نظرية سريعة إلى المنهج الإسلامي في التعامل مع المرأة مكتشفة عن القدر العظيم للمرأة في الإسلام، فإنا زال النبي ﷺ يوصي بحسن العشرة النساء، ففي حجة الوداع وأمام جمع الصحابة وقف النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وقال: "ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنها هن عوان عندكم [أي مثل الأسيرات عندكم]. ألا وإن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حفظكم على نسائكم فلا بوطن فرشكم من تكرهون، ولا يأتذن في بيوتكم لم تكرهون، ألا وحقق أن تحسنوا إليهم في كسوتكم وطعامهم".\\(^{1})\\

وأيام النبي ﷺ بحسن العشرة للنساء والصرح على قد يعرف منه من أذى اللسان، فإن المرأة بحسب جبنّتها تأخذ حقها بباسنانها، فقد قال ﷺ: "وأستوصوا بالنساء خيراً، وإنهم خلقن من ضلّع، وإن أعوج شيء في الضعفاء، فإن ذهب تقيمه كسرته، وإن تركه لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً".\\(^{2})\\

ولما كانت الأسرة كسائر المؤسسات المجتمعية والاقتصادية تحتاج إلى قائد يقودها، فإن القرآن جعل القدامة في الأسرة للرجل دون المرأة (الرجال قوامون على النساء فقضي الله بعضهم على بعض قطعاً من أمواتهم) (النساء: 44)، فالآية تحدد صاحب المسؤولية الأولى في الأسرة، وهو الرجل، إذ أي مجتمع إنساني - صغر أم كبر - لا يخلو من قيّم مسؤول يقود من تحت ولايته بما يمتاز به

---

\\(^{1})\\ أخرجه الترمذي ح(1163)، وابن ماجه ح(1851).

\\(^{2})\\ أخرجه البخاري ح(1331)، ومسلم ح(148).
عن دعاوى المبطلبين

عن الآخرين، كُبر سنه أو امتلاكه حصة أكبر في الأسهم أو خبرة وأقدامية في العمل، لكن - على كل حال - لابد من وجود مدير أو مسؤول أول أو قائد لهذه المؤسسة.

وفي حالنا هذه نحن أمام أحد خيارات: إما أن تكون المسؤولية الأولى للمرأة، أو أن تكون للرجل.

إن نظرة بسيطة تتفسح عالمنا - الذي ما فتى ينادي ويصرخ بالمساواة العمياء بين الرجل والمرأة - لتكتشف لنا عن حقيقة تميز الرجل عنها في مثير بلدان الداعين إلى المساواة، لذلك أسأل القارئ الكريم: كم نسبة الوزراء إلى الوزراء في دول العالم الذي ينادي بالمساواة بين الجنسين؟ وكم نسبة الملوك والرؤساء من النساء في تلك البلاد؟ وكم نسبة نساء الدولة والبرلمان وقادة الأحزاب إلى الرجال في هذه الدول؟

لا ريب أننا جميعًا متفقون على تقدم الرجل - في كل هذا - على المرأة.

وبفارق كبير، فكيف وقع هذا عند من يدعون المساواة؟

إن الدول الإسكندنافية حققت أعلى الأرقام العالمية في تولية المرأة مناصب قيادية، لكنها لم تتجاوز نسبة ال-30%، لماذا؟

القرآن يبينا: << الرَّجَالُ قَوْامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بَيًا فَضَلَّ اللهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَعْلَمُونَ أنَّ اَمْوَالَهُمْ لَابْنَاتٍ لَهُمْ (النساء: 24)، نعم لقد خلق الله الرجال لغاية وأعطاه من الملكات والإمكانات ما يعينهم عليها، ومن ذلك مسؤولية القيادة في الأسرة والمجتمع، لأنه مسؤول عن رعاية البيت ونفقته، فالزوجة دُبْرة مصانة، ليس واجباً عليها ولا مطلوباً منها أن تكدح وتشقى بالعمل لتضمن مكاناً لها في بيت الزوجية، فهذا ليس من واجباتها، ولا هو مناسب مع أنواعها وطبيعتها الحادية العاطفية التي فطرها الله عليها لتناسب مهمتها السامية في إدارة بيتها.>>
وتربيهم أبنائهن وإعطائهن حقهم من الحنون والرعاية «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعية»، والرجل راع في أهله، وهو مسؤول عن رعيةه، والمرأة راعية في بست زوجها، وهي مسؤولة عن رعيةها».

والمرأة مكافحة النفقة، أمّا كانت أو زوجة، أعهِّت كانت أو أبنة «بد المعتطي العليا، وابداً بمن تعول: أمك وأبك، وأختك وأخاك، ثم أختاك أختاك»، فواجب الرجل الإفصاح عن الأسرة عموماً، وعلى الزوجة خصوصاً، ولو كانت ذات مال ووظيفة، فقد أمر النبي ﷺ بذلك: «وَلَهُ عَلَى كَذِلِكَ رَعَايَةً وَكَسْوَةً مِّنَ الْمَعْرُوفَ».

والعلاقة الزوجية جلالة متباينة من الحقوق والواجبات، وهي قائمة على مبدأ الأخذ والعطاء بِهِ «وَهُوَ الَّذِي عَلَى نَفْسِهِ وَالرَّجَالِ عَلَى نَفْسِهِمْ» (البقرة: 286)، وهذه الدرجة (القوامة) ليست لقعود جنس النساء عن جنس الرجال، بل تفضيل متسانب مع ما أودعه الله في الرجل من استعدادات فطرية.

ثالث مهمته وتناسب مع إنفاقه على الأسرة.

وقوامة الرجل على المرأة والأسرة لا تعني تفرده بالقرار، فها هو أكمل الرجال وسيدهم يستثمر أم سلمة في مسألة تتعلق بالأمة، لا بالأسرة فحسب، فقد أمر أصحابه يوم الحديبة أن يحلقو رؤوسهم ويخلعوا من عمروهم; ليغدوا إلى المدينة المثورة، فكفرهوا ذلك ولم يقم منهم أحد، فدخل على أم سلمة، فذكرها لما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: (يا نبي الله أنت لذا؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بذئن، ودعوا حاليك في حليتك، فخرج، فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بذئن، ودعا حاليك في حلقه، فلما رأوا ذلك قاموا

---

1. أخرجه البخاري (893)، ومسلم (1829).
2. أخرجه النسائي (532)، وأحمد (450).
3. أخرجه مسلم (1218).
فنحروا، وجعل بعضهم يُحَلَّق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غياً.

بقي أن نهمن في أذان أصحاب هذه الأبطولية، فنسألهم: من القيم على الأسرة في كتابكم الرجال أم النساء؟ وما رأيكم في قول بولس: "الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل، ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل" (كورنثوس 11/8-9)، وهذا النص وأمثاله يفيد قوامة الرجل، ويفيد أيضاً ما لا تقبله، ونراه إزراء بالمرأة التي لم تخلق للرجل، فهي ليست كسائر ما سخره الله لنا من متاح، بل هي كالرجل مخلوقة لعبادة الله وعهارة الأرض بمنهجه بارك وتعالي.

(1) أخرجه البخاري ح (2734).
ثناءية: الأمر بضرب الزوجة
قالوا: القرآن ظلم المرأة حين أجاز لزوجها أن يضربها: «وَاللَّاتِي خَافْنَ»
نَحْرُونَهُنْ وَهُمْ يُؤْهِجُونَ في المُصَاحِبِ وَأَضْرَّبُونَهُنْ فَإِنَّ آتِعُمْكُمْ فَلَا تَبْعَا»
عليهَنَّ سُلَيْمَا إنَّ الله كان غالبًا كبيرًا» (النساء: 4).

الجواب: سبق لنا التعرف على منهج القرآن في التعامل مع المرأة، ورأينا ما فيه من التكريم والإجلال الذي عز أن نجد مثيله في كتب الآخرين، فهذا هو الأصل في معاملة المرأة، والنبي ﷺ كان نموذجاً لهذا الأصل «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، وصفته أم المؤمنين عائشة: (ما ضرب رسول الله ﷺ شيطان فتبدى، ولا امرأة ولا خادمة؛ إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينقم من صاحبه إلا أن ينتهم شيء من معارم الله فينقم لله عز وجل»).

وهكذا، فإن الأصل تكريم المرأة، لكن للقاعدة شواذ، فالإنسان مكرم، لكن اللص والمحروم يهان، والأصل - في الإنسان- حفظ حياته، أما القاتل فيقتل، والأصل في المرأة تكريمها، لكن الناشر المستخلف بربط الزوجية تضرب وتؤدب إذا لم تتفع معها وسائل الإصلاح، ولو قلت تقتل.

وقد أذن القرآن الكريم للزوج بتأديب زوجته، بل أوجب عليه ذلك، فلو كانت زوجة الواحد منا لا تصلي مثلًا أو امرأة ناشراً، فإن الزوج يندب إلى وعظه، ثم هجرها إن أصرت على الشروع وتدمير الحياة الأسرية، فإن لم ترعوي فإن الله أذن له بضربها ضربًا خفيفًا غير مبرح.

وهذا التأديب- كأسبق - ليس أصليًا في معاملة المرأة، بل هو خاص بالزوجة الناشي سبيعة الحقائق والدين، وهو نوع من الرحمة بها والوقاية لها من حساب الله

(1) أخرجه الترمذي ح (3795).
(2) أخرجه مسلم ح (2328).
وعقابه، قال تعالى: «فالصلوات فان تءَّمت حافظات للْغَيْبِ بيّنا خُفِّض الله واللَّاتي تفروضهن عظاظهن وأهْجَرُوهُن في المضاجع وأَضَرُّنُوهُن فإن أطعمنكم فلا تُبْغِوا عليهن سيراً إن الله كان علياً كريماً» (النساء: 43)، فالضرب آخرون وسائل الإصلاح، ويكون بعد الوعظ والهجر واستفراغ الجهد في التقويم والإصلاح.

وحين تتحدث عن الضرب تدور في خيلة البعض النازح السهية التي يتنقل العالم في شرط ورغبته منها، فقد أصبح العنف مع النساء والنسوية معهن مرضاً عالمياً مزرياً بالإنسان اليوم، وهو بالطبع ما يحرم القرآن الذي لا يأذن بالضرب المبرح، فالجائز في ضرب الناشئ؛ الضرب غير المبرح، وقد مثلوا لها بضربها بالسواكن، وهو عود صغير لضربه طفل لما تأدي، وقد قال النبي ﷺ منهما على قدر الضرب المسموح به: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكن عليهن أن لا يوطنن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضبروهن ضرباً غير مبرح، وفهن عليهم رزقهن وكسوتهن بالمعروف». (1)

أما الضرب المبرح الذي يترك أثراً على الجسد فهو حرام، وبخاصة إذا كان على الوجه، فقد لعن النبي ﷺ من ضرب الحيوان على وجهه، فما بالنا بالزوجه:

«أما بلغكم أن قد لعنتم من وسم البهيمة في وجوها أو ضرباً في وجهها». (2)

ولما دخل معاوية القشيري على النبي ﷺ سمعه يؤكد على حقوقها ويقول:

«لا تضرب الوجه، ولا تبقي، وأطمن إذا أطعتم، وأكس إذا اكتسبت، ولا تهجر إلا في البيت، كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض إلا بها حل عليهن». (3)

(1) أخرجه مسلم ح(1218).
(2) أخرجه أبو داود ح(2564).
(3) أخرجه أحمد ح(1964).
وذماً من النبي ﷺ لأولئك الذين يضربون زوجاتهم وقفًا على المنبر يوصي بالنساء، يقول: "يا أجدكم فيجدل امرأته جلد العبد، فلعله يضاجعها من آخر يومه". 

وذات مرة جاء إلى النبي ﷺ رجل يشكو زوجته، فقال: يا رسول الله، إن لي امرأة فذكر من طول لسانها وإيذائها؟ فقال ﷺ: "طلقها". فقال: يا رسول الله، إنها ذات صحة وولد؟ قال: "فأمسكها وأمرها، فإن يك فيها خير فستفعل، ولا تضرب ظعينتك ضربك أمتلك"، فنهاها عن ضربها رغم سوء معاملتها وخلقها.

وعشية من وقوع بعض الأزواج في الظلم والتعدي والتعسف في التأديب قال ﷺ: "لا تضربوا إماة الله"، لكن بعض الزوجات أرسلت إلى أزواجهن، إذ لا يعالج حالتهم إلا التأديب، فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: ذئبن النساء على أزواجهن (أي نفر واجتنان)، فرخص ﷺ في ضربهن، فأطاف بالرسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ: "لقد طاف بالله محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم".

وهكذا نرى وصاية النبي ﷺ لكل حاير شريف أن يتقى الله تعالى في زوجه، وأن يعف لسانه ويكف يده بالأذى عنها، كما كان يفعل رسول الله ﷺ الذي لما ضرب زوجًا ولا قبحها، وأما أولئك البيضون الذين يضربون زوجاتهم فحسبهم حكم النبي ﷺ عليهم أنهم ليسوا من خيار المؤمنين، فخيرهم خيرهم لأهلهم.

ورسل الله ﷺ خيرنا لأهله.

لقد أوجب القرآن العشرة المعروف حال الحب والكراهية غايرُوهُنَّ.

---

(1) أخرجه البخاري ح (4942)، ونحوه في مسلم ح (2855).
(2) أخرجه أبو داود ح (142)، وأحمد ح (15949).
(3) أخرجه أبو داود ح (2146)، وأبي ماجه ح (1985).
بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تركهوا شيئاً وجعل الله فيه خيراً كبيراً
(النساء: 19). فإن وقع طلاق ثم انتهت عدتها؛ فإما أن يمسكها ومعروف أو يسرحها بإحسان
الطلاق مرنان فإن كرسمك ومعروف أو تسرح بإحسان.
(البقرة: 229).
و هذه العشرة بالمعروف للزوجة تصبح ميزاناً للخيرية عند الله يستبقي فيه المسلمون إلى محبة الله ورضاه، فقد قال ﷺ: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي". وفي رواية: "إن أكمل المؤمنين إياه أحسنتهم خلقاً وألفنهم بأهله"."

(1) أخرجه الترمذي ح (3795).
(2) أخرجه الترمذي ح (2612)، وأحمد ح (23684).
ثالثًا: تعدد الزوجات
قالوا: القرآن ظلم المرأة حين أباح للرجل أن يتزوج عليها، وفي هذا إضرار بمصلحتها.
والجواب: قبل التعرف على حكم الإسلام في المسألة نقرر أن الإسلام لم يكن أول من شرع هذه الشريعة التي شرعتها الأمم والململ قبل الإسلام، فقد عرفت الأمم جميعًا التعدد، لكنها ترددت بين نوعيه: تعدد الزوجات وتعدد الخليلات، فقد أجاز الإسلام الأول منها، وحرم الثاني لما فيه من إزراء بالمرأة وظلم فادح لها، فهو يجردها من جميع الحقوق الزوجية، فالعشيق لا يلتفت للخليفة بها يلتفت به الزوج لزوجاته من نفقة وسكون ورعاية الزوجات ولأبنائهن من غير تفريق بينهم.
والرسائل السياوية قبل الإسلام أباحت تعدد الزوجات، وبقي في إثبات ذلك أن نذكر أن العهد القديم الذي يؤمن به اليهود والنصارى يقر بأن إبراهيم كان متزوجًا من ثلاث زوجات (سارة وهاجر وقطورة)، وأما يعقوب فكان متزوجًا من الأختين (ليلى وراحل)، والأميين (زنقة وبللة)، (انظر التكوين 29)، ويذكر الكتاب المقدس أن داود كان له سبع زوجات، وأن ابنه سليمان النبي: "كانت له سبع مائة من النساء السيدات، وثلاث مائة من السراير" (سفر الملوك 11/3)، فالعديد مشرووع في شرائع التوراة ومن غير ضوابط ولا شروط.
وأما المسيحية فهي تحرم تعدد الزوجات رغم أنه لم يرد عن المسيح ما يبطل هذه الشريعة التوراتية، فالمسيح يقول: "ما جئت لنقض الناموس أو الأنبياء، بل لأكمل" (متى 5/17).
بل إن العهد الجديد يشير إلى مشروعة التعدد، حيث يقول بولس في
عن دعاوى المبطلين

(تيموثاوس (1/3، 12): "فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة... ليكن الشهامة كل بعل امرأة واحدة"، ويفهم منه منع تعدد الزوجات للشجاعة، وجوازه لغيره.

وقد بقيت قضية تعدد الزوجات صحيحة تنادي بها فرق مسيحية شتى مثل اللا معلمان الذين "الأنا بابتيست" في ألمانيا في أواسط القرن السادس عشر للميلاد، وكان القس فونستير (1531 م) يقول: من يريد أن يكون مسيحياً حقاً فإنه أن يتزوج عدة زوجات.

وبمثله نادى فرق المورمون في مطلع القرن التاسع عشر، ولم يتدفق على إلاآ بضغط السلطات الدينية في أواخر القرن التاسع عشر.

وقد بلغت الدعوة إلى إباحة تعدد الزوجات مبلغًا عظيماً عند مفكري الغرب وعلماءهم; وبخاصة بعد أن عانت أوروبا من نقص شديد في عدد الرجال نتيجة للحروب العالمية التي قتل فيها أكثر من 48 مليون رجل، وكذلك لانتشار الفواحة والزنا وزيادة عدد اللقطاء.

ولو عدننا للحديث عن عرب الجاهلية لرأينا أن التعدد شائع عندهم من غير ضوابط، فكان لبعضهم عشر زوجات، فقد أسلم غيلان بن سلمة الثقفي، وتحته عشر نسوة، فقال له النبي ﷺ: "اختير منهن أربعاً" (1); وأما عريرة الأسدية فيقول: أسلمت وعندى ثاني نسوة، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: "اختير منهن أربعاً" (2).

---

(1) انظر: حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، عبد الودود شلبي، ص (240 -241)، والتبشير والاستشراق، محمد عزت الطهطاوي، ص (204).
(2) أخرجه الترمذي ح (128)، وأبو ماجه ح (1953)، وأحمد ح (4596).
(3) أخرجه أبو داود ح (2241).
وهكذا فالعدد موجود قبل الإسلام، ومن غير ضوابط، وذلك لواقعيته
هذه الشرعة، وحاجة بعض الأزواج إلى الزواج بغير زوجته لمرضها أو لعدم
قدرتها على الإنجاب أو توقفها، أو لغير ذلك من الأسباب، ولولا تعدد
الزوجات لما تزوجت الكثير من العوانس والطلقات وذوات الأمراض.
لقد كان الإسلام واقعياً حين أقر شريعة التعدد، فتزوج الزوج بأخرى أولى من
طلاق الأول، وأولى من العلاقة المحرمة، فالتعدد المشرع يغلق الباب أمام تعدد
العشيقات غير المشروع الذي يحتاج المجتمعات الإنسانية التي ترفض التعدد.
جاء في إحصائية عن الحياة الزوجية منشورة في مايو 1980 م أن 75٪ من
الأزواج في أوروبا يخونون زوجاتهم، وأفادت إحصائية أخرى أن مليون امرأة
والإحصائيات الأحدث أسوأ وأقطع، فإن السبب في كل هذا البلاء؟
ولنسمع إلى المصلح الشهير مارتن لوثر مؤسس فرقة البرتستانت وهو
يجيب: "إن نبض الجنس قوية لدرجة أنه لا يقدر على العفة إلا القليل .. من أجل
ذلك الرجل المتزوج أكثر عفنة من الراهب .. بل إن الزواج بمارأتين قد يسمح
به أيضاً، كعلاج لاقتراح الأثم، كدليل عن الاتصال الجنسي غير المشروع".
إن البشرية لا غناها عن تعدد الزوجات إذا شاء أن تحمي حياة العفة
والطهر، وهذا ما استندنا إليه دراسة بسيطة للإحصاءات العالمية التي تشير إلى
زيادة مطردة لنسبة النساء، فإذا كان عدد الإناث في الولايات المتحدة الأمريكية
يزيد على عدد الذكور بأربعة ملايين امرأة، فإن المجتمع الأمريكي خير بين القبول
بأربع ملايين بغي أو بأربعة ملايين أسرة شرعية تتعدد فيها الزوجات.

(1) انظر: تعدد نساء الأشياء، ومكانتة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب،
ص (15-150)، (1854).
وعهداً فإن إباحة القرآن لتعدد الزوجات صورة من حكمة الله الحكيم، إذ
واقع الأرض لا يصح إلا بمثال هذا التشريع، عدد نساء البشر اليوم يربو على
رجالها بأربعة إلى مليون أمرأة، مما يجعل تعدد الزوجات ضرورة ملحة لكل مجتمع
يخشى الفساد ويحذر الانحلال، لذلك تقول الكاتبة الإيطالية "لورافيسيا
فاغليري": "إن لم يكن الدليل حتى الآن بأي طريقة مطلقة على أن تعدد
الزوجات هو بالضرورة شرًا اجتماعي وعقبة في طريق التقدم... وفي استطاعتنا
أيضاً أن نصر على أنه في بعض مراحل التطور الاجتماعي عندما نشأ أحوال
خاصة بعينها، كان يقتل عدد من الذكور ضحية إلى حد استثنائي في الحروب
مثالًا؛ يصبح تعدد الزوجات ضرورة اجتماعية".
لكن واقعية الإسلام في إباحة التعدد لم تحل بمثاليته في التشريع، فقد حدد
بأربع زوجات فقط؛ حتى يقدر الرجل على الوفاء بحقوقهن، كما سيج الإسلام
هذه الشرعة وزنها بجملة من الآداب والضوابط، التي تلزم المنصف بتبرئة
القرآن من مسؤولية الممارسات الخاطئة التي يقع بها بعض المعددين الذين لم
يتأدوا بآدابه، ولم يفهو أن تعدد الزوجات ليس شهوة عابرة بل هو مزيد من
المستويات التي يجب على الزوج القيام بها والوفاء بكل متطلباتها المالية
والاجتماعية والإنسانية.
ومن آداب الإسلام في هذا الخصوص أنه كتب على الزوج العدل بين نسائه
أو الامتناع عن التعدد: "وإذ ختمتم ألا تسبتموا في التبناي فإنكم جووا ما طاب لكم
من النساء من شم وثلاث وربع أو فإن ختمتم ألا تعدلوا أو تواجدا أو ما ملكت أيها الكتم
( النساء: 3)، والعدل يشمل السكن والتفقة وغيرها من مستحقات الزوجية.
وحذر النبي ﷺ من صورة كثيراً ما نراها عند المعدنين، وهي الميل إلى

(1) قالوا عن الإسلام، عباس الدين خليل، ص (426).
إحدى الزوجتين، فهذا النوع من الظلم توعده الله فاعله بعقوبة خاصة يوم القيامة: "من كان له أمران يميل مع إحداهما على الآخر، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط". 

ولو عدنا إلى قول القائلين أن تعدد الزوجات فيه ظلم للزوجة الأولى وإهانة لكرامتها، فجوابه: فإن التعدد فيه مصلحة للزوجة الأخرى وإكرام لها، كيف تفوت هذه المصلحة؟

ثم إن الزوجة الثانية تستعد شريكة الأولى بمباركة أسرتها من الرجال والنساء الذين رأوا أن زوجها من متزوج بغيرها خير لها من أن تكون بلا زوج، وهو صيانة لها، ويؤهلها لتكون زوجة فاضلة بدلاً من أن تكون خييلة أو عشيقة بلا حقوق ولا كرامه، ثم لا تثبت أن تصير إلى الشارع.

ولذلك يرى الكاتب الإيراندي "برناردشو" أن إباحة تعدد الزوجات هو العلاج لمشاكل الغرب، يقول: "إن أوروبا لو أخذت بهذا النظام لوفرت على شعورها كثيراً من أسباب الانحلال والسقوط الخلفي والتفكك العائلي." ويلقول المستشرق الشهير "هك فارلين": "إذا نظرنا إلى تعدد الزوجات في الإسلام من الناحية الاجتماعية أو الأخلاقية أو المذهبية، فهو لا يعد مخالفاً - بحال من الأحوال - لأوiben أسلوب من أساليب الحضارة والمدنية، بل هو علاج عملي لمشكلات النساء البائسات والبغاء، واختلاش الي شبكة، ونمو عدد العوانس المطرد في المدينة الغربية بأوروبا وأمريكا".

(1) أخرجه ابن ماجه (969)، وأحمد (832).
(2) الإسلام وحقوق المرأة، بإشراف د. جعفر عبد السلام، ص (149).
رابعاً: حقوق المرأة والميراث

قالوا: القرآن يزعم المرأة حين يجعل لها من الميراث نصف ما للرجل، وفي ذلك انتقاس من أهلية المرأة، ومعاملتها على أنها نصف إنسان!!.

والجواب: سيتبيان صور التساوي بين الجنسين في الإنسانية، ورأينا تساويها في المنزلة عند الله وجزائها وعقابها، واستقر لدينا أن التفاصل بينها إنها هو لدواع مادية بحتة، فالآصل في المسألة قوله تعالى: "إنه النساء حقائق الرجال".

ولقد أن نقف على سبب اختلاف الذكور عن الإناث في المواريث أود تذكير الطاعنين على القرآن بأن كتبهم المقدسة تحرم المرأة من الميراث كلية حال وجود أشقاء لها "فكلم الرسول موسى قائلاً... أيها رجل مات وليس له ابن; تنقلون ملكه إلى ابنه" (العدد 27/8)، ويفهم من السياق السوراوي - الذي يؤمن به اليهود والنصارى - أن وجود الأبناء يمنع توريث الأبنة (وانظر يشع 17/1-3).

وحين جاء الإسلام كان عرب الجاهلية يحرمون المرأة من الميراث، يقول عمر: (والله إن كنت في الجاهلية ما تعد للنساء أمرًا، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم")، فألغيت الإسلام شرعية الجاهلية، وأحل بدلاً عليه نظام الإرث الإسلامي المبني وفق قواعد ثلاثة:

أولاً: مراعة درجة القرابة بين الميت والوارث، فكلاً اقترنت الصلة بالميلت زاد النصيب في الميراث، وكلما ضعفت الصلة قلّ النصيب في الميراث، دوناً اعتبار لجنس الوارثين، فابنات الموتى تأخذ أكثر من والد الموتى أو جده أو أخيه، وهي تناول نصف التركة لو ورثت مع الأب والأم.

(1) أخريجه الترمذي ح (113)، وأبو داود ح (236)، وأحمد ح (5663).

(2) أخريجه البخاري ح (4913).
ثانیاً: مراعاة موقع الجيل الوارث من التتابع الزمني للأجيال، فالأجيال الناشئة تقدم على الأجيال الكبيرة، لأنها تستقبل الأعباء والتفقات من دراسة وزواج وإنفاق على الأبناء، بعكس الكبار الذين غالباً ما يخفف نفقاتهم، ومرة أخرى لا أثر للذكورة والأنوثة، فثبت المنوفي ترت (النصف) أي أكثر من أم المتوفى وأبيه، وحتى لو كان الأب هو مصدر الثروة التي للابن.

ثالثاً: مراعاة العبء المالي الذي سيتحمله الوارث، وفيما قاعدة العُجم بالغرم، فكلما كانت الأعباء عليه أكثر فإنه يرت أكثر، وسبب هذا يتفاوت الذكر والأنثى، لأن الأعباء المالية على الذكور أكثر، فالذكورة مكلف بإعالة الأثني؛ زوجة كانت أم أنها أم بنتاً، فهي ترت من أبيها، وبرعاها أخوها وزوجها وابنها.

ولو شئنا أن نضرب مثلاً بأخ وأخت ورثاً عن أبيهما، فلو ورث الذكر عن أبيه 100 ألف والأنثى 50 ألفاً، فالأخ ملزم به من أن ينفق على عائلته كساء وغذاء وسكننا، بينما أخته مكفولة النفقة في بيت زوجها، وإذا كان الأخ يدفع مهراً، فإن الأخ تأخذ مهراً، علاوة على النفقات الأخرى التي يختص بها الرجال دون النساء، كتحمل دفعية قتل الخطأ مع العصبة والأقارب، فهذا وأمثالها واجب على الأخ دون أخته الوارثة لنصف ما ورث.

وهكذا، حين جعل الله للذكر مثل حك أثني من الميراث لم يقبض بذلك لفوان النساء أو ظلمهن، بل قسم المال ووزعه تقسيماً مادياًً بحتاً يتناسب، والمسؤوليات المنوطة بكل منها في المجتمع والأسرة.

ثم إن الحالات التي ترت فيها المرأة نصف الرجل لا تعد إلا ثلاث حالات:

(1) انظر: الفصل في الرد على شهادات أعداء الإسلام، [كتاب إلكتروني].
(2) ندوة علمية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام، رابطة العالم الإسلامي، ص (140-141).
عن دعاوى المبطلين

(أ) أولاد المتوفر، فالمذكور يرثون ضعف الإناث، لقوله تعالى: "يُوصِيكمُ اللهُ في أولادكُم للذّكَر مثَل حَظ الأَنثِيَّين" (النساء: 11).

ب) النوارث بين الزوجين، حيث يرث الزوج من زوجته ضعف ما ترثه هي منه، لقوله تعالى: "ولكن يضيف ما ترك أرواحكُم إن لم يكن له ولد فإن كان له ولد فلَكَذَّبُوا أن يكون ولد فإنا كان للكُرم ولد فلَأهن النَّعْمَين ما تَرَكتم إِن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم للكُرم ولد فلَأهن النَّعْمَين ما تَرَكتم من بعد وصيَّة." توصون بها أو دينين" (النساء: 12).

ج) يأخذ أبو المتوتر ضعف زوجته (أم المتوتر) إذا لم يكن لابنها وارث، فيأخذ الأب الثلاثين وزوجته الثلاث.

وفي مقابل هذه الحالات الثلاث فإن الأشري ترث مثل الذكر في حالات، كنا في مسألة الكلايلة، فإن كان رجل بورث كلايلة أو أمارة وله أخ أو أخت فلكُنها واحدٌ منهما السدس فكانا أُكْثَرُ من ذلك فهم شرَّفاء في الثلاث (النساء: 12). وكما قد قضى عمرو بالتساوي بين الأخوة لأم ذكوراً وإناثاً، قال الزهري: "ولا آرى عمرو قضى بذلك حتى علم ذلك من رسول الله"، وهذه الآية التي قال الله تعالى: "فإن كانوا أُكْثَرُ من ذلك فهم شرَّفاء في الثلاث" (النساء: 12)".

ومرة أخرى ساءى القرآن بين الوالدين في إرثها من ولدهما؛ إذا كان له ولد ولا بَوْرَث يلك واحد منهما السدس بما ترك إن كان له ولد (النساء: 12). وهناك أحوال كثيرة ترث الأشري فيها أكثر من الرجل، فتقدم الابنة مثلاً على الأب والأخ والمخلِّل، بل قد ترث هي، ولا يرثون.

وهكذا فالتفاوت في قسم الميراث بين الذكور والإناث ليس مطراً، وهو متعلق بمنظورات الإسلام الاجتماعية ومقتضياتها في توزيع المسؤوليات والواجبات.

(1) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (88/3).
ووفق هذه الالتزامات يتوزع الإرث بين الذكور والإناث. وننتمي الرد على هذه الأبطولة بشهادة المستشرق غوستاف لوبيون، حيث يقول: "والإسلام قد رفع حال المرأة الاجتماعي وشأنها رفعًا عظيمًا بدلاً من خفضها، خلافًا للمزاعم المكررة على غير حذى، والقرآن قد منح المرأة حقوقاً إرثية أحسن مما في أكثر قوائمنا الأوربية". ويقول: "وتعد مبادئ الميراث التي نص عليها القرآن بالغة العدل والإنصاف. وينظر من مقابلتي بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات - اللائي يُزعم أن المسلمين لا يعاشروهن بالمعروف - حقوقًا في الميراث لا نجد مثلها في قوائمنا"."(1) حضارة العرب، غوستاف لوبيون، ص (389،401).
خامساً: شهادة المرأة
قالوا: جعل القرآن شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل في قوله:
«وأُفِتِّحٌ مِّنْ شهَّادَةِ وَاحِدَةِ، فَإِنَّمَا يُكْثِرُوا فِرْجَ الْرِّجَالِ وَأَمْرَانِينٌ مِّنْ عِدَّةٍ» (البقرة: 282). فَزَعَمَوا أنَّهُ في ذلك انتقاصًا للمرأة، واستهانة بِها.
والجواب: الأمر الورد في الآية ليس موقعًا إلى القاضي والحاكم، كما يظن الكثيرون. إنها هو لصاحب المال الذي يداين أخر، فأمره الله بكتابة للذين لحفظه; فإن عجز عن ذلك، فليشهد عليه شهيدين من الرجال، أو رجالًا ومرأتين، حتى لا يضع حقه بنسيان المرأة الواحدة مثل هذا الأمر، الذي لا تضبطه النساء عادة.
وقد علملت الآية السبب الذي لأجله طلب الله من صاحب الدين الاستثبات لملته بشهادة امرأتين أو رجل واحد. إن تقبل إحداهما فتأذَرُ إحداهما الأخرى) (البقرة: 282)، أي خوف نسيانها فحسب، لأن المسائل المالية ما لا تضبط النسا ولا تعني به عادة. وضلاها وخطؤها ينشأ من أسباب مادية بحثت، لعل أهمها قلة خبرة المرأة بموضوع التعادل، ما قد يجعلها غير حافظة لكل دقيقته وملابساته.
لكن هذا لا يعني أن شهادة المرأة في المحاكم والقضاء بنصف شهادة الرجل، فالقاضي يقضي بما يتنس نص الأدلة، عملاً بقوله: "البينة على المدعى، واليمين على المدعى عليه"، وقد يقضي القاضي بشهادة رجل واحد أو بشهادة امرأة واحدة، أو بأقل من ذلك، كما يوضح ابن القيم بقوله: "إن النيقة في الشرع اسم لم يبين الحق وظته، وهي تارة تكون أربعة شهود، وتارة ثلاثة، (1) أخرجه الترمذي ح (1341).
بالنص في بينة المفسر، وتارة شاهدين، وشاهد واحد، وامرأة واحدة، وتكون
نُكْوِلَةً [amenteaً عن اليمن]. ... فقوله ﴿البينة على المدعي```، أي عليه أن يظهر
ما يبين صحة دعواه، فإذا ظهر صدقه بطريق من الطرق حكم له "(."
ويقول وهو يرد هذه الشبهة: "فإن قيل: فظاهر القرآن يدل على أن الشاهد
والمرأة بدل عن الشاهدين، قال: القرآن لا يدل على ذلك، فإن هذا أمر
لأصحاب الحقوق بما يحفظون به حقوقهم، فهو سبحانه أرشدهم إلى أقوى
الطرق، فإن لم يقدروا على أقواها انقلوا إلى ما دونها. وهو سبحانه لم يذكر ما
يحكم به الحاكم، وإذا أرشدنا إلى ما يحفظ به الحق، وطرق الحكم أسوأ من الطرق
التي تُحفظ بها الحقوق "(."
ويقول مبناً علة التمييز بين شهادة الرجل والمرأة: "والمرأة العدل كالرجل
في الصدق والأمانة والدينان إلا أنها لما خفيف عليها السهو والنسين قويت بمثلاً،
والذي قد يجعلها أقوى من الرجل الواحد أو مثله، ولا ريب أن الظن المستفيد من
شهادة مثل أم الدرداء وأم عطية أقوى من الظن المستفاد من رجل واحد دونها
ودون أمثالهما "(."
وأما يشهد لصحة هذا الفهم أن جمل الشهادات تتساوي فيها شهادة الذكر
والأنثى، ففي شهادات اللسان بين الأزواج تتساوي شهادة الرجل وزوجته،
فشهاداتها الأربع في اللسان تعدل شهادات زوجها الأربع، وذلك مقرر في قوله
 تعالى: {والذين يرمون أزواجهم ولم يكون هم شهداء إلا أنفسهم} فشهادة أقوىهم
أربع شهاداتٍ بِاللهِ إِنْ لمَّا الصادقين {والخاتمة أن لعنة الله عليه إن كان منَ

(1) الطرق الحكمية، ابن القيم، ص (٣٤).
(2) الطرق الحكمية، ابن القيم، ص (٢١٩).
(3) المصادر السابق، ص (٢٨٩).
عن دعاوى المبطلين

الكاذبين ويدرّأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بأن إنَّهِ لِلَّهِ يَسِيرُ الكاذبين
والمُحَمَّسَة أن يعَصِب اللَّهُ عَلَيْهِ إن كان من الصِّادِقِينَ (النور: 6-9).
ولكن يفوتنا التنبيه إلى أمر مهم، وهو تساوي شهادة المرأة بالرجل في أهم
الشهادات التي لا تدخل فيها للعاطفة الغالبة على المرأة أو قلة الخبرة، أي حين
يكون الاعتاد على مجرد الذكاء والحفظ، وذلك في الأمور الدينية، فقبل رواية
المرأة للمحدث كالرجل تماماً، واللائي في سائر العلوم.

وقد جعل الشارع شهادة المرأة معتبرة في بعض المسائل التي قد لا يكون فيها
شهادة الرجل، كالأمور النسائية التي لا يطلع عليها الرجال عادة، كإثبات
الولادة وحِيَّة المطلقة وظهورها في قوله: «والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثنة
فروة ولا يحلُّ لهن أن يكتمن ما خلق اللَّهُ في أرحامهن إن كن يؤمنن بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الآخر» (البقرة: 228).

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قبِل شهادة امرأة واحدة في الرضاع، ففي حديث
عقبة بن الحارث أنه تزوج أم بني بن أبي إباه، فجاءت أمي سوداء، فقالت:
قد أرضعتها. فذكر ذلك للنبي ﷺ، ففرق بينها برضا الله.

إن التشريع القرآني الذي جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل في مسائل
الذين وأمثالهم لم يصنعه إجالاً بحقها أو استهانة بمقامها وإنسانيتها، وإنها هو
مراقبة لقدراتها ومواهبها، وإلا فكان أهليتها كأهلية الرجل تماماً في كثير من
المعاملات كالبيع والشريعة والإجارة والوكالة والشركة والوقف والعنف...

(1) أخرجه البخاري ج (2659).
تنزيله القرآن الكريم

سادسًا: طلاق المرأة

قالوا: القرآن ظلم المرأة حين أذن بالطلاق بين الزوجين، والمفسرون أن تكون الحياة الزوجية على التأييد، وقالوا بأنه ظلم المرأة حين جعل الطلاق بعد الرجل، دون المرأة.

والجواب: أن الطلاق شروط موجودة عند كل الأمم بلا استثناء، وما من أمة ولا شرع إلا وأباح الطلاق وجلأت إليه كحل لا مفر منه في إنهاء الخلافات المستعصية بين الأزواج، فالعهد القديم يباح الطلاق، والعهد الجديد كذلك يباح الطلاق بعلة الزنا، وإن حرمه فيها عدا ذلك، لكن هذا التحريم أدى إلى فساد عظمى، فكان سببًا في انتشار الزنا والعلاقات المحرمة بدون زواج، حيث يعيش الرجل مع المرأة سينين طويلة قبل أن يتزوجا، ولا يمنعها عن الزواج إلا خشية وقوع الفراق، فلا يتزوجان إلا بعد أن ينجبوا عدداً من الأبناء، ويتأكد من ديمومة زواجهما واستغناءها عن الانفصال.

إن الطلاق ضرورة اجتماعية معروفة في الشرائع قبل الإسلام، وهي مقررة اليوم في كافة القوانين المدنية، كيف يطالب المرء بإمساك زوجة لا يطيعها، وقد قيل: "إن من أعظم البلايا مصاحبة من لا يوافقك ولا يفارقك".

ويقرر الإسلام أن الأصل في الحياة الزوجية الديمومة التي تحرسه المودة والرحمه التي يجعلها الله بين الزوجين وحنون آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتشكوهن إلى إلهكم وجعل بسكم موضة ورحمة إن في ذلك آيات للعوم ينسكرون" (الروم: 21)، فقد رغب القرآن في ديمومة النكاح، وحث الزوج في الإبقاء على العلاقة الزوجية حتى حالات الكراهية بين الزوجين وحاشورهم

بالمعلوم فإن كرههم من فسقٍ أن تكونو شيئاً يجعل الله فيه خيراً كبيراً (النساء: 19).
كان أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بتعهد المرأة، وجعل ذلك ميزاناً لخيره.

بمذكورتين: "خيركم خيركم لأهل، وأنا خيركم لأهالي"، وأوصاه بالمحافظة

على رباط الزوجية وإن وجد في زوجته ما يكره، فليأتيه بغيره ما يحب: "لا يفرك

مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضى منها آخر".

وكره الإسلام الطلاق ففي المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أبغض الحلال

إلى الله تعالى الطلاق")3("، ورغم ضعف إسهامه فمعناه صحيح، وهو أمر لا يخفى

على من تذكر الآية التي جعلت التفريق بين الزوجين بعض كيد السحر

والشياطين: "فَيَعْمَلُونَ مِنْهَا مَا يَفْرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنَ" (البقرة: 2).

فلا يلبق المسلم أن يوافق مراد الشياطين فلا حاجة ماسة لذلك.

ولحياة الأسرة من الوصول إلى الفراق بالطلاق أوجب الإسلام حسن

العشرة بين الزوجين حتى في حال الكراهية، "وَعَلَّمُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن

كَهُمْوَهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكُرُّوهُنَّ شَيئًا وَتَجَلَّعَ اللَّهُ فِيهِ خَبَأً كَبِيرًا" (النساء: 19).

وخير الزوج بعد طلاقه بين المعروف والإحسان "الطلاق مَرَّانَانَ فَإِمَّاسَكَا

بِمَعْرُوفِ أوُتْبُثَا بِخَبَأ" (البقرة: 229).

وشعب القرآن لل الزوجين إصلاح ما يفسد بينهما من علاقة، وحثهما على واد

الشفاق والتغفر بكل طريق يؤدي إلى الصلح "وَإِن امْرَأَةً حَافَتْ مِن بَعْلِهَا نَشُورًا

أَوْ إِغْرَاءَا فَلَا جِنَاحٌ عَلَيْهَا أَنْ يُصِلْحَا بَيْنَهُمَا صُلُحًا وَالْمَلَكُ خَيْرٌ" (النساء:

128) فإذا لم يستطع الزوجان أن يصلحا ما بينهما بنفسهما ولم يحققوا الوافقة

بوسائطهم الخاصة؛ فإن الله يأمرهما بعرض الأمر على مجلس عائلي يتكون من

(1) أخرجه الترمذي ح (895)، وابن ماجه ح (197).

(2) أخرجه مسلم ح (869).

(3) أخرجه أبو داود ح (218)، وابن ماجه ح (208)، وفي إسناة ضعف.
تَنْزِيهّ الْقُرآنَ الْكَرْمِيْنَ

حكمين، أحدهما من أهله، والآخر من أهلها، و̀ليحثاً أسباب الشقاق، ويسعى لِإِلْحَالِ الصَّفَاءِ وَالْوَثُّامٍ مَّنَ النُّفُورِ وَالْخَصَامِ: وَإِنَّ خَفْضَ السُّقَايَ بِمَنْ أَهْلُهَا فَأَبَعَثْنَا حَكَمًا مَّنْ أَهْلِهِ وَحُكْمًا مَّنْ أَهْلِهَا إِنْ يَرْبَدَا إِصْلَاحًا يُؤُوْقِيَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا (النَّسَاءٌ: ٩٥).

فإن استحالت الحياة بين الزوجين فإن الإسلام أذن للزوج بإطلاق المرأة مرتين من غير أن يُخرجها من بيتها قبل انتهاء عدتها، وأن يكون طلاقها لها في ظهر لم يجامعها فيه، فهذا الشرط يمنع الطلاق حال الحيض وامتناع العسرة الزوجية، وهو شرط لا يتمحقق في الحياة الزوجية إلا مع التفرّد الشديدة المائعة لديموحية الحياة الأسرية.

ويضع القرآن للمطلقة حقًا على زوجها، وهو المنعة وَلَلْمُطَلَّقَاتِ مَنِ اتَّخَذَهُ بَعْضُهُمْ مَثْلَ الصَّعُودِ بِمَعْلُوْفٍ حَقَّاً عَلَى الْمُطَلَّقَاتِ (البقرة: ٢٤١)، وهو مبلغ من المال يجري فيه خاطرها ولم يحدد القرَآن مقداره، بل قال: وَمَنْ تَعْبَرُ وَأَمْتَعْهُنَّ عَلَى الْمُوْسِيَّةِ قَدْرَهُ وَأَمْتَعْهُنَّ ﺑِمَعْلُوْفٍ حَقَّاً عَلَى الْمُطَلَّقَاتِ (البقرة: ٢٤٢).

وقد وضع الإسلام - كـا الشرائع السابقة - الطلاق بين الرجل لـحكم لا تخفي: أولاً، عاطفية المرأة تؤدي إلى تسرعها في الأمور، بينها الرجل بعقيلته الغالية.

أقدر على تحمل مثل هذا القرار والتروي في اتخاذه.

ثانياً، الطلاق يحمل الزوج تبعات مالية كخسارة ما دفعه من مهر مقدم، وما يلزم من مهر مؤجل ونفقة العدة وأجرة الرضاعة والحضانة إن كان له طفل أو أطفال من زوجته المطلقة، وهذا كلها ما يحمل الزوج على التأني وعدم العجلة في تطبيق زوجته، وربما تزول أسباب طلاقها في حالة تأنيه وعدم عجلته، إضافة إلى أن الخسائر المالية ستحصل به بسبب قراره، لا بسبب قرار يتخذه غيره.
ويحفظ الإسلام للمرأة حقوقها المالية حين الطلاق، فلا يجوز للزوج أن يأخذ شيئاً مما أعطاهها إلاّ إذا كان لازماً أو إذا أبدى التزامه. وإذا كان الزوج يطلب من زوجته أن تعطيه مالاً gìاً، فهذا خالف الإسلام في فقه الأوقاف.

وإذا كان القرأن يجري على الزوج قرار الطلاق فإن ييجز للمرأة أن تطلب من القاضي أن يبلغها من زوجها بعد أن تبدي الأسباب الموجبة لذلك، كما يجوز فقهاء الإسلام لها أن تشترط في عقدها حقها في طلاق نفسها إن شاءت، وإذا رضى الزوج بهذا الشرط وانعقد العقد بهذا الشروط، صار لها حق تطبيق نفسها.

كما يعطيها القرآن فرصة معادلة للطلاق للتخلص من رقبة الزوجية، وهي الخلع الذي ترد فيه بعضًا مما دفعه الزوج، وتحصل على طلاقها في حال جناح عليها فيها. اتفقت به البقرة (2:239)، فهذا يجوز للزوج حقه المالي، ويحظي زوجها في فسخ النكاح الذي ترى أنها تضرر فيه.

لذا إذا جاءت أمرًا ثابتة بين قيس إلى النبي ﷺ ترغب في طلاق زوجها، قالت: إن لم أعتب عليه في خلق ولا في دين، ولكنني أكره الكفر في الإسلام، فقال لها: "أتردين عليه حديثته؟" (كان مهراً أعطاهها إياه) قالت: نعم، فقال لثابت: "إقبل الحديقة، وطلقها تطليقة".

وفي كل ما سبق ما يبرر ساحة شريعة القرآن من غير النساء الذي ألقى الزاعمون به، ويؤكد واقعية هذه الشريعة ومثاليتها في آن واحد.

***

(1) أخرجه البخاري ح (5272).
الرق والاسترقاق في القرآن الكريم

قالوا: شرع القرآن الرق واستعباد البشر للبشر، وأجاز هذه الشريعة رغم ما يكتشفها من ظلم للإنسان وامتها له وحبر على حريته.

ومن الجواب نؤكد أن الرق قديم في المجتمعات الإنسانية، وتقره جميع الشرائع السابقة على الإسلام، ففي أسفار العهد القديم والمحديث، التي يؤمن بقدسيتها اليهود والنصارى - أوامر صريحة تبيع الاسترقاق وتأمر به، ومن ذلك ما جاء في سفر اللاويين: "وأما عبيدك وإماءك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم، منهم تقتنون عبيداً وإماءاً، وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون، ومن عشائرهم الذين عنكم الذين يلدؤهم في أرضكم فيكونون ملكاً لكم، وتستملكونهم لأبناءكم من بعدكم ميراث ملك، تستعيدونهم إلى الدهر" (اللاويين 25/ 44-46).

وطال تاريخ الإنسانية - وحتى منتصف القرن الميلادي العشرين - امتلاك العالم بالعبيد، الذين كانوا يستعبدون لأنف الأسباب، كالعجز عن سداد الدين أو خسارة مال في قبار.

وفي بعض المجتمعات كان عدد العبيد أكثر من عدد الأحرار، ففي حين كان عدد سكان أثينا 20 ألفاً من الأحرار؛ فإنه كان فيها 400 ألف رقيق، وحين قررت بريطانيا في العصر الحديث إلغاء الرق عام 1833 م تم تحرير ما يربو على 800 ألف من رقيقها، وعلي القارئ يكتشف يهائين الصورتين ليدرك حجم الاسترقاق في التاريخ الإنساني قبل الإسلام وبعده.

إن الحديث عن الرقيق يذكر العالم دائياً بواقع مرير مليء بالاضطهاد.

(1) أسرى الحرب في التاريخ، عبد الكريم فرحان، ص (41).
والظلم، لكن الإسلام غير مسؤول عن هذا الواقع، لأنه برؤى منه، فلم يقتل المسلمون العبيد في حلبين المصارعة الرومانية حتى يتسنى السادة بموتهما بين أنياب الوعس، ولا منعهم من دخول كائنين السادة البيض، فحال العبد عند المسلمين كا سنرى تفصيله مختلف عن الواقع الإنساني القائم قبل وبعد الإسلام. ونستؤنف لله هذا التفصيل شهادة غوستاف لويدان: "إن الذي أراه صادقاً هو أن الرق عند العرب (أي المسلمين) خير منه عند غيرهم، وأن حال الأرقاء في الشرق أفضل من حال الخدم في أوروبا، وأنهم يكونون جزءاً من الأسرة"، فهيما بين من يعتبر العبد جزءاً من الأسرة وبين من يستمتع برؤيته بين أنياب الأسود.

إن الباحث في نصوص القرآن والسنة لن يجد فيها نصاً واحداً يبحث على الاسترقاق أو يأمر به، بل على العكس من ذلك جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تأمث وتحت على إعتاق الرقاب، وتجلوه من فاضل العبادات، وتقرنه بالإيان بالله وصالح الأعمال. "ليس الرب إن تقوم أن تولوا وَجَوَهُوكُمْ يَبْلِبّ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكَنَّ الْبَرَاءَمُ مِنْ أَنْ شَرَّ الْهَيْوَةِ الْأَخَرِ وَالْمَلَاكِيَةِ وَالْكِتَابِ الْمَبْتِسِهِ وَأَنْتَ الْمُأَلِلَ عَلِىْ حُبِّ ذِي الْقُرْنِينِ وَالْيَتَابِيَةِ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّلَّالِئِينِ وَفي الْرَّقَابِ (البقرة: 176)", وكذلك قوله تعالى: "وَأَعْجِبْتُوا اللَّهُ وَلَاتَّشْرَكُوا بِهِ شَيْئاً وَالْوَالِدَينِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْنِينِ وَالْيَتَابِيَةِ وَالْمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي الْقُرْنِينِ وَالجَارِ الْجَنْبِ وَالصَّاحِبِ بِجَنْبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَا نَكَّمْ إِنَّ اللَّهَ لَلاَّ يُحِبُّ مِنْ كَانٍ مُّحَتَّالًا فَخَوَّرَهُ (النساء: 34)", وقوله: "فَلا افْتَحَّمُوا الْعَقْبَةِ وَمَا أَذَرَّكُمْ مَا الْعَقْبَةُ (الرعد: 6)".

ولن نعم رحمة الإسلام بالعبد وحرصه على فكاكهم أن القرآن جعل عتناق

(1) حضارة العرب، غوستاف لويدان، ص (689).
الرقع مصراً من مصارف الزكاة المفروضة على المسلمين "إِنَّهَا الصَّدَاقَاتُ لِلفقراء والمحتاجين والعاملين على خير وفؤاد فلَوْ كَاَمَلُوهُمْ فِي الرَّجَابِ وَالعَالَمِينِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فِرَآتِهَا مِنَ اللَّهِ وَللهِ عِلَمُ حَكِيمٌ" (النور: 60)، فقوله:
فِي الرَّجَابِ أي في اعتقاءهم.

كما حث النبي ﷺ على العتق حين جعله سبيًا في فكاك المشيق من النار:
«من أعتق رقبة؛ أعتق الله بكل عضو منها عضوًا من أعضائه من النار؛ حتى فرجه بفرحٍ».

وحرص الإسلام على تخفيف منابع الرق جعل فكاك الرقاب وسيلة في التطهير والتكيفر عن خطايا معينة، كقتل الحثأ وأما كان ليُؤمِن أن يقتِل مُؤمِنًا إلا حثأاً ومن قُتل مُؤمِنًا حثأاً فتحريَّر رقَبَة مُؤمِنَة.» (النساء: 26) والحديث في اليمين «لا يَؤُدَّم كِتَابُ اللَّهِ بِاللَّغْوِ فِي أَيْنَ اِمْتَنُعُّكُمْ وَلَكِن يَؤُدَّم كِتَابُ اللَّهِ بِاللَّغْوِ فِي أَيْنَ اِمْتَنُعُّكُمْ» (المائدة: 89) وظهور الزوجة والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون ليَا قَالَ لَهُمْ فَتَحَريَّر رَقَبَةً مِنْ قَبْلِ أَن يُهْدِينَهَا ذَلِكَ مَنْ يُؤَوْيَهُ عَلَيْهِ وَلِلَّهِ يَا تَعْمَلُونَ حَسَبًا».

(المجادلة: 3).

ولا يرى الإسلام حين أبقى على الرق، فإنه جفف ينابيعه بمنع وسائل الاسترقاق المتعددة، وقصراً على وسيلة واحدة، وهي الأسر في الحرب، واعتبر ما سواها من الظلم المتوعد عليه بخسومة النبي ﷺ يوم القيامة القائل: "ثلاثة أَنَا خَصِمُهُمْ يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمه يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فآكل ثمنه، ورجل استأجر أجارا، فاستوِف في منه ولم يفوه أجره".

(1) أخرجه مسلم (1009).
(2) أخرجه البخاري (2277).
وسألة جواز الاسترقاق بالحرب ليست أمرًا لازمًا بالضرورة؛ إذ لم يأمر بها القرآن الكريم، لكنها حالة أذن الإسلام فيها للإمام أن يسترق أو يعفو أو يأخذ الفداء، وهذا الخيار يتيح للإمام المسلم أن يواجه معاملة الأمم الأخرى لأسرى المسلمين بمثله، فأولم التي تسترق المسلمون في جرورها يسترق المسلمون أسرهم. لكن النبي ﷺ كان أحارص الناس على فكاك أسرى المشركين وعدم استراقهم، وشاهد ذلك في سيرته كثيرة، منها قول ابن عباس: (أعتق رسول الله ﷺ يوم الطائف من خرج من رقيق المشركين).

لقد أبقى الإسلام على الرق؛ لأن إلغاء المفاوضات أضر بالسادة والعبيد على السواء، فأما العبيد فسيخسرون موارد رزقهم وكفالة موالين لهم، وهذا يذكرنا بثورة العبيد على الرئيس الأمريكي إبراهيم لنكون حين أصدر أمره بتحرير العبيد، فثاروا عليه لما فقدها الرعاية والغذاء والسكن، فالمجتمع لم يكن مهدها لثل هذا التغير الاجتماعي الكبير.

وأما السادة فتحرير العبيد يفقدهم أمواهم، إذ العبيد - يومذاك - مال قد لا يملك السيد غيره، كما في حديث عمران بن حصين عن الرجل الذي (أعتق ستة أعبده عند موثه؛ ولم يكن له مال غيرهم); فبلغ ذلك النبي ﷺ فلم فعله؟; لما فيه من إضرار بورثه.

وقد تنبأ الإسلام بنهاية الرق حين جعل لعنق الرقيق بديلاً في العقوبات التي شرع فيها العتاق، كما في قوله: "قدبة مسلمة إلى أهلها وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجعل فصيام شهرتين متابعين توبة من الله و كان الله علياً حكيمًا" (النساء: 92)، وصلبه في قوله: "فكيف أتاهم إطعام عشرة مساكيه من أوسط ما تطعيمنا".}

(1) أخرججه أحمد (1400).
(2) أخرججه مسلم (1168).
عن دعاوي المبطلين

أهلِكِم أو كُسُوبُهم أو تَحْرِير رَقِيبٍ فَمَا أَمْنِجَتْ فَصِيَامُ ثَلاَثَاءَايَامٌ (المائدة: 89).

فَقُدْ نَبَأَ القُرآن بِنَهَى الاسترقاق والرقيق بِفَضْل شرائِعهِ الَّتِي لَا نَجَدُ هَلْ مَثِيلاً عَن
الأمَّة الأُخْرَى.

وَمِن هَذِهِ الشَّرَايِع أَن الأُمَّة إِذَا لَوْدَت لسَيْدِها عَتِتَت بِعَدْنَةٍ، وَأَن أَوْلَادَهَا مِنْهُ
أَحْرَار كَابِبمَن، وَلَعِلْ مِنِّ الْطَرِيف أَن نَذَكَّر هَنَا أَن خَلَفَاءِ بَنِي الْعَبَاس كَانُوا جَمِيعًا
مِن أَبْنَاءِ الإِمَامٍ إِلَّا أَبَا الْعَبَاسِ السَّفَاحُ وَالْمُهِدِي وَالأَمِينَ.

يَقُولُ غُوستاف لُوبُن: "لا يَكَادُ المُسْلِمُون يَنظَرُون إِلَى الرِّق بِعَينِ الْأَحَتْقَارَ،
فَأُمِهَاتِ سَلَاطِينِ أَلْ عَشَان - وَهُمْ زِعَاةِ الإِسْلَامِ الْمُحْتَرِمُونَ - مِنِّ الإِمَامْ، وَلَا
يَرُونَ فِي ذلِكَ مَا يَبْطِنُ مِنْ قَدْرِهِمْ".

وَحِينَ أَبْقَى الإِسْلَامُ الرُّقَ فَإِنَّهُ ضَمَنَ لِلرِّقِيَّ مَا لَتَجْدَهُ فِي حُضَارَةِ أَخْرَى أو
ذِينُ أَخْرَى، وَمِن ذلِكَ أَن أَمَّرَ السَّيِد بِمِسَاواة رَقِيَّةِهِ بِنَفْسِهِ فِي مَطْعُوهُ وَمَشْرِبِهِ، وَأَن
يُؤْمِنُ لِهِ حَاجَاتِهِ الْضَرُورِيَّة، فَامْتَلَاَكَهُ لِلرَّقِيَّةِ مَسْؤُوْلِيَة وَغَرَّمْ قَبْلَ أَن يَكُونَ غَنِيًا،
وَإِذًا شَيْنَا أَن نَدْلِل عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَلَنْتِفَقَ عَلَى بِعْضٍ مَظَاهِرُ هَذِهِ الْمَأْثَرِ
الْحَضَارِيَّةِ الفَرْقِيَّةَ عَنْدَ المُسْلِمِينَ.

راَيَ المُعَرُورُ بِن سَوِيدُ أَبَا ذِرِّ الْغَفَارِيِّ وَعَلِيَّهِ حُلْةً، وَعَلِيَّهِ غَلَامَهُ حُلْةً،
فَسَأَلَهُ عَن ذلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابِبُ رَجُلًا، فَشَكَّانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِيِّ:
"أُعْرِبُ عَنْهُ بِأَمْهِ، إِن إِخوَانَكُمْ خُولُكَ، جَعَلُهُمْ اللَّهُ ثَثَ أَيْدِيَكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخْوَاكُ
تُحِبُّهُ فَلَمْ يَطِعَهُمْ، مَا يَأَكِلُ، وَلِيْبِسِهِ مَا يَلِبِسُ، وَلَا يَكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُوهُمْ، فَإِن
كَلِفْتُوهُمْ مَا يَغْلِبُوهُمْ فَأَغْيَنُوهُمْ"، وَفِي حَدِيثٍ أَخْرَى قَالَ ﷺ: "لِلَّمُلْمِلِوكِ طَعَامَهُ
(۱) انظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص (۲۴).
(۲) حضارة العرب، غوستاف لوبن، ص (۳۷۶).
(۳) أخرجه البخاري ح (۲۵۴۵)، ومسلم ح (۱۷۶۱).
وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق\(^{(1)}\)؛

إن عظمة النبي ﷺ في معاملة رقيقه زيد بن ثابت جعلت زيداً يختار البقاء على العبودية عند النبي ﷺ على المضي حراً مع والديه، فكأفأ النبي ﷺ بتبنيه، فكان يسمى زيد بن محمد إلى أن ألقى القرآن الكريم النبي، فصار ينسب لأبيه حارثة\(^{(2)}\).

ونعود للقول: إن الإسلام صان الرقيق عن كثير مما يتلمس الرق - عند الأمم الأخرى - من الظلم والمهانة، فالعبد إنسان له من الحقوق على سيده ما يسأل عنه الله يوم القيامة.

فالعبد لا يجوز قتله ولا تعذيبه «من قتل عبد قتله، ومن جدعه جدعته»، ومن أخصاه أخصيماً\(^{(3)}\)، كما لا يجوز إنهامه والطعن في حقوقه الذاتية كسائر الأحرار «من قذف ملوكه وهو بريء، مما قال جلد يوم القيامة إلا أن يكون كياً»،\(^{(4)}\) قال.

ورضب الرقيق - ولو لطمة واحدة - كاف لضمان عتقه من سيده عند من يحاف الله ويرجو ثوابه، فقد أعطى ابن عمر ملكاً له، ثم أخذ من الأرض عدواً أو شيئاً فقال: ما فيه [أي اعتقاه للعبد] من الأجر ما يسوى هذا [أي العدود] إلا أنني سمعت رسول الله ﷺ: «يرضى نظم ملوكه أو ضربه؛ فكفارته أن يعتقه»\(^{(5)}\).

وهذهمعنى النبي ﷺ في قصة أبي مسعود البدرى حين طلع

\(^{(1)}\) أخرجه مسلم ح(1662).
\(^{(2)}\) انظر: زاد المعاد، ابن القيم (3/17).
\(^{(3)}\) أخرجه النسائي ح(7636)، والترمذي ح(1414).
\(^{(4)}\) أخرجه البخاري ح(8586)، ومسلم ح(1670).
\(^{(5)}\) أخرجه مسلم ح(1575).
عن دعاوى المهتليين

عليه رسول الله، وهو يضرب غلامة بالسوط فقال: «علم أبا مسعود، الله أقدر عليك منك عليه» فقال أبو مسعود: يا رسول الله، هو حرب لوجه الله. فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لست النار».

ويحكى مثل هذا سويد بن مقرن المزني: (لقد رأيتنا سبعة إخوة، ما لنا خادم إلا واحدة، فلطمها أحدنا، فأمرنا النبي أن نعتقها).

ونهى عن تعذيب العباد وتكليفهم ما لا يطيقونه: «من لاءكم من ملوككم فأطمعوه ما تأكلون، واكسبوهما تلبسون، ومن لم يلائمكم منهم فبيعوه، ولا تعذبوا خلق الله».

وأوصى النبي بحسن معاملة الرجل حتى حال إساءتهم، فقد قعد بين يديه رجل، فقال: يا رسول الله، إن لي ملوكين يكذبونني ويخونوني ويعصوني، وأشيتفهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ فقال: «بحسب ما خبنوك وعصولوك وكذبك، وعقلك إيها، فإن كان عقابك إيها بقدر ذنوبكم كان كنفاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إيها دون ذنوبكم كان فضلاً لك، وإن كن عقابك إيها فوق ذنوبكم اقتضى لهم منك الفضل».

فتحن الرجل، فجعل يبكي ويئتف لما يعلم من حاله مع ملوكه، فقال رسول الله: «أما تقرأ كتاب الله ونصب المواريث القِيَّمَةِ ليَنْبُوِّ طَأْطِسًا فَلا تُظْلِمْ نفس شياً وإن كان مثلأل حبيب من حزر كأتينا بهما وكنى بناء خاصين» (الأبواب: 47).

فقال الرجل: والله يا رسول الله، ما أجد لي وهؤلاء شيئاً خيراً من

(1) أخرجه مسلم ح (1169).
(2) أخرجه مسلم ح (1208).
(3) أخرجه أبو داود ح (1161)، وأحمد (2097).
تفارقهم، أشهدكم أنهم أحرار كلهم".

كما حذر النبي ﷺ، ووعد الذين يسيئون معاملة الرقيق بالحرم من الجنة، وهي أغلى ملوك ومرغوب، فقال: "لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائنة ولا سيء الملكة، وأول من يقرع باب الجنة الملونة إذا أحسنوا فيها بينهم وبين الله عز وجل، وفيها بينهم وبين مواليهم".

ولإنسانية الرقيق وحرصاً على مشاعرهم تهددهم من يفرق شمل الأسرة المملوكة بقوله: "من فرق بين والده وولدته فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة".)

وما زال النبي ﷺ يوصي بالعبيد لضعفهم، ولم ينس الوصاة بهم حتى وهو على فراش الموت، في اللحظات الأخيرة من حياته ﷺ، يقول أنس بن مالك: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: "الصلاة، وما ملكت أبيانكم" حتى جعل رسول الله ﷺ يغر له صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه". ولتن كانت الأديان الأخرى تغلف للعبيد في عقوبته على الذنب ما لا تغلف عليه على السيد؛ فإن الإسلام يخفف عقوبة العبد ويجعلها دون عقوبة الخير؛ مراعاة حاله وضعفه الذي قد يوقعه بالمعصية، ومن ذلك تخفيف عقوبة الزنا إلى النصف من عقوبة الخمر (فإذا أحسن فإن أثني في فاحشة فعله بئس ما علّى المحسنين من الغذيد) ( النساء: 25).

وفي حديث ابن عباس أن عبداً من رقيق الخمس سرق من الخمس، فرفع

(1) أخرججه أحمد (25825)، والترمذي ح (3165).
(2) أخرججه أحمد (141)، ونحوه عند الترمذي ح (1446)، وأبن ماجه ح (3691).
(3) أخرججه أحمد (2988) والترمذي ح (1567).
(4) أخرججه ابن ماجه ح (2697)، وأحمد ح (1159)، واللفظ له.
عن دعاوى المبطلين

ذلك إلى النبي ﷺ فلم يقطعه، وقال: "مَال اللَّه عز وجل سرق بعضه بعضاً".

وحين أساء حاتب بن أبي بلعة إلى رقيقه، وقرر في إطعامهم؛ سرقوا ناقة رجل من مزينة. فرفع الأمر إلى عمر، فعا عنههم، وقال حاتب: (أراك تبيعهم، والله لأغرمك غرماً يشق عليك)، فأمره أن يدفع للمزين ضعف ثمن الناقة التي سرقها رقيقه، وعفا عنههم، ولم يطبق عليهم حد السرقة.

وأخيرًا فإن الحضارة الإسلامية قدمت نموذجاً فريداً في معاملة العبيد، فكان منهم العلماة، كسالم عمو أبي حذيفة، والأمراء كسيلاوي الفارسي أمير المدائن، وزيد بن حارثة قائد جيش المسلمين في موتة، وبلال خازن بيت المال الذي يقول عنه الخليفة عمر بن الخطاب: (أبو بكر سيدينا، وأعطق سيدينا) أي بلاً.

وعل القارئ يأخذ لي في حقيقة هذا الفصل باستطلاع طريق يحبكة منزلة العبيد وعطاهم الحضاري الكبير في أمة الإسلام، فقد دخل الزُهري على الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قلت: من مكة.


قال: إن أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسدووا الناس. قلت: نعم.

قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاووس بن كيسان. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فهم سادهم؟ قلت: بها سادهم به عطاء. قال:

من كان كذلك ينبغي أن يسدو الناس.

قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب. قال: فمن العرب أم

(1) أخرجه ابن ماجه (2590).
(2) أخرجه مالك في الموطأ (1468).
(3) أخرجه البخاري (3754).
من الموالي؟ قلت: من الموالي. فقال كأنه قال في الأولين معه.
قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول الدمشقي. قال: فمن العرب
أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. عبد نور أعتقه امرأة من هذيل. فقال كأنه قال.
ثم قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قلت: الضحاك بن مزاحم. قال: من
العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: كأنه قال.
ثم قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن بن أبي الحسن. قال: من العرب أم
من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: كأنه قال.
من الموالي؟ قلت: من العرب.
قال: ويلك يا زهري فرجت عني، فوالله لتسودن الموالي على العرب حتى
يخطب لها على المناور، وإن العرب تحتها.
قال: يا أمير المؤمنين، إنها هو أمر الله ودينه، فمن حفظه ساد، ومن ضيعه
سقط(1).

وهكذا يتيين لكل باحث عن الحق تميز الإسلام وسموه في التعامل مع
الرقيق وحرصه على تجفيف متابعته، وتبين براءة الإسلام والقرآن مما تعهدت الأمم
من ظلم وزنف وضياع وإضرار بحقوق العبید.

***

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكر (449/400).
خاتمة

وهكذا وبعد هذه الجولة يتبين للقارئ المنصف جملة أمور:
* أن القرآن كلام الله تعالى المحفوظ بحفظ الله والمنقول إلينا بتوافر الحفاظ جيلاً بعد جيل.
* أن الهجوم على القرآن يهدف إلى تشكيك المسلم بقرآنه وإبعاده عن نديه وتأثيره الذي جعل من المسلم مشعل هدایة ونبراس حق ودليل إيان وقوة لا تقه.
* أن الأباطيل المثارة عن القرآن تشهد -بضعفها- لهذا القرآن أنه كتاب الله الذي أعجز الطاعنين مع حرصهم على الكيد وتصيد النقاص فيه.
* أن هذه الأباطيل تكشف عن جهل مافضح لقائليها بلغة العرب ومعاني النصوص القرآنية، ولعلها تكشف أيضاً عن تدليس وتليبيس وجنازة للموضوع العلمية.
* أن الطاعنين في القرآن لو أنصفوا لعلموا براءة القرآن من أباطيلهم، ولو أعادوا النظر في كتبهم لوجدوا تطفح برزايا ثابتة واضحة من جنس ما ادعوه زوراً على القرآن الكريم، وكان الأولى لهم أن يعتذروا للقرآن بما اعتذروا فيه لكتبهم.
* أن الأباطيل المطعون به عن القرآن قديمة ما فنى المستشرقون يرددونها بجهل أو خبث، وأن الهجمة الجديدة ما هي إلا صدى لهذه الهجمة الاستشراقية.
* أن جهل المسلمين بلغة العرب اليوم، وجهتهم بعلوم القرآن وتفسيره سبب رئيس لتحول هذه الأباطيل إلى شبهات تشبث على عوم المسلمين، فالواجب على المسلم أن يتحصن من هذه الشبهات بمعرفة دينه والإسلام بعلومه إذا لم يقدر على التمكن منها.
أن قوة الإيمان سبب في دفع الشبهة، وأن مرض القلب وضعف الإيمان سبب في استحكامها، وقد قال ابن القيم: "القلب إذا كان فيه مرض آذاه أدنى شيء من الشبهة أو الشهوة، حيث لا يقوى على دفعها إذا وردا عليه، والقلب الصحيح القوي يطرقه أضعاف ذلك، وهو يدفعه بقوته وصحته، وبالجملة فإذا حصل للمريض مثل سبب مرضه زاد مرضه وضعف قوته وترامى إلى التلف؛ ما لم يتدارك ذلك بأن يحصل له ما يقوى قوته ويزيل مرضه".

أن الواجب على المسلم إذا لم ينل من العلم ما يحسن من الشبهات أن يفارق مجالسها وأن لا يصغي إلى قائليها، فالاستتباع إليهم مع قلة البضاعة وضعف اليقين سبب في استحكام الشبهة واضطراب الجنان لها، والوقوع في براثن الشيطان وموارد الهلاك.

وصلي الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

***

(1) إغاثة اللطيفان (1/18).
أهم المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، 1408 هـ.
- الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر أحمد ابن الباجش الأنصاري (ت 540 هـ)، تحقيق: عبد المجيد قطامشة، ط 1، مطبعة جامعة أم القرى، 1403 هـ.
- الإسلام وحقوق المرأة، مجموعة باحثين، بإشراف د. جعفر عبد السلام، ط 1، رابطة الجامعات الإسلامية، 1425 هـ.
- أدلته اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين، محمد شوقي عبد الرحمن الجزيري، ط 1، دار الإرشاد، 1406 هـ.
- تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري (ت 311 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف، مصر.
- تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبه النميري (ت 262 هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، [بدون معلومات نشر].
- تأويل مشكل القرآن، محمد بن عبد الله ابن قتيبة (ت 270 هـ)، تحقيق: السيد صقر، ط 2، دار التراث، القاهرة، 1393 هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم (ت 927 هـ)، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط 1، مكة المكرمة، 1417 هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت 774 هـ)، دار المعرفة، بيروت، 1400 هـ.
تنوع القرآن الكريم

• جامع البيان في تفسير القرآن ، ابن جرير الطبري (ت 311 هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة 1420 هـ.
• الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، محمد بن عيسى الترمذي (ت 275 هـ) ، تحقيق : أحمد شاكر ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة.
• الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت 171 هـ) ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان ، 1405 هـ - 1985 م.
• جمع القرآن ، في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث ، محمد شرعي أبو زيد ، كتاب إلكتروني.
• حضارة العرب ، جوستاف لوبيون ، ترجمة : عادل زعير ، مطبعة عيسى الباباي الخليبي.
• دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة.
• دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، محمد الأمين الشنقيطي ، ط 1 ، مؤسسة التاريخ العربي ، 1420 هـ.
• رد افتراضات البشرين على آيات القرآن الكريم ، محمد جمعة عبد الله ، ط 1 ، 1405 هـ.
• زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجووزي (ت 975 هـ) ، المكتبة الإسلامي للطباعة والنشر.
• سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني (ت 275 هـ) ، تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط 1 ، دار إحياء الكتب العربية.
• سنن أبي داود ، أبو داود سفيان الأشعث السجستاني (ت 275 هـ) ، دار الحديث ، 1391 هـ.
عن دعاوى المبطلين

• سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت 313 هـ)، تحقيق:
  عبد الفتاح أبو غدة، ط 2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1408 هـ.
  حقوق حول القرآن في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزووق،
  ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

• شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي (ت 176 هـ)، ط 1،
  عام المكتبة الرياض، 1424 هـ.
  الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل عياض البحصبي (ت 544 هـ).
  دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1409 هـ.
  صحيح ابن حبان، أبو حاتم البستي، (ت 336 هـ) ترتيب: علاء الدين بن
  بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وحسن أسد، مؤسسة الرسالة، بيروت،
  1444 هـ.

• صحيح ابن خزيمة، محمد بن خزيمة (ت 131 هـ)، تحقيق: محمد مصطفى
  الأعظمي، المكتب الإسلامي.
  صحيح البخاري، محمد بن إسحاق البخاري (ت 206 هـ)، ترقيم: محمد
  فؤاد عبد الباقي، في تحقيقه لكتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن
  حجر العسقلاني، ط 2، القاهرة، دار الريان للتراث، 1407 هـ.

• صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261 هـ)، ترقيم: محمد فؤاد
  الباقي، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1375 هـ.
  الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاائعين في القرن الرابع عشر الهجري،
  عبد المحسن بن زين المطيري (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية العلوم - جامعة
  القاهرة).

• عمدة الفاري، بدر الدين العيني (ت 855 هـ)، دار الفكر.
تنوع القرآن الكريم

• فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى، ط 2، دار الريان للتراث، القاهرة، 2007 هـ.

• فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور التمالي (ت 429 هـ)، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418 هـ.

• قالوا عن الإسلام، عباس الدين خليل، طبع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1412 هـ.

• القرآن الكريم في مواقع الإنترنت العربية دراسة تحليلية نقدية، عبد الرحيم الشريف (رسالة دكتوراه)، كتاب إلكتروني.

• القرآن الكريم والكتاب المقدس، أيها كلمة الله؟ أحمد تيدات.

• القرآن والبشريون، محمد عزت دروزة، ط 3، المكتبة الإسلامية، بيروت، 1399 هـ.

• لسان العرب، ابن منظور (ت 711 هـ)، ط 1، دار صادر، بيروت.

• لسان المنز، ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد.

• لما أسلم صديقي، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

• جمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيشمي (ت 807 هـ)، دار الفكر، بيروت، 1412 هـ.

• المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبة، ط 2، دار الجيل، بيروت، 1412 هـ.
عن دعاوى المبطلين

- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت 405 هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ.
- المند، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت 412 هـ)، دار إحياء التراث العربي، 1991 م.
- المصاحف، أبو بكر بن أبي داود السجستاني (ت 131 هـ)، تحقيق: حبيب الدين عبد السبطان واعظ، ط 2، دار البشائر الإسلامية، 1423 هـ.
- المصنف، أبو بكر عبد الزرقاء بن همام الصفاعي (ت 111 هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط 2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403 هـ.
- المعجم الكبير، أبو القاسم سلیمان بن أحمد بن أبوب العدراني (ت 370 هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط 2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1404 هـ.
- المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، جمع: علي بن نايف الشهود، كتاب الكتروني يجمع ردود المسلمين على الشبهات المشورة على شبكة الإنترنت.
- النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري (ت 833 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- نكت الانتصار لنقل القرآن، أبو بكر الباقلاني (ت 403 هـ)، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية.

ثانياً: المواقع الإلكترونية
- شبكة ابن مريم الإسلامية (www.ebnmaryam.com).
- شبكة الحقيقة الإسلامية (www.trutheye.com).
## فهرس الموضوعات

<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>مقدمة</td>
<td>5</td>
</tr>
<tr>
<td>منهج المبطلين في إثارة الأباطيل عن القرآن</td>
<td>11</td>
</tr>
<tr>
<td>القرآن كتاب الله للحنوطة</td>
<td>23</td>
</tr>
<tr>
<td>الجمع الكتابي للقرآن الكريم</td>
<td>31</td>
</tr>
<tr>
<td>جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر</td>
<td>32</td>
</tr>
<tr>
<td>هل نقل شيء من القرآن بطرق الأحاديث؟</td>
<td>33</td>
</tr>
<tr>
<td>الجمع العثماني للقرآن الكريم</td>
<td>36</td>
</tr>
<tr>
<td>هل القرآن الكريم من إنشاء محمد ﷺ؟</td>
<td>39</td>
</tr>
<tr>
<td>أولًا: دلالة آيات العتاب</td>
<td>42</td>
</tr>
<tr>
<td>ثانياً: أحداث تشهد بحوي القرآن</td>
<td>44</td>
</tr>
<tr>
<td>ثالثاً: الكتاب المعجز</td>
<td>47</td>
</tr>
<tr>
<td>رابعاً: الاخبار بالغيب</td>
<td>57</td>
</tr>
<tr>
<td>المصادر المزعومة للقرآن الكريم</td>
<td>61</td>
</tr>
<tr>
<td>أولاً: هل القرآن منقول من الكتاب المقدس؟</td>
<td>65</td>
</tr>
<tr>
<td>أ. حقائق الإيام بين القرآن والكتاب المقدس</td>
<td>67</td>
</tr>
<tr>
<td>ب. قصص الأنبياء والأمم السابقة بين القرآن والكتاب المقدس</td>
<td>70</td>
</tr>
<tr>
<td>ج. الأحكام التشريعة بين القرآن والكتاب المقدس</td>
<td>72</td>
</tr>
<tr>
<td>ثانياً: هل تعلم النبي ﷺ القرآن من بحيرات؟</td>
<td>74</td>
</tr>
</tbody>
</table>
ثالثًا: هل القرآن منقول من شعر أمير القيس؟

رابعًا: هل القرآن منقول من شعر أمية ابن أبي الصلت؟

الناسخ والمنسوخ في القرآن

هل تغير النص القرآني في عصر الصحابة الكرام؟

أولاً: اختلاف مصاحف الصحابة.

ثانياً: اختلاف الصدر الأول في قراءة بعض آيات القرآن الكريم.

ثالثًا: هل أسقط ابن مسعود أو الموعذتين من مصحفه؟

رابعًا: هل أسقط ابن مسعود أو الفائقة من مصحفه؟

الأباطيل المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله

أولاً: نسبة صفات النفس إلى الله تعالى.

ثانياً: هل يضل الله عباده؟

ثالثًا: هل يأمر الله بالفحشاء؟

رابعًا: هل يتحرس الله؟

خامساً: هل الكبر صفة محمودة؟

سادساً: هل الله لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها؟

سابعاً: هل شك القرآن في عدد قوم يونس عليه السلام؟

الأباطيل المتعلقة بما في القرآن عن أنبياء الله تعالى

أولاً: هل وقع آدم في الشرك؟

ثانياً: هل شك إبراهيم عليه السلام؟

ثالثًا: هل شك يونس عليه السلام في قدرة الله؟

رابعًا: هل يوسف عليه السلام
الباطيل المتعلقة بشخص النبي ﷺ

| لاولاً: قصة الغرانيق | 153 |
| ثانياً: سحر النبي ﷺ | 162 |
| ثالثاً: هل النبي ﷺ مصاب بالصرع؟ | 165 |

القرآن والسيحية

| لاولاً: القرآن وألوهية المسيح | 171 |
| ثانياً: هل امتدح القرآن النصارى؟ | 177 |
| ثالثاً: من أتباع المسيح؟ | 180 |
| رابعاً: سؤال أهل الكتاب | 182 |
| خامساً: التوثيق المزعوم لكتب أهل الكتاب في القرآن | 185 |
| سادساً: هل الذكر المحفوظ هو كتب أهل الكتب؟ | 192 |

الأخطاء المزعومة في القرآن الكريم

| لاولاً: العين الحميدة | 195 |
| ثانياً: مريم أخت هارون | 199 |
| ثالثاً: هل القلوب في الصدور؟ | 200 |
| رابعاً: النجوم التي ترجع الشياطين | 203 |
| خامساً: هل القرآن يشجع على فعل المعاصي؟ | 204 |
| سادساً: الجنة والخمر | 206 |

الأخطاء اللغوية المزعومة في القرآن الكريم

| لاولاً: الأخطاء النحوية المزعومة في القرآن | 209 |
| ثانياً: الأخطاء البيانية المزعومة | 223 |
ال 논쟁ات المزعومة في القرآن الكريم

222

ألفاظ قرآنية غير لائقة بزعمهم

257

المرأة في القرآن

261

أولاً: القوامة وظلم الزوجة

266

ثانياً: الأمر بضرب الزوجة

270

ثالثاً: تعدد الزوجات

274

رابعاً: حقوق المرأة والميراث

279

خامساً: شهادة المرأة

283

سادساً: طلاق المرأة

286

الرق والاسترقاق في القرآن

291

خاتمة

301

المصادر والمراجع

303

نطاق الموضوعات

309
صدر للمؤلف:

- هل العهد القديم كلمة الله؟ (بالعربية والفرنسية)
- هل العهد الجديد كلمة الله؟
- الله جل جلاله، واحد أم ثلاثة؟ (بالعربية والإنجليزية)
- هل افتدانا المسيح على الصليب؟ (بالعربية والإنجليزية)
- هل بشر الكتاب المقدس بمحمد (بالعربية والإنجليزية والفرنسية)
- تعرّف على الإسلام (بالعربية والإنجليزية والفرنسية)
- التكفير وضوابطه
- الحوار مع أتباع الأديان (مشروعيته وآدابه)
- دلائل النبوة
- التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم
- ترنيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين
- الدين المعاملة (صفحات من هدي الأسوة الحسنة)
- سلسلة كتب بعنوان: (مناظرة مع قسيس)